مَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ

على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى

المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد محيى الدين عبد الحميد

مفتش العلوم الدينية والعربية

بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الثالث

عالم الكتب - بيروت

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، وبإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها
مصطفى محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

شاهد الجمع مع التفريق

١٢٨ — فَوَجْهُكَ كالنّارِ في ضَوْئها   وَقَلْبِيَ كالنّارِ في حَرِّها

البيت لرشيد الدين الوطواط ، من الخفيف

والشاهد فيه : الجمع مع التفريق ، وهو : إدخال شيئين فى معنى ، والتفريق بين جهتى الادخال ، فهنا أدخل وجه الحبيب وقلبه فى كونهما كالنار ، ثم فرق بينهما بأن جهة إدخال الوجه من جهة الضوء ، و إدخال القلب من جهة الحرّ والاحراق ، وفى معناه قول بعضهم [من المتقارب] :

فكالنّارِ ضَوْءاً وكالنّارِ حرّاً   مُحَيّا حبيبى وحُرْقةُ بالى

فذَلِكَ مِنْ ضَوْئه فى اختيالٍ   وهذا لحرقتهِ فى اختِلال

وقريب منه قول الصفى الحلى [من البسيط] :

سَناه كالنُّور يجلو كلَّ مُظلمةٍ   والبأسُ كالنّار يُفنى كلَّ مُجترم

ومما يُستشهد به على هذا النوع قولُ الفخر عيسى [من الطويل] :

تَشابهَ دمعانا غَداةَ فِراقنا   مُشابهةً فى قصةٍ دُونَ قِصةِ

فوَجنتها تكسُو المَدامعَ حُمْرة   ودمعى يَكسُوحُمرةَ اللونِ وجنتى

وقول مروان بن أبى حفصة [من الطويل] :

تَشابَهَ يوْماهُ عَلينا فأشكلا   فما نحنُ ندرى أىُّ يوميهِ أفضلُ

أيوْمُ نَدَاهُ الغمرُ أم يَوْمُ بؤسه   وما منهما إلا أغرُّ محجّل

وقول البحترى أيضاً [من الطويل] :

ولما التقينا والنوى موعدٌ لنا   تعجّبَ رائى الدُّرِ منّا ولاقِطُهْ(١)

فمن لؤلؤٍ تجلوهُ عِندَ ابتسامها   ومن لؤلؤٍ عِندَ الحديث تُساقِطُهْ

وقول بعضهم أيضاً [من مجزوء الوافر] :

أرى قمرَين قدْ طلعا   علَى غُصنين فى نَسَقِ

وفى ثوْبين قد صُبغا   صباغَ الخدّ والحدَق

---

(١) فى الأصول «والتقى موعد لنا» محرفا ، ولعل أصله «والنقى» بالنون

فهذى الشمس فى شفق وهذا البدر فى غسق

وما أحسن قول على بن مليك فى هذا النوع [من السريع] :

بالروح أفدى صاحباً لم يزل مختقراً ذنبى فى عفوه
فكفه كالماء فى جوده وقلبه كالماء فى صفوه

وقد أحسن هنا ابن حجة فى تسمية النوع حيث قال [من البسيط] :

يمناه كالبرق إن أبدوا ظلام وغى والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

* * *

شاهد : الجمع مع التقسيم

١٢٩ حتى أقام على أرباض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

البيتان لأبى الطيب المتنبى، من قصيدة من البسيط، يمدح بها سيف الدولة ابن حمدان ، أولها [(١)]

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا
أهل الحفيظة إلا أن تجربهم وفى التجارب بعد الغى ما يزع
وما الحياة ونفسى بعد ما علمت أن الحياة كما لا تشتهى طبع
ليس الجمال لوجه صح مارنه أنف العزيز بقطع العز يجتدع
أأطرح المجد عن كتفى وأطلبه وأترك الغيث فى غمدى وأنتجع
والمشرفية لا زالت مشرفة دواء كل كريم أو هى الوجع
وفارس الخيل من خفت فوقرها فى الدرب والدم فى أعطافها دفع
وأوجدته وما فى قلبه قلق وأغضبته وما فى لفظه قذع [(٢)]

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (٢-٢٢١)

(٢) فى الأصول « وأغضبته ومافى قلبه فزع » وهو تحريف لا يتناسب مع ما انبنى عليه ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان، والقذع : الفحش والسب يعنى أنه إذا غضب لم يفحش لأنه حليم .

باجَيْش يمتنعُ الساداتُ كلُّهمُ ... والجَيْشُ بابن أبى الهَيجَاء يمتنع
قاد المَقانِبَ أقْصى شُرْبها نَهَلٌ ... على الشكيم وأدنى سَيْرِها سَرَعُ
لا يعتَقِى بَلَدٌ مَسْراهُ عن بلدٍ ... كالمَوْت ليْسَ له ريٌّ ولا شِبعُ[1]

و بعده البيتان ، والقصيدة طويلة فريدة .

والأرباض : جمع ربض، بفتح الباء ، وهو سور المدينة، وخرشنة: بلد بالروم وهى التى تسمى الآن أماضية ، والبيع: جمع بيعة، بكسر الباء ، وهى معبد النصارى وإنما لم يقل « من نكحوا » أو « من ولدوا » ليوافق قوله « والنهب ما جمعوا والنار ما زدعوا » وللدلالة على إهانتهم وقلة المبالاة بهم ، حتى كأنهم ليسوا من جنس من يعقل فيخاطبون بخطابه .

والشاهد فيهما : الجمع مع التقسيم ، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ، أو تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم ، فالأول كما فى البيتين وهو ظاهر ، والثانى كما فى البيتين الآتيين بعدهما، وهما:

***

من شواهد الجمع مع التقسيم

١٣٠ — قَوْمٌ إذا حارَبُوا ضرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أو حاولوا النفعَ فى أشياعِهِمْ نفعُوا
سَجيةٌ تلك منهم غيرُ محدَثةٍ ... إن الخلائِقَ فاعلم شَرُّها البِدع

البيتان لحسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه ، من قصيدة من البسيط قالها[2] حين قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر ، وعطارد بن حاجب، وأرادوا المفاخرة بخطيبهم ـ وهو عطارد — وشاعرهم — وهو الزبرقان — فى خبر طويل ، والقصيدة أولها :

---

(١) لا يعتقى : لا يعوق ، ووقع فى بعض الأصول « لا يكتفى » وليس بشىء

(٢) ارجع إليها فى الديوان (٢٤٨) وفى الأغانى (٤ ـ ٩ بولاق) وفيه الخبر الذى يشير اليه المؤلف .

إن الذوائب من فهرٍ وإخوتهم قد بيّنوا سُنّةً للناس تُتّبع
يَرْضى بها كل من كانت سريرتُه تقوى الاله وبالأمر الذى شَرَعوا

وبعده البيتان، وبعدهما :

لا يرقعُ الناسُ ما أوهتْ أكفُّهمُ عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سَبْقٍ لأدنى سبقِهِمْ تبَعُ
أعفّةٌ ذُكرتْ فى الوحْى عفّتُهمْ لا يطبعون ولا يُزْرى بهم طَبَعُ
ولا يضنون عن جارٍ بفضلهم ولا يمسُّهمُ من مطمعٍ طمع
يسمون للحرب تبدو وهى كالحةٌ إذا الزعانفُ من أظفارها خَشَعوا
لا يفرَحونَ إذا نالوا عدوَّهمُ و إن أُصيبوا فلا خورٌ ولا جُزُعُ
كأنهمْ فى الوَغى والموتُ مكتنعٌ أُسودُ بيشةَ فى أرساغها فَدَعُ
خُذْ منهمُ ما أتَوْا عفواً وما مَنعُوا فلا يكنْ همّكَ الأمرَ الذى منعُوا (١)
فإنّ فى حربهم فاتركْ عداوتهمْ سُمّاً يخاضُ عليهِ الصابُ والسَّلَعُ
أكرمْ بقومٍ رسولُ الله قائدُهمْ إذا تفرّقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ
أهْدَى لهمْ مِدْحَتى قلبٌ يؤازرُهُ فيما أرادَ لسانٌ حاذقٌ صَنَعُ
وأنهمْ أفضلُ الأحياءِ كلهمُ إنْ جَدّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا (٢)

ولما أنشد حسّان رضى الله عنه هذه القصيدة بعد أن خطب ثابت بن شماس خطبته المشهورة ، قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤتّى له ، والله لشاعرُه أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطبُ من خطيبنا ، ولأصواتُهم أرفع من أصواتنا ، أعطنى يامحمد ، فأعطاه ، فقال : زدنى ، فزاده ، فقال : اللهم إنه سيد

---

(١) فى الأصل «وما غضبوا ، ولا يكن همك » وأثبتنا مافى الأغانى لأنه ظاهر المعنى واضح المقابلة .

(٢) فى الأغانى والأصول « سمعوا »

العرب ، وهم الذين أنزل الله فى حقهم (إنَّ الذينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ)

ومعنى «حاولوا» راموا وطلبوا ، والأشياع : جمع شيعة ـ بكسر الشين المعجمة ـ وهى : الأنصار والأتباع ، والفرقة : تقع على الواحد والاثنين ، والجمع والمذكر والمؤنث ، والسجية : الغريزة ، وما جُبِل عليه الانسان ، والخلائق : جمع خليقة ، وهى الطبيعة هنا ، والبِدَع : جمع بدعة ، وهى الحدَث فى الدين بعد الكمال ، والمراد بها هنا مستحدثات الأخلاق لا ما هو كالغرائز فيها .

والشاهد فيهما : القسم الثانى من الجمع مع التقسيم ، فانه قَسَّمَ فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضرر الأعداء ، ونفع الأولياء ، ثم جمعهما فى البيت الثانى فى كونهما سجية .

وقد أخذ ابن مفرغ عجز البيت الثانى بِرُمَّتِهِ ، فقال من قصيدة ، [من البسيط] :

جاورْ بنى خلفٍ تحمدْ جوارَهُمُ ... والأعظمين دفاعاً كلما دفعوا
والمطعمين إذا ما شَتْوَةٌ أزمتْ ... فالناس شَتَّى إلى أبوابهم سُرُعُ
همْ خيرُ أقوامهم: إن حدَّثوا صدقوا ، ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

وقد أجاد ابن حجة فى قوله هنا مع تسمية النوع [من البسيط] :

جمع الأعادى بتقسيمٍ يفرّقه ... فالحىّ للأسر والأمواتُ للضَّرَمِ

* * *

شاهد وجه آخر من التقسيم

١٣١ — ثقالٌ إذا لاقَوْا ، خفَافٌ إذا دُعُوا
كثيرٌ إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

البيت للمتنبى ، من قصيدة [١] من الطويل ، أولها :

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ ـ ٣٧٣)

أقلُّ فعالى بَلْهَ أكْثَرَهُ مَجْدُ   وذا الجدُّ فيه نلت أو لم أنل جدُّ(١)
سأطلب حقّى بالقَنَا ومشايخ   كأنهم من طول ما التَثَموا مُرْدُ

و بعده البيت ، و بعده :

وطعن كأنّ الطعن لاطعن عنده   وضرب كأنّ النار من حَرِّهِ بَرْدُ
إذا شئت حفّت بى على كل سابح   رجالٌ كأنّ الموت فى فمها شهد
أذمُّ إلى هـذا الزمان أُهَيْلَهُ   فأعلمهم فَدْمٌ وأحزمهم وَغْـدُ
وأكرمهم كلبٌ وأبصرهم عَمٍ   وأسهدهم فَهْدٌ وأشجعهم قِرْدُ
ومن نكد الدنيا على الحر أن يَرَى   عدواً له ما من صداقته بُدُّ

فهو فى البيت المذكور يصف شدة وطأتهم على العدا ، وثباتهم على اللقاء ، وأنهم مسرعون إلى الاجابة إذا دعوا إلى كفاية مهم، ومدافعة خطب ملمّ ، وأن الواحد منهم يقوم مقام جماعة من غيرهم .

والشاهد فيه : مجىء التقسيم على وجـه آخر ، وهو : أن تُذْكر أحوال الشىء مضافاً إلى كل من تلك الأحوال ما يليق به ، فانه ذكر أحوال المشايخ وأضاف إلى كل منها ما يليق به ، وهو ظاهر .

ومن أنواع الجمع مع التقسيم قول الخالدى [من البسيط] :

فى وجهه كل رَيحانٍ تراح له   منا قلوبٌ وأبصارٌ وتهواه
النرجس الغضُّ عيناه ، وطُرّتُه   بنفسجٌ ، وجنىُّ الورد خدّاه

ومثله قول ابن قلاقس [من الكامل] :

حملت من الأزهار أشباه الرُّبا   فتساوتِ الأمثالُ وَالأشكالُ
فالآس صدغٌ ، والأقاحى مبسمٌ   والورد خدٌّ ، والبنفسج خَالُ

---

(١) وقع فى أصول هذا الكتاب « بل وأكثره مجد » ومعناه ضعيف وما أثبتناه موافق لما فى الديوان .

وقول الصاحب بن عباد فى الوزير بن العميد [من الكامل] :

قدمَ الوزيرُ مقدَّما فى سبقه ... فكأنما الدُّنيا جرتْ فى طوْقهِ

فجبالها منْ حلمهِ ، وبحارُها ... منْ جُودهِ، ورياضها من خُلُقهِ

ومن بديع الجمع مع التقسيم قول ابن سكرة الهاشمى [من البسيط] :

جاء الشتاء وعندى من حوائجه ... سبعٌ إذا القطرُ عنْ حاجاتنا حبسا

كِنٌّ وكيسٌ وكانونٌ وكأسُ طلاً ... معَ الكبابِ وكُسٌّ ناعمٌ وكِسا

وقد تبع ابن سكرة فى جادته هذه التى سلكها جماعة من الأدباء فمنهم من جاراه ، ومنهم من كبا ، فمن ذلك قول بعضهم [من الوافر] :

وكافات الشتاء تعدّ سبعاً ... ومالى طاقةٌ بلقاء سَبْعْ

إذا ظَفِرت بكاف الكيس كَفِّى ... ظَفِرْتُ بمُفْرد يأتى بجَمْعْ

وقول الآخر أيضاً [من البسيط] :

جاء الشتاء وما الكافات حاضرة ... وإنما حَضَرَت منهنّ أبدال

قلٌّ وقرٌّ وقلبٌ موجَعٌ وقلاً ... وقادرٌ هاجرٌ والقيلُ والقَالُ

وقول جمال الدين ياقوت الكاتب [من البسيط] :

جاء الشتاء ببردٍ لا مَرَدّ له ... ولم يطق حجرٌ قاسٍ يقاسيه

لا الكاس عندى ولا الكانون متقدٌ ... كنى ظلامى وكيسى قلَّ ما فيه

دع الكباب وخلِّ الكسّ وا أسفا ... كساً أتغطّى فى دياجيه

ولمؤلفه فى قريب له [من مخلع البسيط] :

قلت لذى صبوةٍ بكافا ... ت شتوةٍ مِنْ عَنَاك دعنى

والَهْفَ قلبى على كساء ... يردُّ برد الشتاء عَنّى

ومن باب « جاء الشتاء » قول الأعرابى [من الكامل] :

جاء الشتاء وليس عندى درهمٌ ... ولقد يصاب بمثل هذا المسلم

وتقسم الناس ٱلجِبابَ وغيرها   وكأنني بفناء مكة مُحرِمُ

وقول آخر من الأعراب [من الكامل] :

جاء الشتاء ومَسَّنا قرٌّ   وأصابنا في عيشنا ضرُّ

ضرٌّ وفقرٌ ونحن بينهم   هذا لعمر أبيكما الشرُّ(١)

وقول جحظة أيضاً [من البسيط] :

جاء الشتاء وما عندي لموَرِقٌ   مما وهبت ولا عندي له خِلَعُ

كانت فبدّدها جودٌ ونعت به   وللمساكين أيضاً بالندى وَلَعُ

وقول أبي نصر بن نباتة السعدي [من البسيط] :

جاء الشتاء وما عندي له عُدَدٌ   إلا ارتعادٌ وتقريص بأسناني

ولو قضيت لما قصَّرت في كفني   هبني قضيت فهبني بعض أكفاني

وقول أبي طالب المأمون في طست الشمع [من الكامل] :

وحديقةٍ تهتز فيها روضةٌ   لم يُنمِها تربٌ ولا أمطار

فصعيدها صفرٌ، ونامي غصنها   شمع، وما قد أثمرته نار

وقول أبي الفضل الميكالي [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ تهفو بلبِّ   المـــرء منه شمائلُ

فالردف دِعصٌ هائل   والقد غُصنٌ مائل

والخدُّ نوَّرُ شقائق   تنقدُّ عنه غلائل

والعرف مثل حدائق   نمّتْ بهن شمائل

والطرف سيفٌ ماله   إلا العـذار حمائلُ

ولطيف قول منصور الفقيه [من الهزج] :

---

(١) كذا في الأصل « ضر وفقر » وليس به بأس ، لكن الأنسب بما تقدمه أن يقول « ضر وقر ــ إلخ »

بنو آدمَ كالنَّبْتِ ونَبْتُ الأرض ألوانُ
فمنه شَجَرُ الصند ل والكافورُ والبَان
ومنــه شــجرٌ أفضــــالُ ما يحمل قَطِرَان

وفى معناه قول رجل من عبد القيس [من الرمل] :

جامل الناس إذا ماجئتهم إنما الناس كأمثال الشجر
منهمُ المنمومُ فى منظرهِ وَهْوَ صلبٌ عودُهُ حُلْوُ الثمرْ
وترَى منهــم أثيثــاً نبتُهُ طعمُهُ مرٌّ وفى العُــدِ خَوَرْ

ومثله قول الآخر أيضا [من السريع] :

الناسُ كالتربِ ومنها هُمُ منْ خَشِنِ اللمْسِ ومن لَيِّنِ
فَجَلمدٌ تَدْمىَ بــهِ أرجُلٌ وإثمدٌ يوضعُ فى الأعــينِ

وقول الآخر [من البسيط] :

والناسُ كالناس إلاأن تجرِّبهمْ وللبصيرةِ حكمٌ ليس للبصرِ
كالأيك مشتبهاتٍ فى منابتها وإنما يقَعُ التفضيل فى الثمرِ

ولأبى عبد الله الغوّاص فى وصف دار [من الكامل] :

يادارَسعدٍ قدْ علتْ شُرُفاتها بُنِيتْ شبيهَةَ قبلةٍ للناسِ
لوُرُودِ وَفدٍ ، أوْ لِدفعِ ملمة ، أو بذلِ مالٍ، أو إدَارةِ كاسِ

وما أحسن قول الرستمى [من الكامل] :

يا ابنَ الذين إذا بنوْا شادُوا ، و إن أسْدَوْا يداً عادوا، و إن يَعِدوا يَفُوا
إن حاربوا لم يُحجِموا ، أو قاربُوا لم يندَموا ، أو عاقبوا لم يشتفُوا
ومتى استجيرُوا أسعفوا، ومتى استُنِيــــلوا أسرفوا، ومتى استعيدوا أضعفوا
إن عاهــدوا لم يخفرُوا ، أو عاقدوا لم يغدرُوا ، أو مُلِّــكُوا لم يعسفُوا

وَ بديع قول ابن شمس الخلافة [من الطويل] :

أملسٌ أبوًا غيرَ التلوُّن عادةً … فشأنهم فى الحبِّ خونٌ وإخلالُ
وصالٌ وهجرٌ ، واجتماعٌ وفرقةٌ … وبذلٌ وإمساكٌ ، وحلٌّ وترحالُ
فإنْ سمحوا ضَنّوا ، وإنْ عطفوا جنَوْا … وإنْ عقَدوا حلّوا ، وإنْ عهِدوا حالوا

وقول ابن هرمة [من البسيط] :

قومٌ لهمْ شرفُ الدنيا وسوددُها … صفوٌ على الناسِ لم يُخلطْ بهمْ رَنَقُ
إن حاربوا وضعوا ، أو سالموا رفعوا ، … أو عاقدوا ضمنوا ، أو حدّثوا صدقوا

ومنه قول حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه يهجو [من البسيط] :

قومٌ لِئامٌ فلنْ تلقى لهمْ شبهاً … إلاّ التيوسَ على أكتافها الشَعر
إنْ سابقوا سُبقوا، أوْ نافروا نُفروا، … أو كاثروا أحداً منْ غيرِهمْ كثروا
قومٌ لئـامٌ أقلّ اللهُ خـيرهمُ … كما تساقطَ حوْلَ القمحةِ البقَرُ
كأنّ رِيحهم فى الناس إذ برزوا … رِيحُ الـكلاب إذا ما بلّها المطر

* * *

١٣٢ — وشوْهاء تعدو بى إلى صارخ الوَغى
بمستلئمٍ مِثل الفنيق المـرَحّلِ

شاهد التجريد

البيت من الطويل ، ولا يعرف قائله

وشوهاء: صفة لفرس، وهى الطويلة الرائعة، والمفرطة رحب الشدقين والمنخرين، والوغى: الحرب ، والمستلئم : لابس اللأمة وهو الدرع ، والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ، ويجمع على فُنُق — بضم أوله وثانيه — والمرحل: من رَحَل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله

والشاهد فيه : التجريد ، وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله فيهـا مبالغة لكمالها فيه، وهنا قال: تعدو بى ومعى من نفسى لابس درع لكمال استعدادى للحرب ، فبالغ فى اتصافه بالاستعداد حتى انتزع منه مستعداً آخر لابس درع ، والله أعلم .

شاهد التجريد من غير توسط حرف

١٣٣ — ولئنْ بَقيتُ لأرحلنْ بغزْوةٍ ... تحوي الغنائمَ أو يموتَ كريمُ

البيت لقتادة بن مسلمة الحنفي ، من قصيدة من الكامل أولها :

بكرتْ عليَّ منَ السفاهِ تلومُني ... سفهاً تُعجِّزُ بعلَها وتلومُ

لما رأتني قدْ رزئتُ فوارسي ... وبدتْ بجسمي نهكةٌ وكلومُ

ما كنتُ أولَ منْ أصابَ بنكبةٍ ... دهرٌ وحيٌّ باسلونَ تجيمُ

إلى أن يقول فيها :

ومعي أسودٌ منْ حنيفةَ في الوغى ... للبيضِ فوقَ رؤوسهمْ تسويمُ

قومٌ إذا لبسوا الحديدَ كأنهمْ ... في البَيْضِ والحلقِ الدلاصِ نجومُ

و بعده البيت

والغنائم : جمع غنيمة ، وهي الفوز بالشيء بلا مشقة .

والشاهد فيه : التجريد بدون توسط حرف ، فإنه عنى بالكريم نفسه ، فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه ، ولذا لم يقل أو أموت .

* * *

شاهد التجريد بطريق الكناية

١٣٤ — يا خيرَ منْ يركبُ المطيَّ ولاَ ... يشربُ كأساً بكفِّ منْ بَخِلا

البيت من المنسرح ، وقائله الأعشى ، من قصيدته السابقة[1] في شواهد المسند

والشاهد فيه : التجريد بطريق الكناية ، فإنه انتزع من الممدوح جواداً يشرب هو الكأس بكفه ، على طريق الكناية ، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبته له بكف الكريم ، ومعلوم أنه شرب بكفه ، فهو ذلك الكريم .

* * *

١٣٥ — * لاَ خيلَ عِندكَ تُهديها ولاَ مالُ *

قائله أبو الطيب المتنبي ، وهو أول قصيدة من البسيط[2] يمدح بها فاتكا

(١) انظر شرح الشاهد (رقم ٣٥ في ج ١ ص ١٩٤ من هذا الكتاب)
(٢) اقرأها في الديوان (٣ – ٢٧٦)

وقد حمل إليه هدية ألف دينار، وكان يحصر مقها، وتمامه:

« فليسعد النطق إن لم تسعد الحال »

وبعده:

واجز الأمير الذى نعماه فاجئة ... بغير قول، ونعمى الناس أقوال
فربما جزت الاحسان موليه ... خريدة من عذارى الحى مكسال
وإن تكن محكمات الشكل تمنعنى ... ظهور جرى فلى فيهن تصهال
وما شكرت لأن المال فرحنى ... سيان عندى إكثار وإقلال
لكن رأيت قبيحاً أن يجد لنا ... وأننا بقضاء الحق بخال

وهى طويلة، وأراد بالحال الغنى

والشاهد فيه: التجريد بمخاطبة الانسان نفسه، فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله فى فقد الخيل والمال والحال، ومثله قول الأعشى [من البسيط]

ودع هريرة إن الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعاً أيها الرجل(١)

ومن الأمثلة فى التجريد قول التميمى نجدة بن عامر الحنفى الخارجى [من الوافر]:

متى تلق الجريش جريش سعد ... وعباداً يقود الدارعينا
تبين أن أمك لم تورك ... ولم ترضع أمير المؤمنينا

ومثله قول ذى الرمة أيضاً [من الطويل]:

وليل كجلباب العروس ادرعته ... بأربعة والشخص فى العين واحد(٢)

---

(١) الرواية « وهل تطيق وداعاً أيها الرجل »

(٢) وقع فى أصول هذا الكتاب صدر هذا البيت « وليل كأبناء السويدى جبته » وما أثبتناه موافق لما فى الحيوان للجاحظ (٣-٢٥٠) وفى ديوان المعانى (٢ - ٣٥٢) وفى الصناعتين (١٧٥و٢٢١) وفى العمدة (٢-٢٩) وفى شرح الشريشى على المقامات(١-٧١)وفى الموازنة بتحقيقنا (٧٠)

أحمّ علافيٌّ وأبيض صارمٌ وأعيس مهريٌّ وأروع ماجدُ

أراد بالأحم العلا فى الرحل ، وهو منسوب إلى علاف رجل من قضاعة تنسب إليه الرحال لأنه أول من عملها ، وأراد بالأروع الماجد نفسه ، وهو تجريد ظاهر ، لأن قوله « جبته بأربعة » ثم عد فيها الأروع الماجد مُشْعِر بأنه شخص آخر ، وهو معنى التجريد .

ومنه قول الشاعر [من الطويل] :

أباحتْ بنو مروانَ ظلماً دِماءنا وَفى اللهِ إنْ لم يُنْصِفوا حكمٌ عدلُ

وقول المعرى [من البسيط] :

هاجتْ نمير فهاجتْ منك ذا لبَدٍ والليثُ أفتكُ أفعالاً من النَّمِرِ

وقول الشاعر أيضاً [من الطويل] :

وبى ظَبيةٌ أدماء ناعمةُ الصلاَ تحار الظباء الغيدُ منْ لفتاتها

أعانق غصنَ البانِ من لين قدِّها وأجنِى جنِيَّ الوردِ من وَجَناتها

وقول الآخر أيضاً [من البسيط] :

إنْ تلقَنِي لا ترَى غيرِى بناظرةٍ ينسى السلاحَ ويغزو جَبْهَةَ الأسدِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من المتقارب] :

جزيل الندَى ذو أيادٍ غدتْ يُحدِّثُ عنهنَّ فى كلِّ نادِى

يُلاقيكَ منه إذا جئتهُ كثير الرَّمادِ طويلُ النجادِ

* * *

شاهد المبالغة (التبليغ)

١٣٦ — فعادَى عِداء بينَ ثورٍ ونعجةٍ دِراكاً ولم يُنْضَحْ بماء فيُغْسَلِ

البيت لامرىء القيس ، من قصيدته المشهورة السابقة فى شواهد المقدمة[1]
وقبل البيت :

---

(١) انظر شرح الشاهد (رقم ١ فى ج ١ ص ٨ من هذا الكتاب)

فَعَنّ لنا سِربٌ كأنّ نِعاجهُ عذارَى دَوارٍ فى مُلاَءٍ مُذيَّلِ
فأدْبرْن كالجزعِ المفَصَّل بينه بجيدٍ مُعِمّ فى العشيرةِ مُخْوِلِ
فألْحَقَنا بالهاديات ودونهُ جَوَاحرُها فى صَرَّةٍ لم تزَيَّلِ (١)

و بعده البيت ، و بعده :

فظَلّ طُهاةُ اللحم من بين مُنْضِجٍ صفيفَ شِوَاءٍ أو قديرٍ مُعَجّلِ (٢)
وَرُحنا يكادالطَّرْفُ يَقصرُ دونهُ متى ما ترَقّ العينُ فيه تَسَهّلِ
فباتَ عليه سَرْجُهُ ولجامُـهُ وَبات بعيني قائماً غـيرَ مُرْسَلِ

والمعنى فى البيت أنه يصف فرسه بأنه لا يعرق و إن كثر العَدْوُ منه، والعِداء بالكسر والمد — الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما على أثر الآخر فى طلق واحد، وَأراد بالثور الذكر من بقر الوحش ، و بالنعجة الأنثى منها ، ومعنى « دراكا » متتابعاً ، و « يغسل » مجزوم معطوف على ينضح ، والمعنى لم يعرق فيغسل .

والشاهد فيه : المبالغة ، و يسمى التبليغ ، وهو : ادعاء ممكن عقـلا وعادة ، فانه ادعى أن فرسه أدرك ثوراً و بقرة وحشيين فى مضمار وَاحد وَلم يعرق ، وهذا ممكن عقلا وعادة .

وقد استعمل امرؤ القيس هـذا المعنى فى شعره كثيراً ، فقال من قصيـدة [من الطويل]

وعاديتُ منهُ بين ثوْرٍ ونعجةٍ وكان عِدَاَئى إذ ركبتُ على بالى

وقال أيضا من أخرى [من الطويل] :

فأقصدَ نعجة وأعرض ثورُهَا كفحل الهجان ينتحى لغضيض

---

(١) فى شرح القصائد العشر للتبريزى * فالحقه بالهاديات . . . . *

(٢) فى الأصـل « ضعيف شواء » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن شرحي التبريزى والزوزنى على المعلقات .

ووالى ثلاثاً واثنتين وأربعاً وغادر أخرى فى قناةٍ رفيض

وقال أيضا من أخرى [من الطويل] :

فأدرك لم يعرقْ مناطُ عذاره يمرُّ كخذروفِ الوليد المثقّبِ

إلى أن قال بعد أبيات [من الطويل] :

فغادرَ صَرْعَى من حمارٍ وخاضبِ وتيسٍ وثَوْرٍ كالهشيمة قرهبِ

وقال من أخرى [من الطويل] :

فصادَ لنا عيراً وثوراً وخاضباً عِداءً ولم يَنْضَحْ بماء فيعرَقِ

وقد ألم المتنبى بهذا المعنى ، فقال فى وصف جواد وأجاد [من الطويل] :

وأصرَعُ أىَّ الوحش قفّيْتُهُ بهِ وأنزلُ عَنهُ مثلهُ حين أركبُ

وينظر إلى صدر بيت المتنبى قوله أيضا [من الطويل] :

وَخَيْلٍ إذا مرّتْ بوحشٍ ورَوضةٍ أبَتْ رَعْيَهَا إلا ومِرْجَلُنَا يغلى

وقد ألم به أبو طاهر الأردستانى بقوله من قصيدة [من الطويل] :

طِمِرٍّ أبىَ أن يرتعَ العشبَ فى الطَّوَى ولم نغلِ للأضياف فى الحىّ مِرْجَلاَ

ومنه قول امرىء القيس أيضا [من الطويل] :

إذا ما ركبنا قالَ ولدانُ بيتنا تعَالَوْا إلى أن يأتىَ الصيدُ نحطِب

يشير إلى سرعة مجيئهم بالصيد وقوة يقينهم بالظفر به .

ومثله قول ابن المعتز فى وصف البازى [من الرجز] :

قدْ وثقَ القومُ لهُ بما طلبْ فهوَ إذا خلى لِصيدٍ واضطربْ

عدُّوا سكاكينهم منَ القرَبْ

ومثله قول الآخر فيه [من الرجز] :

مُبَارَكٌ إذَا رَأى فَقَدْ رُزِقْ

رجع إلى المبالغة وإن لم نخرج عنها .

قال ابن أبي الأصبع : أبلغ شعر سمعته في باب المبالغة قول شاعر الحماسة [من الطويل] :

رَهَنْتُ يدي بالعجزِ عن شُكْرِ برّهِ وما فوقَ شكرِى للشكورِ مزيدُ
ولو كان مما يستطاعُ استطعتهُ ولكنَّ ما لا يستطاعُ شديدُ

ومن هنا قال أبو نواس [من الكامل] :

لا تُسْدِيَنَّ إلىّ عارفةً حتى أقومَ بشكرِ ماسلفَا

ومن المبالغة قول النظام [من الطويل] :

توهَّمَهُ طرْفي فآلمَ خدَّهُ فصار مكانُ الوهمِ من نَظرى أثرُ
وصافحه كفى فآلمَ كفَّهُ فمِنْ صَفحِ كفي في أناملِهِ عَقْرُ
ومرَّ بفكرى خاطرا فجرحتهُ ولم أرَ خلقاً قطّ يجرحهُ الفكرُ

يقال إن الجاحظ لما بلغه ذلك قال : هذا ينبغى أن لا يناك إلا بأيرٍ من الوهم .

وعجيب في المبالغة قول السلامي في عضد الدولة أيضا [من الطويل] :

إليكَ طوَى عَرْضَ البسيطةِ عاجِلاً قُصَارَى المطايا أن يلوحَ لها القصرُ
فكنتُ وعزمى في الظلامِ وصارمى ثلاثةَ أشباهٍ كما اجتمع النسْرُ
وبشَّرْتُ آمالي بملْكٍ هو الورى ودارٍ هي الدنيا ويومٍ هوَ الدَّهرُ

وقوله أيضا ، وأجاد [من البسيط] :

أقبِلْ عليَّ وقلْ ضيفى ومتَّبعِى وشاعرى قاصدِى راجيَّ مُمتَارِى
أنتَ الأنامُ فمن أدعو وحضرَتكَ الدُّنيا فأينَ أقضِّى بعضَ أوطارِى

ومثله قول المتنبي [من الطويل] :

هى الغرضُ الأقصى ، ورُؤيتكَ المُنَى ومنزلُكَ الدُّنيا ، وأنتَ الخلائقُ

وقول القاضي ناصح الدين الأرجاني [من البسيط] :

ياسائلي عنهُ لمّا جئتُ أمدحهُ هذا هوَ الرجلُ العارى من العارِ
لقيتهُ فرأيتُ الناسَ في رجُلٍ والدهر في ساعةٍ والأرض في دارِ

وقول أبى محمد الخوارزمى [من الطويل] :

ألا يا سائلى عن كنه علياه إنه لأعطى ما لم يعطه الثقلان
فمن يره فى منزل فكأنما رأى كل إنسان وكل مكان

ومن بديع المبالغة قول ابن نباتة السعدى فى سيف الدولة من قصيدة وأجاد [من البسيط] :

قد جدت لى باللهى حتى ضجرت بها وكدت من ضجرى أثنى على البخل
إن كنت ترغب فى بذل النوال لنا فاخلق لنا رغبة أولا فلا تنل
لم يبق جودك لى شيئاً أؤمله تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

وأبلغ منه قول أبى الفرج الببغاء ، فى سعد الدولة ، ابن سيف الدولة ، [من المنسرح] :

لا غيث نعماه فى الورى خلب الـــبرق ولا ورد جوده وشل
جاد إلى أن لم يبق نائله مالا ولم يبق للورى أمل

وقريب من هذا المعنى قول ابن بابك فى الصاحب بن عباد [من البسيط] :

فحسن ظنك بى استوفى مدى أملى وحسن رأيك بى لم يبق لى أربا

ومن محاسن المبالغة قول ابن اللبانة ، وقد رأى ابن المعتمد بن عباد صائغاً بعد الملك [من البسيط] :

أذكى القلوب أسى أجرى الدموع دما خطب وجودك فيه يشبه العدما
وعاد كونك فى دكان قارعة من بعد ما كنت فى قصر حكى إرما
صرفت فى آلة الصواغ أنملة لم تدر إلا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها فتستقل الثريا أن تكون فما
ياصائغاً كانت العليا تصاغ له حلياً وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ فى الصور هول ما حكاه سوى يوم رأيتك فيه تنفخ الفحما

وَدِدْتُ إذْ نَظَرَتْ عيني إليكَ بهِ لَوْ أنَّ عَيْنِيَ تَشكو قبْلَ ذَاكَ عمى
لُحْ فى العُلاَ كوكباً إن لم تَلُحْ قمراً وقُمْ بها رَبْوَةً إنْ لَمْ تَقُمْ عَلَمَا

وما أبلغ قول السلامى [من الطويل] :

فنى جيشهِ خمسونَ ألفاً كعنترٍ وأمضَى وفى خزّانـهِ ألفُ حاتمِ

ولمؤلفه فيها من قصيدة [من المتقارب] :

متى لَمَسَتْ كفهُ مُعدماً أصابَ الغنى وانثنى مُسْعَفَا
وإنْ لَمَحَتْ عينهُ خاملاً غدَا نابهاً قبلَ أنْ يَطْرِفَا

ومن المبالغة فى المجون قول ابن حجاج [من الوافر] :

فتَاةٌ كالمهَاةِ ترُوقُ عيني مشَاهِدُها وتفتنُ منْ رآهَا
تكادُ تردُّ للمجبُوبِ أيراً وتحدثُ للفتىَ العنِّينِ باهَا

وهو من قول جحظة البرمكى [من الكامل] :

لوْ مرّ بالأعمى لأبصرَ أو بعِنِّينٍ لأنعظْ

ولقد أحسن الخالدى وأجاد إلى الغاية فى قوله من قصيدة [من البسيط] :

كأنمَا منْ ثنَاياهَا ومبسِمِهَا أيدى الغمَام سرَقْنَ البرْدَ والبرَدَا

وَبديع قول السلامى أيضا [من الطويل] :

تبسمْتَ والخيلُ العتاقُ عوابسٌ وأقدَمتها والحرْبُ لم تتأجّجِ
فمَا وطئَتْ إلا علىَ خدّ سيدٍ ولا عثرَتْ إلا برَأسٍ متوّجِ

وقد أغرب الوأواء الدمشقى بقوله [من الوافر] :

متى أرْعى رياضَ الحسنِ منهُ وعيْنى قدْ تضمنهَا غديرُ
ولوْ نُصِبَتْ رَحًى بإزاء دَمعى لكانتْ مِنْ تحدُّرهِ تدُورُ

ومن المبالغة فى البخل قول ابن الرُّومى [من الكامل] :

لو أن قصرك يا ابن يوسف ممتلي ... إبرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ... ليخيط قدّ قميصه لم تفعل

ومثله قول كشاجم [من الكامل]:

يا من يؤمّل جعفرا ... من بين أهل زمانه
لو أن فى أستك درهما ... لاستلّه بلسانه

وقول دعبل [من الخفيف]:

إن هذا الفتى يصون رغيفا ... ما إليه لناظر من سبيل
هو فى سفرتين من أدم الطا ... ئف فى سلتين فى منديل
ختمت كل سلّة بحديد ... وسيور قددن من جلد فيل
فى جراب فى جوف تابوت موسى ... والمفاتيح عند إسرافيل

وقول بعضهم أيضا [من الوافر]:

فتى لو أدخل الحمام حولا ... وحولا بعد أحوال كثيره
وألبس ألف فرو بعد ألف ... ولحف حشوها قطن الجزيره
وأوقدت الجحيم عليه حتى ... تصير عظامه مثل الذريره
لما عرقت أنامله لبخل ... بعشر عشير معشار الشعيره

ومنه قول بعضهم [من الوافر]:

رغيفك فى الحجاب عليه قفل ... وحراس وأبواب منيعه
رأوا فى بيته يوما رغيفا ... فقال لضيفه: هذا وديعه

ومنه قول عبدان الأصبهانى [من المتقارب]:

رغيفك فى الأمن يا سيدى ... يحل محل حمام الحرم
فلله درك من سيد ... حرام الرغيف حلال الحرم

وقول ابن الرومى أيضا [من المنسرح]:

فتىً عَلَى خُبزِه ونائلهِ أشفقُ من والدٍ على ولدِه
رَغيفهُ مِنهُ حِينَ تسألهُ مكانَ روحِ الجبانِ من جسَدِه

ومن المبالغة فى الهجو قول الشريف الناسخ [من الخفيف] :

لستُ أخشى حرَّ الهجير إذا كا ن حسينُ الصوَّاف فى الناسِ حيَّا
فبِبيتٍ من شعرهِ أتقِي الحرَّ وفِي ظلِّ أنفهِ أتفيَّا

ومنه قول الآخر أيضا [من السريع] :

وَرُبَّ أنف لصديق لنا تحديدُهُ ليسَ بمعلومِ
ليسَ عن العرش له حاجبٌ كأنهُ دَعوةُ مظلومِ

وقول النجم يحيى أيضا [من الكامل] :

شبهتُ أنفكَ كردكوذَ بعينِها والفرقُ بينهما جليٌّ المقصدِ
إنَّ الملاحدَ أصبحوا فى قلعةٍ ورأيتُ أنفكَ قلعةً فى ملحدِ

وقول الصابى يهجو أبخر [من الكامل] :

قد أبصرتْ عيني العجائبَ كلها ما أبصرت مثلَ ابن نصرٍ أبخرا
ما شمَّ نكهتهُ امرُؤ متعطرٌ إلا وعادَ مُخاطهُ منها خرَا

وقوله فيه أيضاً [من الكامل] :

نطق ابن نصرٍ فاستطارتْ جيفةٌ فى العالمينَ لنتْنِ فيهِ الفاسدِ
فكأنَّ أهل الأرض كلهم فَسَوْا متواطئينَ علىَ اتفاقٍ واحدِ

ومثله قول ابن زريق الكوفى الكاتب [من الطويل] :

ولى صاحبٌ أفسَى البريةِ كلها يشككنى فيهِ إذَا ما تنفسَا
تحوَّلتِ الأنفاسُ منهُ إلى استه فما أحدٌ يدرى تنفسَ أمْ فسَا

ولبعضهم ، وأجاد [من الوافر] :

أتانا عالمٌ من أرض فاسٍ يجادلُ بالدليل وبالقياسِ
وما فاسٌ ببلدتهِ ولكنْ فسَا يفسُو فساء فهو فاسِى

وقول ابن درة الشاعر فى معيان [من مخلع البسيط] :

مدوَّر الكعب ، فاتخذهُ ... لِتلٍّ غَرْسٍ وثلٍّ عرْشِ

لوْ رَمقَتْ عينهُ الثريَّا ... أخرَجها فى بَناتِ نعْشِ

وقد بالغ بعضهم فى ملازمة الرقيب بقوله [من الخفيف] :

أنا والحِبُّ ما خلوْنا ولاطرْ ... فةَ عينٍ إلاَّ علينا رقيبُ

مااجتمعْنا بحيثُ أنْ يمكنَ الدّهْـ ... ـرُ بأنى أقولُ أنتَ الحبيبُ

بلْ خلوْنا بقدرِ ما قُلتُ أنتَ الـ ... ـحَ فوَافى فقُلت كيمُ الطَّبيبُ

ومن المبالغة نوع يسمى الاستظهار، كقول ابن المعتز العباسى لابن طبا طبا العلوى أو غيره [من المتقارب] :

الاستظهار (نوع من المبالغة)

فأنتمْ بنو بنتهِ دُوننا ... ونحنُ بنو عمهِ المسلمِ

فقوله « المسلم » استظهار لأن العلوية من بنى عم النبى صلى الله عليه وسلم أيضاً أعنى أبا طالب ، ومات جاهليا ، فكأن ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة وقد أخذه ابن المعتز من قول مروان[1] بن أبى حفصة وكان شديد العداوة لآل أبى طالب حين قال مخاطبا لهم [من الكامل] :

خلوا الطّريقَ لمعشرٍ عاداتُهمْ ... حَطمُ المناكِب يومَ كلّ زِحامِ

ارْضوا بما قسمَ الالهُ لكمْ به ... ودَعُوا وِراثة كلّ أصْيدَ سامِى

أنَّى يكونُ وليسَ ذاكَ بكائنٍ ... لِبنى البناتِ وِراثةُ الأعمامِ

وقد أخذه من مولًى لتمام بن العباس بن عبد المطلب ، قاله لمولى من موالى النبى صلى الله عليه وسلم ، لما أتى الحسين رضى الله عنه، فقال له : أنا مولاك ياابن رسول الله صلى الله عليه وسلم [من الطويل] :

---

(١) فى المطبوعتين « من قول ابن مروان » بزيادة ابن .

جحدتَ بنى العباسِ حقَّ أبيهمُ فما كنت فى الدَّعوَى كريمَ العواقبِ
متى كانَ أوْلادُ البنـاتِ كوارثٍ يحوزُ ويُدْعَى والداً فى المنـاسبِ

ومثله قول الطاهر بن على بن سليمان بن على بن عبدالله بن العباس فى الطالبيين [من الـكامل] :

لو كانَ جدُّكمُ هُناكَ وجدُّنا فتنازَعا فيهِ لوَقتِ خِصامِ
كانَ التراثُ لجدِّنا منْ دونهِ لحواهُ بالقرْبى وبالإسلامِ
حقُّ البناتِ فريضةٌ معلومة والعَمُّ أوْلى منْ بنى الأعمامِ

* * *

١٣٧ — ونـكرمُ جارَنا ما دامَ فِينا ونُتبعهُ الـكرامةَ حيثُ مالاَ

البيت من الوافر ، وهو لعمرو بن الأهتم التغلبي .

شاهد الاغراق

والشاهد فيه : الإغراق ، وهو : ادعاء ممكن عقلا لاعادة ، فإنه ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جانب إلا وهو يرسل الـكرامة والعطاء إليه على أثره ، وهذا ممكن عقلا ممتنع عادة ، ومن أمثلته قول امرىء القيس [من الطويل] :

تنوّرْتُها منْ أذْرعاتٍ وأهلُها بيثربَ ، أدْنى دارِها نَظَرٌ عالى

فإن أذرعات من الشام ، ويثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، ورؤية النار من بعد هذه المسافة لا يمتنع عقلا ، ويمتنع عادة

ومن محاسن ما استشهدوا به على نوع الإغراق قول القائل [من الطويل]:

ولو أنَّ ما بِى منْ جوًى وصبابةٍ على جملٍ لم يدخُلِ النار كافرُ

يريد أنه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل فى سم الخياط ، وذلك لا يستحيل عقلا ، إذ القدرة صالحة لذلك ، لـكنه ممتنع عادة

أمثلة من مبالغات الشعراء

وقد تفنن الشعراء فى المبالغة فى النحول ، فمن ذلك قول المتنبي [من البسيط] :

رُوحٌ تردَّدُ فى مثلِ الخلالِ إذَا أطارَتِ الرِّيحُ عنهُ الثَّوبَ لم يَبنِ
كفَى بِجسمى نحُولاً أننى رجلٌ لوْلا مخـاطبتى إيّاكَ لمْ ترَنِى

وقد أخذه من قول الآخر [من البسيط] :

برى ضنًى لم يدَعْ منى سوى شبحى لوْ لم أقلْ ها أنا لِلنَّاس لم أبِنِ

ومثله قول بعضهم [من البسيط] :

ها فانظرُونى سقيماً بعدَ فُرقتكمْ لوْ لم أقلْ ها أنا للناس لم أبنِ

لوْ أن إبرَةَ رفَّاء أكلفُها جرَيتُ فى ثقبهامنْ دقةِ البدنِ

وما ألطف قول الشيخ شرف الدين بن الفارض فى هذا المعنى [من الطويل] :

كأنى هلالُ الشكِّ لوْلاَ تأوُّهى خفيتُ فلم تُهدَ العيونُ لرؤيتى

ومثله قول نصر السفاقسى [من البسيط] :

أذَابهُ الحبُّ حتى لوْ تمثلهُ بالوَهمِ خلقٌ لأعياهمْ توَهُّمُهُ

لوْلاَ الأنينُ ولوْعاتٌ تحرِّكهُ لم يدْرِهِ بعيانٍ منْ يكلمهُ

ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

قــدْ سمعتمْ أنينهُ منْ بعيدٍ فاطلبُوا الشخْصَ حيثُ كانَ الأنينُ

وقول ابن حجة الحموى [من البسيط] :

وقدْ تجاوَزَ جسمى حدَّ كلِّ ضنًى وَها أنا اليوْمَ فى الأوْهامِ تخْييلُ

وما أحسن قول بشار [من الطويل] :

سلبْتِ عظامِى لحمهــا فتركتهــا عوَارىَ فى أجْلادِهــا تتكسَّرُ

وأخليْتِ منهــا مُخهــا فتركتهــا أنابيبَ فى أجوافِها الرِّيح تَصفِرُ

خُذِى بيدِى ثمَّ ارْفعى الثوْبَ فانظرِى ضنى جسدِى لــكنَّنى أتسترُ

وليسَ الذِى يجرى منَ العينِ ماؤُها ولــكنها نفسٌ تَذوبُ فتقطرُ

ومثل البيت الأخير قول ديك الجن [من الخفيف] :

ليسَ ذَا الدَّمعُ دَمعَ عينى ولكنْ هى نَفْسٌ تُذيبها أنفـاسِى

وقول ابن دريد أيضاً [من الكامل] :

لا تحسبى دَمعى تحدَّرَ ، إنَّما رُوحى جرَتْ فى دَمْعِيَ المتحدِّرِ

ومن الإغراق قول أبى القاسم بن هانى [من الكامل] :

لبسَ الصباحُ بهِ صباحاً مسفراً وسقتْ شمائلهُ السحابَ سحابا

وقول المتنبي [من الطويل] :

وثقنا بأنْ تعطِى فلوْ لمْ تجُدْ لنا حسبْناكَ قدْ أعطيْتَ منْ قوةِ الوَهمِ

ولم أقف على ترجمة ابن الأهتم التغلبي قائل البيت

*
* *

١٣٨ — وأخفتَ أهلَ الشِّرْكِ حتى إنهُ لتخافكَ النطفُ التى لم تُخلَقِ

شاهد الغلو

البيت لأبى نواس، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد، أولها:

خلَقَ الزمانُ وشِرَّتِى لم تخلق ورميْتُ فى غرضِ الزّمانِ بأفوقِ

تقعُ السهامُ وَراءهُ وكأنهُ أثرَ الخوالفِ طالبٌ لم يلحَقِ

وأرَى قُوَاىَ تكاءدتْها رَيثةٌ فإذا بطشتُ بطشتُ رِخوَ المرْفقِ

ولقدْ غدوْتُ بمستبانٍ معلمٍ صخبِ الجلاجلِ فى الوظيف منسق

حر صنعناه لتحسن كفُّه عملَ الرفيقة واستلابَ الأخرقِ

واستمر فى وصف البازى إلى أن قال :

هذا أميرُ المؤمنينَ انتاشنى والنفسُ بينَ محنجر ومُخنَّقِ

نفسى فداؤكَ يومَ دابقَ منهما لولا عواطفُ حلمهِ لم أُطلَقِ

حرَمتَ منْ لحمِى عليكَ محللاً وجمعتَ منْ شتى إلى متفرقِ

فاقذفْ برَحلكَ فى جنابِ خليفةٍ سبّاقِ غاياتٍ بها لم يُسبَقِ

إلى أن قال :

إنى حلفتُ عليكَ جهدَ أليَّةٍ قسماً بكلِّ مُقصرٍ ومُحلّقِ

لقدِ اتقيتَ اللهَ حقَّ تقاتهِ وجهدْتَ فيهِ فوقَ جهدِ المُتقى

و بعده البيت ، و بعده :

وبضاعةُ الشُّعراءِ إنْ أنفقتها نفقتْ وإنْ اكسدْتَهَا لم تنفقِ

والشاهد فى البيت : الغلو ، وهو : ادعاء مالا يمكن عقلا ولا عادة ، فانه ادعى أن النُّطَفَ غير المخلوقة تخاف من سطوته ، وهذا ممتنع عقلا وعادة .

ومن ألطف ما يحكى هنا أن العتابى الشاعر لقى أبا نواس فقال له : أما استحييت من الله بقولك:

* وأخفت أهل الشرك — البيت *

فقال له أبو نواس : وأنت ما استحييت من الله بقولك [من البسيط] :

ما زلتُ فى غَمراتِ الموتِ مُنطرحاً يضيقُ عنى وسيعُ الرأْى منْ حِيلى

فلمْ تزَلْ دائماً تَسعى بلطفكَ لى حتى اختلَسْتَ حياتى منْ يدَىْ أجلى

فقال له العتابى : قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل ذاك ، ولكنك أعددت لكل ناصح جوابا .

وقد استعمل أبو نواس معنى البيت ثانيا ، فقال من قصيدة أخرى [من الكامل] :

أمثلة من الغلو

حتى الذى فى الرَّحِم لم يكُ صُورةً لفؤادهِ منْ خوفهِ خفقانُ

ومن الغلو أيضا قول البحترى [من الكامل] :

ولوَ أنّ مُشتاقاً تكلفَ فوقَ ما فى وُسعهِ لسعى إليكَ المنبرُ

ومن هنا أخذ المتنبى قوله [من الكامل]

لوْ تعقلُ الشجرُ التى قابلتَهَا مدتْ مُحييِّةً إليكَ الأغصنا

إلا أن بيت البحترى أحسن وأمكن

حدث أحمد البلاذرى المؤرخ ، قال : كنت من جلساء المستعين بالله ، فقصده الشعراء ، فقال: لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحترى فى المتوكل :

* ولو أن مشتاقا — البيت *

فرجعت إلى بيتى ، وأتيته ، وقلت : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى فقال : هات ، فأنشدته [من الطويل] :

ولوْ أن بُرْد المصطفى إذْ لبستَهُ يظنُّ الظنّ البردُ أنكَ صاحِبُهْ

وقالَ وقدْ أُعطيته ولبستَهُ نَعَمْ هذهِ أعطافهُ ومناكبُهْ

فقال : ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به ، فرجعت ، فبعث إلى بسبعة آلاف دينار ، وقال : ادخر هذه للحوادث بعدى ، ولك على الجراية والكفاية ما دمت حيا .

ومنه قول أبى نواس فى وصف الخمر [من مخلع البسيط] :

لاينزلُ الليلُ حيثُ حلَّتْ فدهرُ شُرَّابها نهارُ

وقول الآخر أيضا [من الكامل] :

منعَتْ مهابتُكَ القلوبَ كلاَمها بالأمرِ تكرَهُهُ وإنْ لم تعلمِ

وقول التمار الواسطى ، وقيل : نصر الخابز [من السريع] :

قدْ كانَ لى فِيما مَضى خاتمٌ واليومَ لوْ شئْتُ تَمنطقْتُ بهْ

وذُبْتُ حتى صِرْتُ لوزُجّ بِى فى مُقلةِ النائم لم ينتبهْ

وقول كشاجم [من الطويل] :

وما زَال يبرِى جُمْلةَ الجسمِ حُبُّهَا وينقصهُ حتى لطُفْتُ عنِ النقْصِ

وقدْ ذُبْتُ حتى صرْتُ إذا أنا جِئتها أمنْتُ عليها أنْ يرَى أهلُها شَخْصى

وقول المظفر بن كيغلغ [من مخلع البسيط] :

عبدُكَ أمرضْتَهُ فعُدْهُ أتلِفْهُ إنْ لم تكنْ تُرِدْهُ

ذَابَ فلوْ فَتَّشْتَ عليه كفُّكَ فى الفرْش لم تجدْهُ

وقول ابن دانيال أيضا [من المتقارب] :

مُحِبٌّ غدا جسمه ناحلاً يكاد لفرط الضنى أن يذوبا
ورَقّ فلو حرّكته الصَّبا لصار نسيما وعادت قضيبا

ومن الغلو قول الفرزدق يمدح العذافر بن زيد [من الطويل] :

لعمرك ما الأرزاق حين اكتيالها بأكثر خيراً من خِوان العذافر
ولو ضافه الدجال يلتمس القِرَى وحلّ على خبازه بالعساكر
بعدة يأجوج ومأجوج كلهم لأشبعهم يوما غداء العذافر

وقال بعض أهل الأدب : هذا طعام اتخذ فى قِدْر القائل [من الطويل] :

وبوّأتُ قِدْرِى موضعاً فوضعتها برابيةٍ من بين ميثٍ وأجرعِ
جعلتُ لها هضبَ الرجام وطخفةٍ وغولا أثافى جذرها لم ينزع
لقدر كأنَّ الليلَ سحمة قعرها ترَى الفيلَ فيها طافياً لم يقطّع

وهذه الأبيات للفرزدق أيضا

ومن الغلو قول ابن دريد فى النحول [من السريع] :

إنى امرُؤٌ أبقيتَ منْ جسمه يا مُتلفَ الصبِّ ولم يشعرِ
صبابةً لو أنها قطرةٌ تجولُ فى عينكَ لم تقطرِ

وقول بعضهم أيضا [من الطويل] :

ولو شئتُ فى طىِّ الكتابِ لزُرتكمْ ولم تدرِكنى أحرُفٌ وسطورُ

وأزيد منه فى الغلو قول أبى عثمان الخالدى [من الطويل] :

بنفسى حبيبٌ بانَ صبرى ببينهِ وأودعنى الأحزانَ ساعةَ ودّعا
وأنحلنى بالهجر حتى لوَ انّنى قَذًى بينَ جفنَىْ أرمدٍ ما توجعا

ومثله قول الوزير أبى الفضل بن العميد [من الكامل] :

فلوَ انّ ما أبقيتَ منْ جسمى قذًى فى العينِ لمْ يمنع مِنَ الإغفاء

وزاد عليه المتنبى بقوله [من الطويل] :

أراكَ ظننتَ السِّلْكَ فَمَقْتَهُ جسمى عليكَ بِدُرٍّ عن لقاء الترائبِ
ولو قلمٍ أُلقيتُ فى شَقِّ رأسهِ من السقم ماغيرتُ من خطِّ كاتبِ

ومن الغلو المفرط قول بعضهم [من الطويل] :

غرامٌ وَوجدٌ واشتياقٌ وغربةٌ وماذاق إنسانٌ من الحب ماذقتُ
نحلتُ فلو عُلِّقْتُ فى رجل ذرَّةٍ لطارتْ ولم تشعرْ بأنى تعلقت
ولو نمتُ فى جفن الذباب معرَّضاً منَ السقم لم تشعر بأنِّىَ قد نمتُ
ولَوْ نَفَسٌ من أنفها قد أصابنى من الشوق أومن حرأنفاسهاذُبتُ

ولهذه الأبيات خبر غريب أحببت ذكره

حدث الشيخ المقرى الصوفى الواعظ أبو عبد الله بن الخباز، قال: كنت مع جماعة من أهل التصوف بأصبهان فى رباط هناك، واجتمع أصحابنا ليلة فى سماع، فلما كان فى أثناء ذلك بعد مضى جزء من الليل والوقت قد طاب، إذ طرق الباب طارق، فخرج إليه مَنْ سمع ذلك، فوجد شيخا طويل القامة، عظيم الهامة، على رأسه كرزية، وعليه فرجية، و بيده إبريق وعكاز، فقال: ما هذا ؟ قلنا: سماع اجتمع فيه الأصحاب، فقال: ندخل؟ فدخل فوجد القائل يقول [من الطويل] :

خليلى لا واللهِ ما القلبُ سالمٌ و إن ظهرتْ منِّى شمائلُ صاحى
و إلا فما بالى ولمْ أشهَدِ الوغَى أبيتُ كأنى مُثْخَنٌ بجراح

فرمى للمنشد ما كان على رأسه، ثم قال له: قل، فقال [من البسيط] :

يا بَانةَ الجزعِ لو لاَ رنة الحادِى لما تنقلتُ مِنْ وادٍ إلى وادِ
ولا سلَكْت بنعمان الأراكِ ولا شربت ماء به يا نَهلةَ الصادِى

ثم قال أيضا [من الكامل] :

كرِّرْ على أحاديثهم ياحادِى فحديثهم يُطفى لهيب فؤادِى

كرّوا على حديثهم فلربما لانَ الحديدُ لضربة الحدّادِ

فنزع فرجيته، و بقي الشيخ عريانا، وقال : قل، فقال الأبيات السابقة، قال الشيخ أبو عبد الله بن الخباز : فصاح الشيخ صيحة عظيمة وشهق شهقة قوية وخرجت روحه، رحمة الله عليه ! ولما أصبح الصباح وطلع النهار غسلناه وكفناه وجهزناه إلى حفرته، وتركناه في عظيم رتبته

ونظير ذلك ما حكاه بعض أهل دمشق قال : قال شيخ من الفقراء لآخر : إني أحب اليوم أن نجتمع وأغني لكم، قال : فاجتمعوا، فغنى لهم [من البسيط] :

سَلي نُجومَ السَّما يا طلعةَ القمر عنْ مَدمعي كيفَ يدمى فيكِ بالسهر

إيهِ بعيشكِ ماذا أنتِ صانعةٌ منَ الجميل فهذا آخرُ العمر

ثم شهق ومات رحمه الله تعالى

ومثل ذلك ما رواه ابن القماح قال : سمعت الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يذكر في مجلس درسه بجامع ابن طولون أنه حضر سماعا، وكان هناك فقير، فغنى مغن بأبيات ابن الخياط الدمشقي، وهي [من الطويل] :

خذا منْ صبَا نجْدٍ أماناً لقلبهِ فقدْ كادَ رياها يطيرُ بلبهِ

وإياكما ذاكَ النسيم فانه إذا هَبَّ كان الموتُ أيسَرَ خطبه

أغارُ إذا آنستُ في الحيِّ أنةً حذاراً وخوفاً أنْ تكونَ لحبهِ

وفي الركبِ مطويُّ الضلوعِ على جوًى متى يدعهُ داعي الغرامِ يُلَبِّهِ

قال : فقال ذلك الفقير : لبيك، و رفع رأسه فاذا هو ميت، رحمه الله ونفعنا به

ولنرجع إلى ذكر الغلو — ومراتبه تتفاوت إلى أن تؤول بقائلها إلى الكفر والعياذ بالله تعالى، فمن ذلك قول ابن دريد في المقصورة [من الرجز] :

مارستَ منْ لوهوتِ الأفلاكُ منْ جوانب الجوِّ عليهِ ماشكا

قيل : لأجل ادعائه في هذا البيت ابتلاه الله بمرضٍ كان يخاف فيه من

من الذباب أن يقع عليه .

ومنه قوله أيضا [من الرجز] :

ولوْ حَمَى المقدُورُ منهُ مُهجةً لَرَامها أو يستبيحَ ما حَمَى

تغدو المنايا طَائعاتِ أمرهِ ترضى الذى يرضى وتأبىَ ما أبىَ

ومنه قول أبى الطيب المتنبى [من الطويل] :

كأنِّى دَحوْتُ الأرضَ مِنْ خِبْرَتِى بها

وكانَ بِنَا الإسكندَرِ السدَّ مِنْ عَزْمِي

وقوله أيضا [من الكامل] :

لو كانَ ذو القرْنين أعمَلَ رَأيهُ لما أتى الظلمَاتِ صِرنَ شُمُوسَا

أو كانَ صادَفَ رَأسَ عازرَ سيفهُ فى يومِ معركةٍ لأعيْا عِيسىَ

أو كانَ لُجُّ البحرِ مثلَ يمينهِ ما انشقَّ حتى جاز فيهِ مُوسَى

وقوله أيضا [من الخفيف] :

يترَشَّفْنَ مِن فمى رَشَفَاتٍ هُنَّ فيهِ أحلى مِنَ التوحيدِ

وقال بعض من اعتذرَ للمتنبي : إن المرَاد بالتوحيد هنا : نوع من التمر ، و بعضٌ أصلح البيت ، فقال:

* هُنَّ فيهِ حلَاوَةُ التوحيدِ *

وَمنه قول الوزير أبى القاسم المغربى [من السريع] :

قارَعَتِ الأيامُ مِنى امرءًا قدْ عَلَّقَ المجدَ بأمرَاسهِ

تستنزلُ الرزقَ بأقدَامه وتستمدُّ العزَّ من باسهِ

أرْوَعَ لا ينحطُّ عنْ تيهِهِ والسيفُ مَسلولٌ على راسِهِ

ومن الغلو القبيح قول عضد الدولة [١] بن بُوَيْه [من الرمل] :

لیسَ شُرْبُ الكأس إلا فى المطرْ وَغناء مِنْ جوارٍ فى السحرْ
غانياتٍ سالباتٍ للنُّهَى ناغماتٍ مِنْ تضاعيف الوترْ
مبرزَاتِ الكأسِ منْ مطلعها ساقياتِ الرَّاح مَنْ فَاقَ البشَرْ
عَضُدَ الدولةِ وابنَ رُكنِهَا مَلكَ الأملاكِ غلَّابَ القدَرْ

يُرْوَى أنه لم يفلح بعد هذا القول، وأخذته علة الصرعِ، ودخل فى غمرات الموت، فكان لا ينطق إلا بقوله تعالى (مَا أغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) .

والمتساهلون فى هذا النوع كثيرون ـ كأبى نُوَاس، وابن هانىء الأندلسى، والمتنبى، وأبى العلاء المعرِّى، وغيرهم من المتأخرين ـ كابن النبيه، ومَنْ جرَى مجراه، والاضراب عن ذكر ذلك أنسب، والله أعلم .

* * *

شاهد الغلو المقبول

١٣٩ — عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَرًا
لَوْ تَبْتَغِى عَنَقًا عَلَيْهِ أمْكنَا

البيت لأبى الطيب المتنبي، وهو من قصيدة من الكامل [٢]، يمدح بها ابن عمار، أولها :

الحبُّ مامنعَ الكلامَ الألسُنَا وألذُّ شكْوَى عاشقٍ ما أعلنَا

---

(١) روى هذه الأبيات الأربعة ابن حجة فى خزانة الأدب (٢٨٥) وذكر ماذكره المؤلف عنه من أنه لم يفلح بعد هذا القول.
(٢) اقرأها فى ديوانه (٤ ـ ١٩٥)

ليتَ الحبيبَ الهاجرى هَجْرَ الكَرَى

مِنْ غيرِ جُرْمٍ واصلِي صِلةَ الضنَىَ

بنَّا فلَوْ حاوَلْتَنا لمْ تَدْرِ مَا أَلوانَنا مما امتقِعْنَ تَلوُّنَا[1]

وتَوَقَّدَتْ أنفَاسنَا حتى لقَدْ أشفقْتُ تحترِقُ العواذلُ بيننَا

إلى أن قال :

طَرِبتْ مرَاكِبنَا فخلنا أنهَا لولا حياءٌ عاقهَا رَقَصتْ بنَا

أقبلت تبسمُ والجيادُ عوابسٌ يَخبِبنَ بالحلقِ المضاعفِ والقنَا

وبعده البيت ، وبعده :

وَالأمرُ أمرُكَ والقلوبُ خوَافقٌ فى موقفٍ بينَ المنيةِ وَالمُنَى

فعجبتُ حتى ماعجبتُ مِنَ الظبَا وَرَأيتُ حتى مارأيتُ من السنَا

وهى طويلة .

والسنابك : جمع سُنبك — بضَمّ أوله وثالثه — وهو طرَفُ الحافرِ ، والعثير — بكسر أوله — التراب والعجاج ، والعَنَقُ — محركه — سيرٌ مستطرد للإبل والدابة

والشاهد فيه : الغلو المقبول ، وهو : ماتضمن معنى حسنا من التخييل ، فانه ادّعى أن الغبار المرتفع من سنابك الخيل قد اجتمع فوق رؤوسها مترا كما متكاثفاً بحيث صار أرضا يمكن أن تسير عليها تلك الجياد ، وهذا ممتنع عقلا وعادة ، لكنه تخييلٌ حسن .

(١) فى نسخة الديوان « بنا فلو حليتنا » ومعنى حليتنا وصفتنا . يريد انهم لعظم ما نالهم من ألم الفراق لو حاول محاول أن يصفهم ما استطاع لشدة تغير ألوانهم ، يريد أنه لا يستطيع وصفهم بلون خاص من بين الألوان .

وقريب من معناه قول ابن فضال القيرَوانى [من الوافر] :

بنيتَ الأرضَ فوقهمُ سماء وقدْ أجرَيت من عَرَق بحارًا

فليسَ تَرَاكَ ألحاظُ الدَّرَارى وأنتَ حشوْتَ أعيُنَهَا غبَارًا

ومنه قول على بن عاصم الأصبهانى [من الكامل] :

مدَّتْ سنابكُهُ عليكَ سُرَادقًا نسجَتْ مضاربهُ من القسطَالِ

فى حَومة ما إن يبينُ من الوغَى إلاَّ هلاً منْ زَجرهنَّ وَهَالِ

لَيلٌ من الغمرَاتِ أنتَ سِرَاجهُ ونجومهُ هندِيَّةٌ وَعوَالِ [1]

وقول الببغاء أيضا [من الكامل] :

كالليلِ إلا أن ثوب ظلامهِ من عِثْيَرٍ ونجومه من لامِ

وقول السرى الرفاء أيضا [من الكامل] :

فى معركٍ طافَ الرَّدَى بكُماته عند اختلاف الطعن أىَّ مطافِ

فإذا السنابكُ أنشأتْ ليلاً به بعث الصباحَ لها سنَا الأسيافِ

وقول البحترى أيضا [من الخفيف] :

فى نهارٍ منَ السيوفِ مضىء تحتَ لَيْلٍ من مُستَثَارِ الصعيدِ

وقد تقدم طرَف من ذلك فى شواهد التشبيه .

* * *

ربيب لصحة

١٤٠ — يُخَيَّلُ لِى أن سُمِّرَ الشهبُ فى الدَّجى

وَشُدَّتْ بأهدَابِى إليهنَّ أجفَانِى

البيت للقاضى الأرجانى ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها شمس الملك عثمان بن نظام الملك ، أولها :

---

(١) هندية : أراد بها السيوف ، وعوال : أراد بها الرماح

أأجفانُ بيضٍ هنَّ أم بيضُ أجفانِ فوا لكِ لاتبقى على الدنف العاني
صوارمُ عشاقٍ يقتّلْنَ ذا الهوى ومن دونها أيضاً صوارمُ فرسانِ
مررْتُ بنعمان فما زلتُ واجداً إلى الحول نشرَ المسك من بطن نعمانِ
سوافر فى خضر الملاء سوافر كما ماس فى الأوراق أعطاف أغصانِ
وقد أطلعت وردَ الخدودِ نواضرا ومن دونها شوكُ القنا فمن الجاني

إلى أن قال :

وقفتُ بها صبحاً أُناشدُ معشري وأُنشِدُ أشعاري وأَنشُدُ إخواني
ولما توسمتُ المنزلَ شاقني تذكرُ أيامٍ عهدتُ وإخوانِ
مضَتْ ومَضوْا عني فقلتُ تأسفاً قفا نبكِ من ذكرى أُناسٍ وأزمانِ [1]
تأوّبني ذكرُ الأحبة طارقاً والليل فى الآفاق وقفة حيرانِ
وأرّقني والمشرقُ مضاجعي سنا بارقٍ أسرى فهيّج أحزاني
ثلاثةُ أجفانٍ ففى طيّ واحدٍ غرار وخال من غرارَيهما اثنانِ

وبعده البيت . وبعده :

نظرْتُ إلى البرقِ الخفيّ كأنهُ حديثٌ مُضاعٌ بينَ سِرٍّ وإعلانِ
وباتَ له منى وَقد طَنَّبَ الدُّجَى كلوءُ الليالى طرفهُ غير وَسنانِ

وهى طويلة .

والشاهد فى البيت : إدْخال شيء على الغلو يقربه إلى الصحة ، مع تضمنه نوعاً حسناً من التخييل ، فانه يقول : يوقع فى خيالى أن الشُّهُبَ محكة بالمسامير

---

(١) عجز هذا البيت من قول أمرىء القيس بن حجر الكندى :
قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ وربعٍ عفت آياته منذ أزمانِ

لا تزول عن مكانها ، وأن أجفان عينى قد شُدت بأهدابها إلى الشهب لطول سهرى فى ذلك الليل وعدم انطباقها والتقائها ، وهذا ممتنع عقلا وعادة ، ولكنه تخييل حسن ، ولفظ « يخيل » مما يقربه إلى الصحة .

ومن المقبول فى الغلو أيضا قول أبى العلاء المعرى [من الوافر] :

تكادُ قِسِيُّهُ من غيرِ رَامٍ   تمكنُ فى قلوبهم النِّبالاَ
تكادُ سيوفهُ مِن غير سَلّ   تجدُّ إلى رقابهم انسلاَلاَ

وما أبدع قوله فى هذه الأبيات ، وهو مما نحن فيه :

يذيبُ الرُّعبُ منهُ كلَّ عضبٍ   فلولاَ الغمدُ يمسكهُ لَسالاَ

وفى معناه قول ابن المعتز [من المنسرح] :

يكادُ يجرى من القميصِ من النعـــمة لو لا القميصُ يمسكهُ

وقوله أيضا يصف فرساً [من الرجز] :

يكاد أن يخرج من إهابهِ   إذا تدلى السوطُ لو لا اللَّبَبُ

ومنه قول أبى الشيص [من الكامل] :

لو لا التمنطق والسوار معاً   والحجلُ والدملوج فى العضدِ
لتزايلت من كل ناحيةٍ   لكن جُعِلْنَ لها على عمدِ

وَقد أخذه ابن النبيه ، فقال [من الطويل] :

لها معصمٌ لولا السوارُ يصدُّهُ   إذا حَسَرَتْ أكمامها لجرى نهرَا

ومثله قول بعضهم أيضا [من الرجز] :

لها من الليل البهيم طُرَّةٌ   على جبينٍ واضحٍ نهارهُ
ومعصمٌ يكاد يجرى رقةً   وإنما يعصمه سوَارُهُ

ولعز الدين بن عبد الرزاق فى معناه [من السريع] :

قالتْ وقد صرت كطيف الخيالْ كيفَ ترى فعل الهوى بالرجالْ
وسددت سهماً إلى مقتلى تقولُ هل فيك لدفع النصالْ
رقيقةَ الجسم ، فلولا الذى يمسكهُ من قسوة القلب سالْ
وما ألطف قولَ شرف الدين الحلاوى ، يصف كأساً من أبيات ، [من المنسرح] :
رقَّ فلولا الأكفُّ تمسكه سالَ مع الخمر حين ترشفه
ومنه قول ابن حمديس فى وصف فرس [من الكامل] :
يجرى فلمعُ البرق فى آثاره من كثرة الكبوات غيرُ مفيقِ
ويكاد يخرجُ سرعةً من ظلهِ لو كان يرغبُ فى فراق رفيقِ
ومثله قول شمس الدولة بن عبدان [من الكامل] :
أبَتِ الحوافرُ أن يَمَسَّ بها الثرى فكأنهُ فى جريهِ متعلقُ
وكأنَّ أربعةً تُراهِنُ طَرْفَهُ فتكاد تسبقهُ إلى ما يرمقُ
وقول الآخر أيضاً [من الكامل] :
كم سابح أعددتهُ فوجدتهُ عند الكريهة وهو نسرٌ طائرُ
لم يرم قطُّ بطرفهِ فى غايةٍ إلا وسابقهُ إليها الحافرُ
وَقول الطاهر الجزرى [من الطويل] :
وأدهمَ كالليل البهيم مطهم فقد عزَّ من يعلو بساحة عُرْفهِ
يفوت هبوبَ الريح سبقاً إذا جرى تُرَاهِنُ رجلاهُ مواقع طرفهِ
وَقول جمال الدين الصوفى [من البسيط] :
وَأدهم اللون فاق البرْق وانتظرهْ ففارت الريح حتى غَيَّبَتْ أثرهْ
فواضعٌ رجله حيث انتهت يدهْ وَواضعٌ يَدَهُ أنَّى رمى بَصَرَهْ
سهمٌ تراه يحاكى السهم منطلقاً وماله غرضٌ مستوقفٌ خبرهْ
يعفر الوحش فى البيداء فارسهُ وَينثنى وادعاً لم يستثر غَبَرَهْ

وَقد أبدع أبو القاسم بن هانىء ، فقال [من الـكامل] :

عُرِفَتْ بسرعـة سَبْقها لا أنها علقت بها يوم الرِّهان عيون
وأجلُّ علم البرْق فيها أنهـا مرّت بجانحتيه وَهْىَ ظنون

ومثله قول ابن نباتة السعدى [من الـكامل] :

لا تعلق الألحاظ من أعطافه إلا إذا كفـكفت من غلوائه

وما أبلغ قول ابن الخطيب الأندلسى مع التورية المرشحة [من المتدارك] :

يعتدُّ بهـا ملكٌ شهمٌ لو رام بها الشعرى سبقا
أو عارضها بالبرْق كبَا أو أورد عين الشمس سقَا

وأبدع امرؤ القيس بقوله [من الطويل] :

كأن غلامى إذ علا حالَ متنه على ظهر طيرٍ فى السماء محلق

هكذا قيل ، والرواية فى ديوانه بلفظ « باز » بدل « طير »

وأجاد معاوية بن مرداس بقوله أيضا [من البسيط] :

يكاد فى شأوه لولا أسكِّنهُ لو طار ذو حافرٍ من سرعة طارا

ومثله لبعض الأعراب أيضا [من المتقارب] :

فلو طار ذو حافرٍ قبلها لطارت ولـكنه لم يطرْ

وَما أبدع قول ابن المعتز [من الـكامل] :

فـكأنه موجٌ يذوبُ إذا أطلقتهُ فإذا حبست جمدْ

وهو مأخوذ من قول العكوك [من الرجز] :

مضرَّجٌ يرتج فى أقطاره كالماء جالتْ فيه ريح فاضطربْ

وما أحسن قول أبى العلاء المعرى [من الوافر] :

ولمّا لم يُسابقهُنَّ شىء من الحَيَوانِ سابقْنَ الظِّلالا

ولمؤيد الدين الطغرائى [من الكامل] :

سبقت حوافرها النواظر فاستوى سبق إلى غاياتها وسكون

لولا ترامى الرايتين لأقسم الراءون أن حراكها تسكين

وتكاد تشبهها البروق لو انها لم تعتلقها أعين وظنون

وبالغ ابن الحجاج فى مرثية فرس له فقال [من السريع]:

قال له البرق وقالت له الريح جميعاً وهما ماهما

أأنت تجرى معنا قال لا إن شئت أضحكتكما منكما

هذا ارتداد الطرف قدفته إلى المدى سبقاً فمن أنتما

وبديع قول الصلاح الصفدى [من السريع]:

يا حسنه من أشقر قصرت عنه بروق الجو فى الركض

لاتستطيع الشمس من جريه ترسمه ظلاً على الأرض

ومن الغلو المقبول قول الفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم [من البسيط]:

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ماجاء يستلم

ترجمة القاضى الأرجانى

والقاضى الأرجانى هو: أحمد(١) بن محمد بن الحسين بن على ناصح الدين(٢) وهومنسوب إلى أرجان - بتشديد الراء المفتوحة وبالجيم - وهى من كور الأهواز من بلاد خوزستان، وأكثر الناس يقولونها بالراء المخففة، واستعملها المتنبي فى شعره (٣) كذلك، وكان القاضى المذكور أحد أفاضل الزمان، كامل الأوصاف،

---

(١) له ترجمة فى ابن خلكان (١-٨٣)

(٢) فى الأصول «بن ناصح الدين» وكلمة «بن» مقحمة، يؤيده قول ابن خلكان «الملقب ناصح الدين» وسيأتى للمؤلف (ص٤٥) يقول «ومن شعر القاضى ناصح الدين».

(٣) وقع ذلك فى قوله من قصيدة:

أرجان أيتها الجياد فانه عزمى الذى يذر الوشيج مكسرا

لطيف العبارة ، غواصا على المعانى ، إذا ظفر بالمعنى لايدع فيه لمن بعده فضلا ، قال أبوالقاسم هبة الله بن الفضل الشاعر : كان الغزى صاحب معنًى لا لفظ ، وكان الأبيوردىُّ صاحب لفظ لامعنى ، وكان القاضى أبو بكر صاحب لفظ ومعنًى . قال ابن الخشاب : والأمر كما قال ، وأشعارهم تصدق هذا الحكم إذا تؤملت ، وكان فى عنفوان شبابه بالمدرسة النظامية بأصبهان وكان ينوب فى القضاء ببلاد خوزستان تارة بتستر وتارة بعسكر مكرم ، ومن شعره فى ذلك [من الكامل]:

ومنَ النوَائِب أننى ... فى مِثْلِ هذَا الشغْلِ نائِبْ
ومنَ العَجَائِب أنَّ لى ... صبراً على هذِى العَجَائِبْ

وكان فقيها شاعرا ولذلك قال [من الكامل] :

أنا أفقَهُ الشُّعَرَاءِ غيرَ مُدَافع ... فى العَصْرِ لا بَلْ أشعَرُ الفقَهاء
شِعْرٌ إذا ماقُلْتُ دَوَّنَهُ الوَرَى ... بالطَّبْعِ لا بتَكلُّفِ الالقاءِ
كالصَّوْتِ فى قُلَلِ الجِبَالِ إذا علا ... لِلسَّمْعِ هاجَ تجَاوُبَ الأصدَاءِ

وقد قدم الأرجانى بغداد مرات ، ومدح الامام المستظهر وغيره
ومن شعره وهو غريب [من الطويل] :

رثَى لى وقَدْ ساوَيتهُ فى نُحُولِهِ ... خَيالِىَ لمَّا لم يكُنْ لى راحمُ[(١)]
فَدَلَّسَ بى حتَّى طَرَقْتُ مكانهُ ... وأوهمْتُ إلفى أنه بى حالِمٌ
و بِتْنا ولم يَشْعُرْ بنا النَّاسُ لَيلَةً ... أنا ساهِرٌ فى جَفْنِهِ وهْوَ نائِمُ

وله قصيدة يصف فيها الشمعة، وقد أحسن فيها كل الاحسان ، واستغرق

---

(١) فى الأصول كلها « أنى لى » فى مكان « رثى لى » وهو تحريف عما أثبتناه عن ابن خلكان ، وعن الديوان (٣٥٥) أيضا. و « يكن » ههنا تامة ، و « راحم » فاعلها

سائر الصفات ، ولم يكد يخلى لمن بعده فيها فضلا ، ولنذكر طرفا منها ، فأولها [من البسيط] :

نَمَّتْ بأسْرار لَيْل كانَ يُخفيها وأطْلَعتْ قَلبها لِلنّاس مِنْ فيها
قَلْبٌ لهَا لم يَرُعنا وهْوَ مكتَمِنٌ ألا ترى فِيه ناراً مِنْ تَرَاقيهَا
سَفيهَةٌ لم يَزَل طُولُ اللّسان لهَا فى الحَىِّ يُجنى عَليها حَذْف هاديها
غَريقَةٌ فى دُموع وهْىَ تحْرِقُهَا أنفَاسُها بِدَوام مِنْ تَلَظّيهَا
تَنفّستْ نَفَسَ المَهْجُور إذ ذكَرت عَهْدَ الخَليطِ فَبات الوَجدُ يُذْكِيها
يُخشَى علَيهَا الرَّدى مَهما ألَمَّ بها نَسيمُ ريح إذَا وافى يُحَيِّيهَا
بدَت كنَجْم هَوَى فى إثْرِ عِفْرِيَةٍ فى الأرض فاشتَعلَتْ مِنْهُ نواصيهَا
كأنّها غرّةٌ قَدْ سادَ شادخهَا فى وجْهِ دَهماء يَزْهاها تجلّيها
أوضَرّةٌ خُلِقَتْ لِلشّمْس حاسدة فكُلّما حُجِبَتْ قامتْ تُحاكيهَا
وحيدَةٌ بشباةِ الرُّمْح هازمةٌ عسا كِرَ اللّيلِ إن حلّت بواديهَا
ما طنبت قَطُّ فى أرض مُخَيِّمَةً إلا وأقمَرَ لِلأبْصار داجيهَا
لهَا غرَائِبُ تَبدو من محَاسِنها إذَا تفَكّرتَ يَوماً فى معَانِيهَا
فالوَجنَة الوَرْدُ إلا فى تَنَاوُلِهَا والقَامَةُ الغُصْنُ إلا فى تَثَنّيهَا
قَدْ أثمَرَتْ وَرْدَةً حَمْرَاء طالِعةً تجنى على الكَفّ إن أهويت تجنيهَا
وَرْدٌ تُشاكُ بِهِ الأيْدِى إذا قطفت وما علَى غُصنها شَوْكٌ يُوَقّيهَا
صُفْرٌ غلائِلُها حُمْرٌ عمَائِمُها سُودٌ ذَوائِبُها بِيضٌ لَياليهَا

ومنها :

وصيفَةٌ لَستَ مِنها قاضياً وَطَراً إن أنتَ لَمْ تكْسُها تاجاً يُحلّيها
صَفْراءهِنْدِية فى اللّوْنِ إن نُعِتت والقَدّ واللّين إن أتممت تَشبيها

فالهندُ تقتلُ بالنّيرانِ أنفسها وعندَها أن ذاكَ القتلَ يُحييهَا

منها :

غرّاء فرعاء ما تنفكُّ خاليةً تقصُّ لمتها طوراً وتفليهـــا

شيباء شعثاء لا تكسى غدائرها لونَ الشبيبةِ إلا حين تُبليها

يلمها فى سوادِ الليلِ مسعدة إذا الهُمُومُ دعت قلبي دواعيها

لولا اختلافُ طِباعينا بِواحِدَةٍ وللطِّباعِ اختلافٌ فى مبانيهَا(١)

بأنّها فى سَوادِ الليل مُظهِرةٌ تلكَ التى فى سوادِ القلبِ أخفيها

وبيننا عبرَاتٌ إنْ هُمُ نظرُوا غيّضتُهاخوْفَ واشٍ وهى تجريها

ما عاندَتها الليالى فى مَطالبهَا ولا عدَتها العوادى فى مباغيها

ولا رَمتها بِبعُدٍ مِنْ أحبتها كما رمتنى ، وقُربٍ من أعاديها

ولا تُكابِدُ حُسّاداً أكابدُها ولا تُداجى بنى دَهرٍ أداجيها

وعلى ذكر الشمعة فما أحسن قول الصنوبرى فيها أيضاً [من الكامل] :

مجدولة تحكى لنَا فى قدِّها قدَّ الأسَلْ

كأنها عُمرُ الفتى والنّار فيها كالأجَلْ

ومنه قول ابن شبل [من البسيط] :

وساعدَتنى على الظّلماء مُشبهتى هيفاءحافَعليهَا السقْمُوالأرقُ

الفَضْلُ فىَّ وفيها النّار نفعهُما لغيرِنا وكِلانا فيهِ يحْترِقُ

وهو من قول العباس بن الأحنف [من المنسرح] :

---

(١) فى الأصول « لولا اختلاف طبائعنا » ولا يستقيم معه الوزن وما أثبتناه يوافق ما وجدناه فى الديوان (٤٢٧) بعد ذلك ، والحمد لله .

أحْرَمُ مِنكُمْ بِما أقولُ وقَدْ ... نالَ بِهِ العاشِقُونَ مَنْ عشِقُوا
حتى كأنِّى ذُبالَةٌ نُصِبَتْ ... تُضىء للنّاسِ وَهْىَ تَحترِقُ

ومن شعر القاضى ناصح الدين الأرجانى قوله [من البسيط] :

تَقُولُ لِلبَدْرِ فى الظّلْماء طَلْعتُهُ ... بأىّ وجْهٍ إذا أقبلْتُ تَلقَانى
وجْهُ السّماءِ لىَ مِرآةٌ أُطَالِعُها ... والبَدْرُ وهنَا خَيالى فيهِ لاقانى[1]
لم أنسَهُ يوم أبكانى وأضحكَهُ ... وقُوفُنا حَيْثُ أرعاهُ وَيَرْعانى
كلٌّ رأى نَفْسه فى عَيْنِ صاحبه ... فالحسْنُ أضحكَهُ والحُزْنُ أبكانى

ومنه [من الطويل] :

تمتَّعْتما ياناظِرَىَّ بنَظْرَةٍ ... فأوْرَدتما قَلبى أشَرَّ المَوَارِدِ
أعيْنَىَّ كُفّا عَنْ فؤادى فانه ... من البَغْىِ سَعْىُ اثنين فى قتلِ واحد

ومنه [من الكامل] :

اقرنْ برأيكَ رأىَ غيْرِكَ واستَشِرْ ... فالحَقُّ لا يَخْفَىَ على إثنَيْنِ
المَرْء مرآة تريه وَجْهَهُ ... ويَرَى قَفَاه بِجَمْعِ مِرْآتينِ

ومنه [من البسيط] :

شاوِرْ سوَاكَ إذا نابَتْكَ نائبةٌ ... يوما و إن كنتَ من أهلِ المَشورات
فالعين تلقى كفاحاً ما نأى ودَنا ... ولاَ ترَى نَفْسَها إلاّ بمرآةِ

وبالجملة فمحاسنه كثيرة ، ولطائفه غزيرة ، وشعره كثير ، والذى جمع منه

---

(١) فى الأصول * والبدر وهنا خيالا فيه لاقانى * ولا يستقيم عليه المعنى ، وما أثبتناه يوافق ما فى الديوان (٤١٦) يريد أنها إنما رأت فى البدر خيالها ، ففيه تشبيه ضمنى لها بالبدر ، وصدر هذا البيت فى الديوان * وجه السماء مراة لى أطالعها * وما هنا أسلم

لا يكون عشره، ويقال: إنه كان له فى كل يوم ثمانية أبيات ينظمها على الدوام وكانت ولادته سنة ستين وأربعمائة، ووفاته بتستر فى ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة

***

شاهد إخراج الغلو مخرج الهزل

١٤١ — أَسْكَرُ بالأمس إنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّرْب غَدًا، إنَّ ذا من العَجَبِ

البيت من المنسرح، ولا أعلم من قائله

والشاهد فيه: إخراج الغلو مخرج الهزل والخلاعة، وهو ظاهر، ومنه قول أبى نواس [من الطويل]:

فلما شَربناها وَدَبَّ دبيبها إلى مَوْضعِ الأسْرَارِ قلت لها قِفى

مَخافة أن يَسطو على شعَاعها فتُطْلِعَ نَدْمانى على سِرِّىَ الخفى (١)

ومنه قول ابن لنكك البصرى [من الوافر]:

فديتكَ لوْ علمت ببَعْض مابى لمَا جرَّعتنى إلاَّ بِسعطْ

بِحَسْبكَ أن كَرْماً فى جوَارى أمرُّ بِبابهِ فأكاد أَسْقُطْ

وقوله أيضا [من المجتث]:

قرأت عهدة كَرْمٍ فأسكرَتنى سنينا

وقول أبى الحسن أحمد بن المؤمل [من الطويل]:

وقائِلَة لى مالكَ الدَّهْرَ طافحاً وأنتَ مُسِنٌّ لا يَليق بك السُّكْر

---

(١) معنى هذا البيت أنه لما دبَّ دبيب الخمر إلى باطنه امتنع عن الشرب مخافة أن يسطو شعاعها عليه فيصير جسمه شفافا لا يحجب ما وراءه وحينئذ يظهر لنديمه ويتجلى لعينيه ما فى باطنه

فقلت لها أفكرت فى الخمر مرة فأسكرنى ذاك التوهم والفكر

ومنه قول السراج الوراق [من السريع] :

ومرة من طول ما عمرت كنى إبليس أبا مرة

ترى الندامى حول حيطانها صرعى وما ذاقوا ولا قطرة

وقول بعضهم يهجو [من المنسرح] :

أخشن من قنفذ ومن حسك ومن عظام تكون فى السمك

ويدعى ضيقه وأسفله يصلح طوقا لدارة الفلك

وهو ينظر إلى قول ابن الرومى فى معناه [من الرجز] :

أوسع من وقت العشاء الآخره أولج فيه كالقناة العابره

كأن أيرى نقطة فى الدائره

وهو على إساءة أدبه مخطىء فى المعنى .

وظريف قول ابن سناء الملك [من السريع] :

إن قلت ما أحسنه شادنا فإنما قصدى ما أخشنه

يظل أيرى ضائعاً فى استه كأنه المغزل فى الروزنه

وقول ابن حجاج [من السريع] :

فتى له عزم إذا كلت الأسياف مثل المرهف الصارم

وراحة لو صفعت حاتماً تعلم الجود قفا حاتم

وقول النفرى البغدادى [من مجزوء الرمل] :

وصديق جاءنى يسألنى ماذا لديك

قلت عندى بحر خمر حوله آجام نيك

٭ ٭ ٭

١٤٢ حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مطلبُ
لئن كنت قد بُلِّغت عنى خيانة ... لمُبلغك الواشى أغشُّ وأكذبُ
ولكننى كنتُ امرأً لى جانبٌ ... من الأرض فيه مُسْتَرادٌ ومذهبُ
ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مدحتهم ... أحكَّم فى أموالهم وأقرَّب
كفعلك فى قوم أراك اصطفيتهم ... فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا

الأبيات للنابغة من قصيدته السابقة فى أواخر الفن الأول [١] وقبلها :

أتانى وعيدٌ والتنائف بيننا ... سخاويُّها والغائط المتصوِّبُ [٢]
فبتُّ كأنَّ العائدات فرشننى ... هراساً به يعلى فراشى ويُقشَبُ [٣]

والريبة: التهمة ، والمستراد : موضع يتردد فيه لطلب الرزق ومنتجع من راد الكلأ ، ومعنى أقرَّبُ يجعلوننى حكما فى أموالهم مقربا منهم رفيع المنزلة عندهم

والشاهد فيها : المذهب الكلامى ، وهو : إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام ، وهو : أن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب ، فهوهنا يقول : لا تلمنى ولا تعاتبنى على مدح آل جَفْنة وقد أحسنوا إلى كما لاتلوم قوماً مدحوك وقد أحسنت إليهم ، فكما أن مدح أولئك لك لا يعدُّ ذنبا كذلك مدحى لمن أحسن إلى ، وهذه الحجة على صورة التمثيل الذى تسميه الفقهاء قياسا ، ويمكن

---

(١) ارجع الى شرح الشاهد (رقم ٦٦)

(٢) فى الأصل « سخاوية » وما أثبتناه عن لسان العرب (س خ ١) ويروى هذا البيت فى الديوان

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى ... وتلك التى أهتم منها وأنصب

والسخاوية : الأرض التى لا شىء فيها .

(٣) العائدات : الزائرات فى المرض ، والهراس : نبات من نبات البرية كثير الشوك . ووقع فى الأصل « يقلى » بالقاف ـ وهو تحريف عما أثبتناه عن الديوان واللسان (هـ) ويقشب : يخلط ويجدد لى مرة بعد مرة

رده إلى صورة قياس استثنائى بأن يقال : لو كان مدحى لآل جفنة ذنبا لكان مدح أولئك القوم لك أيضاً ذنبا ، لكن اللازم باطل ، فكذا الملزوم ، وآل جفنة كانوا ملوك الشام ، كما أن آل النعمان كانوا ملوك الحيرة

أمثلة من المذهب الكلامى

ومن المذهب الكلامى قول الفرزدق [من الطويل] :

لكلِّ امرىء نفسان نفسٌ كريمةٌ وأُخرَى يُعاصيها الهوَى فيطيعُها

ونفسكَ منْ نفسيكَ تشفعُ للندَى إذا قلَّ مِنْ أحرارهنَّ شفيعُها

وقول إبراهيم بن العباس [من الطويل] :

وَعلَّمتنى كيفَ الهوَى وَجهلتهُ وعلَّمكمْ صبرِى على ظلمكم ظلمى

وأعلم مالى عندكم فيميل بِى هوَاىَ إلى جهلى فأعرِضُ عنْ علمى

وقولُ إبراهيم بن المهدى ، يعتذرُ للمأمون من وثوبهِ على الخلافة ، [من البسيط] :

البرُّ منك وِطَاءُ العذرِ عندكَ لِى فيما فعلتُ فلمْ تعذِلْ ولم تلُمِ

وقامَ علمكَ بى فاحتجَّ عندكَ لى مقامَ شاهدِ عدلٍ غيرِ متهمِ

وقول ابن المعتز [من المجتث] :

أسرفتُ فى الكتمانِ وذاكَ مِنِّى دَهانِى

كتمتُ حبكَ حتى كتمتهُ كتمانى

فلم يكنْ لِىَ بدٌّ مِنْ ذِكرهِ بلسانِى

وقوله أيضاً [من المديد] :

كيفَ لا يخضرُّ شاربهُ ومياهُ الحسنِ تسقيهِ

وَقول قابوس [من البسيط] :

ياذا الذى بصرُوفِ الدَّهرِ عيَّرَنا هلْ عاندَ الدهرُ إلاَّ مَنْ له خطَرُ

أما ترى البحرَ تطفو فوقه جِيفٌ وتستقرُّ بأقصى قعره الدُّرَرُ
وفى السماء نجومٌ لا عِدادَ لها وليسَ يكسفُ إلا الشمسُ والقمرُ

وقول أبى عبد الرحمن العطوى [من الخفيف] :

فوَحقّ البيانِ يعضده البر هانُ فى مأقط ألدّ الخصام
ما رأينا سوى الحبيبةِ شيئاً جمعَ الحسنَ كله فى نظام
هى تجرى مجرى الاصابة فى الرأ ى ومجرى الأرواح فى الأجسام

وقول ابن رشيق [من السريع] :

فيكَ خلافٌ لخلافِ الذى فيهِ خلافٌ لخلافِ الجميلْ
وغيرُ من أنتَ سوى غيرِهِ وغيرُ من غيركَ غيرُ البخيلْ

وقول الآخر أيضا [من الوافر] :

محاسنه هيُولاَ كلِّ حسنٍ ومغناطيس أفئدة الرجالِ

وقول مالك بن المرحل الأندلسى [من الرمل] :

لو يكون الحبُّ وصلاً كلهُ لم تكنْ غايته إلاّ المَلَلْ
أو يكون الحبّ هجراً كله لم تكنْ غايته إلاّ الكَلَلْ
إنما الوصل كمثل الماء لاَ يستطاب الماء إلا بالعللْ

البيتان الأولان قياس شرطى ، والثالث قياسٌ فقهى ، فانه قاس الوصل على الماء ، فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش ، فالوصل مثله لا يستطاب إلا بعد حرارة الهجر .

يروى أن أبا دُلَف قصده شاعر تميمى ، فقال له : من أنت ؟ قال : من تميم ، فقال [من الطويل] :

تميمٌ بطُرْقِ اللؤم أهدَى من القَطَا ولو سلكتْ سُبلَ المكارم ضَلَّتِ

فقال له التميمي : نعم بتلك الهداية جئت إليك ، فأفحمه بدليل تحلى ألزمه فيه أن المجيء إليه ضلال .

وظريفٌ قول ابن النكك [من الطويل] :

تصدّتْ جميعاً من وجوهٍ ليلقني
تكنّفهمْ جهلٌ ولؤمٌ فأفرطا

أراكم تصيبونَ التئامَ وإتقى
أراكم بطرق اللؤم أهدى من القطا[1]

ومنَ المذهب الكلامي قول ابن جابر الأندلسي [من الخفيف] :

لوْ قضى الله أنّ قلبيَ يبقىَ
ما حكى لحظه الغزالَ التفاتا

لكنِ اللحظ قد حكاه فقلبي
قدْ قضى نحبهُ زماناً وماتا

وقول أبي جعفر الأندلسي [من البسيط] :

لو كنتَ تعلم ما عيناكَ قدْ صنعا
لما بخلت على الشائق بالآمالِ

لكن بخلت فلم تعلم بما صنعتْ
في مهجتي لحظاتُ الأعين النُّجلِ

***

شاهد حسن التعليل

١٤٣ — لمْ يحكِ نائلَكَ السحابُ وإنما
حُمّتْ بهِ فصبيبها الرُّحضاءُ

البيت للمتنبي من قصيدة من الكامل[2] تذكر أولها : في شواهد التشبيه[3] وبعده قوله :

---

(١) آخر هذا البيت مأخوذ من قول الشاعر ، وقد تقدم قريبا إنشاده
نعم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(٢) اقرأها في الديوان (١ : ١٢ - ٣١)

(٣) ارجع إلى شرح الشاهد (رقم ٩٤ ج ٢ ص ٢٩)

لمْ تلقَ هذا الوجه شمسُ نهارنا إلا بوجهٍ ليسَ فيهِ حياء

فبأيّ ما قدمٍ سعيتَ إلى العلاَ أدمُ الهلالِ لأخمُصيكَ حذاء

ولكَ الزمان منَ الزمانِ وقايةٌ ولكَ الحمام منَ الحمام فداء

لوْلمْ تكنْ منْ ذاالورى الّذْ منكَ هو عقمت بمولدِ نسلها حوّاء(١)

والنائل : العطاء ، والرحضاء : العرق أثر الحمى .

والشاهد فيه : حسن التعليل لصفة لا يظهر لها فى العادة علة ، وقد عللها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح

ويقرب من معنى البيت قول أبى القاسم الزعفرانى [من الطويل] :

رَأى المزنُ ما تُعْطِى فضمّ على الأسى فؤاداً كأنّ البرْق فيهِ لهيب

وما أحسن قوله بعده :

وكم لاح برقٌ وابتسمت لِشَائِمٍ فكنت صدوقَ الْوبْلِ وهو كذوب

* * *

---

(١) الذ : لغة فى الذى ، يريد ـ لو لم تكن من هذا الورى الذى كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأنت أفضل أهله لكانت حواء فى حكم العقيم التى لم تلد، لكنها صارت ذات ولد بك ، ولولا أنت لكان أولادها كلاولد ، وقد استعمل « الذ » بدون الياء كما استعملها الراجز فى قوله :

* كالذ تزبى زبية فاصطيدا *

والسر فى اجترائهم على هذا الحذف أن الموصول طويل بسبب ما يستلزمه من الصلة والعائد ، فهم يحذفون بعض الموصول أحيانا ، ويحذفون الصلة أحيانا ، ويحذفون العائد أحيانا ، ولكن حذف بعض الموصول وحذف الصلة مما لا يقدم عليه إلا للضرورة

١٤٤ — ما به قتل أعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

البيت للمتنبي، من قصيدة من الرمل (١)، قالها في بدر بن عمار ارتجالا وهو على الشراب، [أولها] (٢):

شاهد ظهور علة لشيء غير علته

إنما بدر ابن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب *
إنما بدر رزايا وعطايا ومنايا وطعان وضراب *
ما يجيل الطرف إلا حمدته جهدها الأيدي وذمته الرقاب

وبعده البيت، وبعده:

فله هيبة من لا يرتجي وله جود مرجى لا يهاب (٣)
طاعن الفرسان في الأحداق شزراً وعجاج الحرب للشمس نقاب
باعث النفس على الهول الذي ليس لنفس وقعت فيه إياب
بأبي ريحك لا نرجسنا ذا وأحاديثك لا هذا الشراب
ليس بالمنكر أن برزت سبقاً غير مدفوع عن السبق العراب

والشاهد فيه: ظهور علة لصفة غير علتها الحقيقية، فلا يكون من حسن التعليل، فإن قتال الأعداء في العادة: إنما يكون لدفع مضرتهم، لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبة تصديق رجاء آمليه بعثته على قتل أعدائه، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب ترجو سعة الرزق من قتلاه وهذا مبالغة في وصفه بالجود، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي: أي تناهى في الشجاعة، حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم من الذئاب

---

(١) اقرأها في الديوان (١ – ١٣٣)
(٢) زيادة يقتضيها المقام
(٣) في الديوان * فله هيبة من لا يترجي * وهي الصواب للوزن

وغيرها ، فلهذا غدا للحروب وجبت أن تنال من لحوم أعدائه ، ويتضمن أيضا مدحه بأنه ليس ممن يسرف فى القتل طاعة للغيظ والحنق ، أى ليست قوته الغضبية متصلة برذيلة الإفراط ، ويتضمن أيضا قصور أعدائه عنه ، وقرط أمنه منهم ، وأنه لا يحتاج إلى قتلهم واستئصالهم .

ومثله أيضا قول أبى طالب المأمونى [من الخفيف] :

مغرمٌ بالثناء صبٌّ بكسب المجـــد يهتز للسماح ارتياحا

لا يذوقُ الإغفاء إلا رجاءً أن يرى طيف مستميح رَوَاحا

وأصله من قول الآخر [من الطويل] :

وإنى لأستغشى وما بى نعسةٌ لعلّ خيالا منك يلقى خياليا

***

شاهد إثبات صفة ممكنة لموصوف

١٤٥ — ياواشياً حَسُنَتْ فينا إساءته نَجَّى حذارُكَ إنسانى من الغَرَقِ

البيت لمسلم بن الوليد ، من قصيدة من البسيط ، لم أقف منها إلا على هذه الأبيات :

إنى أصدُّ دموعاً لَجَّ سائقها مطروفة العين بالمرضى من الحدقِ

إيه فإن النوى وافت مصيبته مولَّعَ القلب بين الشوقِ والقلقِ

ما كلّ عاذلةٍ تُضْنِى لما أَدَّتِى وقد سمحت على الإكراهِ فانطلقِ

فما سلوت الهوى جهلا بلذته ولا عصيت إليه الحلم عن خرقِ

والمراد بالإنسان هنا : إنسان العين .

والشاهد فيه : إثبات صفة ممكنة لموصوف ، فإن استحسان إساءة الواشى شىء ممكن ، لكن لما خالف الناس فيه عقّبه بأن حذاره منه نجى إنسان عينه من الغرق فى الدموع حيث ترك البكاء خوفا منه .

وقد تشبث القاضي السعيد بن سناء الملك بأذيال مسلم بن الوليد وأحسن اتباعه بقوله [من الخفيف] :

علمتني بهجرها الصبرَ عنها　　فهْيَ مشكورةٌ على التقبيحِ

وهو من قول القائل [من المنسرح] :

أعتقني سوءُ ما صنعتَ من الرق فيا بَرْدَها على كبدي

فصرت عبدًا للسوء فيك وما　　أحسَنَ سوءٌ قبلي إلى أحد

ومنه قول أسامة بن منقذ ، ولم أدر أيهما أخذ من الآخر [من مخلع البسيط] :

قل للملول التي تجنّي　　وخان من بعد ملك رقي

أحسن بي لا عن اعتماد　　غدْرُكَ إذ جاد لي بعتق

ومنه قول الشاعر [من الكامل] :

أهلا وسهلاً بالمشيب فإنه　　سِمَةُ العفيف وحلية الزهاد

ومنه قول بعضهم [من الوافر] :

جزى الله الشدائد كل خير　　وإن جرّعتني غصصي بريقي

وما شكري لها إلا لأني　　عرفتُ بها عدوّي من صديقي

وقول الآخر [من الطويل] :

عداتي لهم فضل علي ومنة　　فلا أذهَبَ الرحمنُ عني الأعاديا

هُمُ بحثوا عن زلتي فاجتنبتها　　وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

ترجمة مسلم بن الوليد

ومسلم بن الوليد هو صريع الغواني ، وأبوه مولى أبي أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي ، ومسلم شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده بالكوفة وهو — فيما زعموا — أول من قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لقّبَ هذا الجنس بالبديع واللطيف ، وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي ، فإنه جعل شعره كله

مذهبا واحدا فيه ، ومسلم كان متفننا متصرفا فى شعره

وقال محمد بن يزيد : كان مسلم شاعرا حسن النمط ، جيد القول فى الشراب ، وكثير من الرواة يقرنه بأبى نواس فى هذا المعنى ، وهو أول من عقد هذه المعانى اللطيفة الظريفة واستخرجها

وحدث محمد بن القاسم بن مهرويه قال : سمعت أبى يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، جاء بهذا المعنى الذى سماه الناس بالبديع ، ثم جاء الطائى بعده فتحير الناس[1]

واجتمع أصحاب المأمون عنده يوما فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين من مسلم بن الوليد حيث يقول ، قال : ماذا قال ؟ قال : حيث يقول وقد رثى رجلا [من الطويل] :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه   فطيبُ ترابِ القبر دلّ على القبرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال [من البسيط] :

يجود بالنفس إنْ ضنّ الجواد بها   والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلا بقبح الوجه والأخلاق فقال [من الكامل] :

قبحتْ مناظره فحين خبرته   حسنتْ مناظره لقبح المخبرِ

وتغازل فقال [من الرجز] :

هوى يجد وحبيبٌ يلعب   أنتَ لقىً بينهما معذّبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم فى ذكره

وحدث أبو القاسم الفقيه الموصلى قال : جاريت ابن فراس الكاتب بحضرة

---

(١) فى مهذب الأغانى وقد نقل هذا الكلام كله (٨ ـ ٢) «ثم جاء بعده الطائى فتفنن فيه »

القاسم بن عبيد الله فى شىء من أشعار المحدَثين ، فاعتقد تفضيل أبى نواس ، واعتقدت تفضيل مسلم بن الوليد ؛ وطال الخطاب فى ذلك حتى دخل أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، فتحاكمنا إليه ، فقال : قال لى عبد الصمد بن المعذل وما رأيت أغربَ معرفة منه بالشعر وقد سألته عنهما : والله ما جرى أبو نواس قط فى ميدان مسلم ، ولا تسمو نفسه إلى أن يفاضل بينهما ، إلا أن له حظا من الشهرة والذكر ليس لمسلم مثله

وكان مسلم منقطعا إلى البرامكة ، ثم اتصل بعد ذلك بالفضل بن سهل ، وقرب من قلبه وحظى عنده حتى قلده أعمالا بجرجان اكتسب فيها ألف ألف درهم ، فلما حصل المال عنده لزم منزله ، وكان كريما سمحاً ، فأتلف جميع ما اكتسبه ، ثم صار إلى الفضل بن سهل بعد ذلك مستجديا ، فقال له : ألم أغنك؟ قال : ما أغناى فى ألف ألف وألف ألف وألف ألف ، ولا هى قدرك ولا قدرى ، فقال له الفضل : إن بيوت الأموال لا تقوم على هذا الفعل ، ثم قلده الضياع بأصبهان ، وضم إليه رجلا يأخذ مرافق العمل ويطلق له منها شيئا يحتاج إليه بقدر نفقته ويبتاع له بالباقى ضياعا ، فاكتسب منها أيضاً ألف ألف ابتيع له بها ضياع ، فلما قتل الفضل بن سهل لزم منزله ولم يمدح أحداً حتى مات

وحدثت رابعة البرمكية قالت : كنت يوماً وأنا وصيفة على رأس مولاى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى وبيدى مِذَبة أذب بها عنه إذ استؤذن لمسلم بن الوليد الأنصارى ، فأذن له ، فلما دخل عليه أعظمه وأكرمه واستنشده ، قالت : ثم خلع عليه وأجازه وانصرف ، فما قلت إنه جاز الستر حتى استؤذن لأبى نواس فامتنع من الاذن له ، حتى سأله بعض من كان فى المجلس أن يأذن له ، ففعل على تكره منه ، فلما دخل سلم عليه ، فما علمت أنه ردَّ عليه ، ولا أمره بالجلوس ، ولا رفع إليه رأسه ، فلما طال عليه الوقوف قال : معى أبيات أفأنشدها ؟ قال : افعل ، وهو فى غاية التكره والثقل ، فأنشده إياها [من الطويل] :

طرحتم على الترحالِ أمراً فهمَّنا ولو قد فعلتم صبّح الموتُ بعضَنا

فلما بلغ إلى قوله :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالدٍ هواكِ لعلَّ الفضلَ يجمع بيننا

قَطَّبَ وجهه وقال : أمسك عليك لعنة الله ، اعزب قبحك الله ، وأمر بإخراجه محروما ، فأخرج ، والتفتَ الفضلُ إلى أنس بن أبي شيخ وقال : ما رأيت مثل هذا الرجل ولا أقل تمييزاً فى كلامه منه ، فقال أنس : إن اسمه كبير ، فقال : عند من ويلك ؟ هل هو إلا عند سقّاط مثله وخلق يشاكلونه ، فقال له : وأين هو من مسلم ؟ فقال الفضل وقد غضب : والله لأحجبنك ثلاثاً ، ولا كلمتك سيما إذ كان هذا مبلغ عقلك ونهاية معرفتك ، والله إن مسلما ليفضل عندى الطبقة المتقدمة أو يساويهم ، فلا أرينّكَ ثلاثا

وحدث حماد بن إسحاق عن أبيه قال : لقى مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له : ما أعرف لك بيتا إلا فيه سقط ، قال : ما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنت ماشئت حتى أريك سقطه فيه ، فأنشده [من الكامل] :

ذكرَ الصبوح بسحرةٍ فارتاحا وأمله ديكُ الصباح صياحا[١]

فقال مسلم : فلم أمله وهو الذى أذكره و به ارتاح ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى أنت شيئا من شعرك ليس فيه خلل ، فأنشده مسلم [من الكامل] :

عاصَى الشبابَ فراح غير مفنَّدِ وأقام بين عزيمة وتجلدِ

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحا مقيما فى حالة ، فتشاغبا وتسابَّا ساعة ، وَكلا البيتين صحيح المعنى

وقال يزيد بن مزيد : أرسل إلى الرشيد يوماً فى وقت لا يرسل فيه إلى مثلى فأتيته لابسا سلاحى مستعدا لأمر إن أراده ، فلما رآنى ضحك إلىّ ثم قال : يا يزيد خبرنى من الذى يقول فيك [من البسيط] :

(١) فى الأصل « وأمله ديك الصباح فصاحا » وأثبتنا ما فى الديوان

تراه في الأمن في درع مُضَاعفةٍ لا يأمن الدهر أن يُدعَى على عجل
لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

قلت : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، قال : سوءةً لك من سيد قوم يُمتَدح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم بن الوليد ، فانصرفت فدعوت به ووصلته ووليته

وحدث ذو العلمين قال : دخل يزيد بن مزيد على الرشيد فقال له: يا يزيد ، من الذي يقول فيك [من البسيط] :

لا يعبق الطيب خَدَّيْهِ ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل
قد عوَّد الطير عاداتٍ وثقن بها فهن يتبعنه في كل مُرتَحَلِ

قال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، قال له : أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ؟ فخرج من عنده خَجِلاً ، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه ، فقال له : مَنْ بالباب من الشعراء ، قال : مسلم بن الوليد ، قال : وكيف حجبته عني فلم تعلمني بمكانه ؟ قال : أخبرته أنك مُضيِّق وأنه ليس في يدك شيء تعطيه إياه وسألته الامساك والمقام أياما إلى أن تتسع ، قال : فأنكر ذلك عليه ، وقال : أدخله إلي ، فأدخله إليه فأنشده قوله [من البسيط] :

أجررتُ حبلَ خليعٍ في الصِّبَا غَزِلِ وشمَّرَتْ هِمَمُ العذالِ عن عَذَلي
رد البكاء على العين الطموح هوًى مفرقٌ بين توديعٍ ومرتحلِ
أما كفى البينَ أن أُرْمَى بأسهمه حتى رماني بسهم الأعين النجلِ
مما جنت لي وإن كانت مُنًى صدقتْ صبابةٌ خُلَسُ التسليم بالمقلِ

فقال له : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم ، فاقبضها واعذر ، فخرج الحاجب فقال لمسلم: قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم خمسون ألفا منها لك وخمسون ألفاً لنفقته ، فأعطاه إياها وكتب صاحب الخبر بذلك إلى الرشيد

فأمر له بمائتي ألف ، وقال : اقبض خمسين ألف التي أخذها الشاعر ، وزده مثلها وخذ مائة ألف لنفقتك . فافتك ضيعته وأعطى مسلماً خمسين ألفاً أخرى

وحدث مسلم قال : كنت يوما جالساً فى دكان خياط بازاء منزلى إذ رأيت طارقاً ببابى ، فقمت إليه فاذا هو صديق لى من أهل الكوفة قد قدم من قم ، فسررت به . وكأن إنسانا لطم وجهى حيث لم يكن عندى درهم واحد أنفقه ، فقمت فسلمت عليه وأدخلته منزلى ، وأخذت خفين كانا لى أتجمل بهما فدفعتهما إلى جاريتى ، وكتبت معها رقعة إلى بعض معارفى فى السوق أسأله أن يبيع الخفين ويشترى لحما وخبزا ، فمضت الجارية وعادت إلى وقد اشترى لها ما حددته له ، وقد باع الخفين بتسعة دراهم ، فكأنها إنما جاءت إلى بخفين جديدين ، فقعدت أنا وضيفى نطبخ ، وسألت جاراً لى أن يسقينا قارورة نبيذ فوجه بها إلى ، وأمرت الجارية بأن تغلق باب الدار ، فأنا لجالسان نطبخ إذ طرق طارق الباب ، فقلت لجاريتى : انظرى من هذا ، فنظرت من شق الباب فاذا رجل على جواد عليه سواد وشاشية وقطيفة ومعه شاكرى ، فخبرتنى بموضعه ، فأنكرت أمرى ، ثم رجعت إلى نفسى فقلت : لست بصاحب دَعارة ، ولا للسلطان على سبيل ؛ ففتحت الباب وخرجت إليه ، فنزل عن دابته وقال : أنت مسلم بن الوليد ؟ قلت : نعم ، قال : كيف لى بمعرفتك ؟ قلت : الذى دَلَّكَ على منزلى يصحح لك معرفتى ، فقال لغُلَامه : امض إلى الخياط فسله عنه ، فمضى فسأله عنى ، فقال : نعم هو مسلم بن الوليد ، فأخرج إلى كتابا من خفه وقال : هذا كتاب الأمير يزيد بن مزيد يأمرنى أن لا أفضه إلا عند لقائك ، فاذا فيه « إذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع إليه هذه العشرة آلاف درهم تكون له فى منزله ، وادفع له أيضاً ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمل بها إلينا » فأخذت الثلاثة والعشرة ودخلت إلى منزلى والرجل معى فأكلنا ذلك الطعام ، وازددت فيه وفى الشراب ، واشتريت فاكهة ، واتسعت ووهبت لصاحبى من الدراهم ما يُهْدى به هدية لعياله ، وأخذت فى الجهاز ، ثم

ما زلت معه حتى صرت إلى أرقة إلى باب يزيد بن مزيد ، فدخل الرجل وإذا هو أحد حجابه فوجده فى الحمام فخرج إلى فجلس معى قليلا ، ثم خبرنى الحاجب بأنه قد خرج من الحمام ، فأدخلنى إليه فاذا هو جالس على كرسى وعلى رأسه وصيفة وبيدها غلاف مرآة ومشط يسرح به لحيته ، فقال لى : يامسلم، ما الذى أبطأ بك عنا ؟ فقلت : أيها الأمير قلة ذات اليد ، قال : فأنشدنى ، فأنشدته قصيدتى التى مدحته بها ؛ فلما صرت إلى قولى منها [من البسيط]:

لا يَعْبَق الطِّيبُ خديهِ ومَفْرِقَهُ ... ولا يُمَسِّحُ عَينَيْهِ من الكحلِ

وضع المرآة فى غلافها وقال للجارية : انصرفى فقد حرم علينا مسلم الطيب ، فلما فرغت من القصيدة قال لى : يامسلم، أتدرى ما حدانى إلى أن وجهت إليك ؟ قلت : لا والله ما أدرى، قال : كنت عند الرشيد منذ ليالى أغمز رجليه إذ قال: يايزيد من القائل فيك [من البسيط]:

سلَّ الخليفةُ سيْفاً من بَنى مَطرٍ ... يَمْضى فَيَخترمُ الأجسادَ والهَاما

كالدَّهر لا ينثنى عَمَّا يَهُمُّ بهِ ... قَدْ أوسَعَ الناسَ إنعاماً وإرغاما(١)

فقلت : لا والله ماأدرى ، فقال لى الرشيد : يا سبحان الله ! أنت مقيم على أعرابيتك ، يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدرى من قائله فيك ، فسألت عنه فأخبرت أنك هو، فقم حتى أدخلك على أمير المؤمنين ، ثم قام فدخل على الرشيد فما علمت حتى خرج على الآذن، فأذن لى فدخلت على الرشيد فأنشدته مالى فيه من الشعر فأمر لى بمائتى ألف درهم ، فلما انصرفت إلى يزيد بن مزيد أمر لى بمائة وتسعين ألفاً وقال : لا يجوز أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين ، وأقطعنى إقطاعات تبلغ غلتها مائتى ألف درهم ، قال مسلم : ثم أفضت بى الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبنى ، فهجوته ، فشكانى إلى الرشيد ، فدعانى وقال لى: أتبيعنى عرض يزيد؟ قلت: نعم ،فقال لى: بكم؟ فقلت: برغيف خبز ، فغضب حتى خفته على نفسى وقال

---

(١) فى الأصل « لاينثنى عما بهم أبدا » مصرفا ، وأثبتنا ما فى الديوان

قد كنت ترى أن أشتريه منك بمال جسيم ، ولست أفعل ولا كرامة، فقد علمت إحسانه إليك ، وأما نفيُ عن أبي والله ثم والله لئن بلغني أنك هجوته لأنزعَنَّ لسانك من بين فكيك ، فأمسكت عنه بعد ذلك ولا ذكرته بخير ولا شر

وحدث أبو توبة قال : كان مسلم بن الوليد جالساً بين يدي يزيد بن مزيد ، فأتاه كتاب فيه مُهِم له ثم أراد القيام ، فقال له مسلم بن الوليد [من البسيط] :

الحزمُ تخريقُهُ إن كنتَ ذا حذرٍ　　وإنما الحزمُ سوءُ الظنِّ بالناسِ

لقد أتاكَ وقد أدّى أمانَتَهُ　　فاجعلْ صيانَتَهُ في بطنِ أرماسِ

قال : فضحك يزيد وقال : صدقت لعمري ، وخرق الكتاب وأمر بإحراقه

وحدث الحسن بن سعيد عن أبيه قال : كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء في السنة مجلساً واحداً ، فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه ، فوجه إليه مسلم بن الوليد براويته بشعره الذي يقول فيه [من البسيط] :

جَلَّله حيثُ تركبُ الرِّيحُ بهِ　　وتحسُدُ الطيرَ فيهِ أضبُعُ البيدِ

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ، ولحقه بعقب خروجهم عنه ، فتقدم إلى الحاجب وحَسَرَ لثامه عن وجهه ثم قال له : استأذن لي على الأمير ، قال : ومن أنت لقد انصرم وقتك وانصرف الشعراء وهو على القيام ؟ فقال له : ويحك ! قد وفدت على الأمير بشعر ماقالت العرب مثله ، قال : وكان مع الحاجب أدب يفهم به مايسمع ، فقال : هات حتى أسمع فإن كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه ، فأنشده بعض القصيدة فسمع شيئاً يقصُرُ الوصفُ عنه ، فدخل على داود فقال له: قد قدم على الأمير شاعر بشعر ماقيل فيه مثلُهُ ، فقال: أدخل قائله فلما مثل بين يديه سلم وقال : قد قدمت على الأمير أعزه الله بشعر يسمعه فيعلم به تقدمي على غيري ممن امتدحه ، فقال : هات ، فلما افتتح القصيدة قال [من البسيط] :

لاتدْعُ بي الشوقَ إني غيرُ معمودِ　　نهى النُّهى عن هوى البيضِ الرعاديدِ

استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجلُ على آخر الشعر ، ثم رفع رأسه إليه قال : أهذا شعرك؟ قال : نعم أعز الله الأمير ، قال : فى كم قلته ؟ قال : فى أربعة أشهر أبقاك الله ، قال : لو قلته فى ثمانية أشهر لكنت محسنا ، وقد اتهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك ، فإن كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر فى مثلها ، وأمرت بالأجراء عليك ، فإن جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك ، قال : أو الاقالةَ أعز الله الأمير ، قال : قد أقلتك ، قال : الشعر لمسلم بن الوليد ، وأنا راويته والوافد عليك بشعره ، قال : أنا ابن حاتم ، إنك لما افتتحت شعره قلت :

* لاتَدْعُ بى الشَّوْقَ إنى غيرُ مَعْمُودِ *

سمعت كلام مسلم بن الوليد يُنادى ، فأجبت نداءه واستويت جالسا ، ثم قال : ياغلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ، واحمل الساعة إلى مسلم بن الوليد مائة ألف درهم

وحدث محمد بن عبد الله التميمىّ ، قال : دخل مسلم بن الوليد على الفضل ابن سهل لينشده شعراً فقال : أيها الكهل إنى أجلك عن الشعر ، فسل حاجتك قال : بل تستتم اليد علىّ بأن تسمع ، فأنشده [من البسيط] :

دُمُوعُها من حِذَار البين تنسكِبُ وقَلْبُها مُغرمٌ من حَرِّ ما يَجِب[1]

جدّ الرَّحيلُ بها عَنْهُ فَفارَقَهُ لبيْنِهَا اللّهْوُ واللذات والطَّرَب

يهوى المسيرَ إلى مروٍ فيحزنُهُ فراقُها فهو ذو نفسين يرتقبُ

فقال له الفضل : إنى لأجلك عن الشعر ، قال : فأغننى بما أحببت من عملك فولاه البريد بجرجان

وحدث محمد بن عمرو بن سعيد قال : خرج دعبل الخزاعى إلى خراسان لما بلغته حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل ، فصار إلى مرو وكتب إلى الفضل ابن سهل [من الكامل] :

---

(١) يجب : يخفق ويضطرب

لا تعبأنْ بابن الوليدِ فانهُ يرميك بعدَ ثلاثةٍ بملالِ
إنَّ الملولَ وإن تقادم عهدُه كانت مودّته كفَىْءِ ظلالِ

قال : فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم وقال : انظر ياابن الوليد رقعة دعبل فيك فلما قرأها قال له : هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يفسق به ؟ قال : لا ، قال : كان يلقب بمياس ، ثم كتب إليه يقول [من الكامل] :

مَيّاسُ قل لى أين أنت من الورى لا أنت مَعْلومٌ ولا مجهولُ
أما الهجاء فَدَقَّ عرضُكَ دونه والمدحُ عنك كما علمت جليلُ
فاذهب فأنت طليقُ عرضك إنه عِرضٌ عززت به وأنت ذليلُ

وكان مسلم أستاذ دعبل ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى

وحدث الحسين بن دعبل قال : سمعت أبى يقول : بينا أنا جالس بباب الكَرْخ إذ مرت جارية لم أر أحسَنَ منها وجها ولا قدًّا ، تتثنى فى مشيها وتنظر فى أعطافها ، فقلت متعرضا لها [من مخلع البسيط] :

دموعُ عينى بها انبساطُ ونومُ عينى به انقباضُ

فأجابتنى مسرعة فقالت :

وذا قليلٌ لمن دهتْهُ بلحظها الأعينُ المِرَاضُ

فأدهشتنى وأعجبتنى فقلت :

فهل لمولاتِ عطفُ قلبٍ وللذى فى الحشى انقراضُ[1]

فأجابتنى غير متوقفة وقالت :

إن كنتَ تهوى الودادَ منا فالودُّ فى ديننا قِراضُ

قال : فما دخل فى أذنى كلام قط أحلى من كلامها ، ولا رأيت أنضر وجها منها ، فعدلت بها عن ذلك الوجه وقلت [من الكامل] :

---

(١) حذف ياء المتكلم من « لمولات » اكتفاء بالكسرة قبلها

أترى الزمان يسرنا بتلاقِ ويضم مشتاقا إلى مشتاقِ

فأجابتني بسرعة فقالت :

ما للزمان وللتحكم بيننا أنت الزمان فَسُرَّنَا بتلاقِ

قال : فمضيت أمامها أؤم بها دار مسلم بن الوليد وهي تتبعني ، فصرت إلى منزله ، فصادفته على عسرة فدفع إلى منديلا وقال : اذهب فبعه وخذ لنا ما نحتاج إليه وعُدْ ، فمضيت مسرعا فلما رجعت وجدت مسلما قد خلا بها في سرداب، فلما أحس بي وَثَبَ إلى وقال : عرَّفَكَ الله يا أبا على جميل ما فعلت ، ولقاك ثوابه ، وجعله أحسن حسنةالك ، فغاظنى قوله وطَنْزه بي ، وجعلت أفكر أي شيء أعمل به ، فقال : بحياتى يا أبا على أخبرنى من الذى يقول [من الخفيف] :

بتُّ في درعها وبات رفيقى جنبَ القلب طاهر الأعطاف

فقلت :

من له في حِرامِهِ ألفُ قَرْنٍ قد أنافت على علوِّ منافِ

وجعلت أشتمه وأثب عليه ، فقال لى : يا أحمق منزلى دخلت ، ومنديلى بعت ، ودراهمى أنفقت ، على من تحرَدُ أنت(١) ؟ وأى شيء سبب حَرَدِك يا قواد ؟ فقلت له : مهما كذبت على فيه من شيء فما كذبت في الحمق والقيادة

ولقى محمد بن أبى أمية مسلم بن الوليد وهو يمشى وطويلته مع بعض أصحابه ورواته ، فسلم عليه ثم قال: قد حضرنى شيء ، فقال : هاته ، فقال:على أنه مزاح ولا تغضب ، قال : هاته ولو كان شتما ، فأنشده [من المديد]

مَنْ رأى فيما خَلاَ رجلاً تيهُهُ أَرْبَى على جِدَتِهْ

يتمشَّى راجــلا وله شاكِرِيٌّ في قلنسِيَتِهْ

فسكت عنه مسلم ولم يجبه ، وضحك ابن أبى أمية ، وافترقا

---

(١) حرد حردا : مثل غضب غضبا ، وزنا ومعنى.

وكان غمه بن أبى أمية برذون يركبه ، فنفق ، فلقيه مسلم وهو راجل قال له : ما فعل برذونك ؟ قال : نفق ، قال : فنجازيك إذاً على ما أسلفتنا ، ثم أنشد [من السريع] :

قل لابن مىّ لا تكن جازعاً لن يرجع البرذون بالليت[1]
طامن أحشاءك فقدانه وكنت فيه عالى الصوت[2]
وكنت لا تنزل عن ظهره ولو من الحُشّ إلى البيت
ما مات من سقم ولكنه مات من الشوق إلى الموت[3]

وعن الحسين بن أبى السرى قال : قيل لمسلم بن الوليد : أى شعرك أحب إليك ؟ قال : إن فى شعرى لبيتاً أخذت معناه من التوراة وهو قولى [من البسيط] :

دلت على عيبها الدنيا وصدّقها ما استرجع الدهر مما كان أعطانى

قال الحسين : وحدثنى جماعة من أهل جرجان أن راوية مسلم جاءه بعد أن طلبه ليعرض عليه شعره ، فتغافل مسلم ، ثم أخذ منه الدفتر الذى فى يده فقذف به فى البحر ، فلهذا قل شعره ، فليس فى أيدى الناس منه إلا ما كان بالعراق وما كان فى أيدى الممدوحين من مدائحه

وحدث الحسين بن دعبل قال : قال أبى لمسلم بن الوليد : ما معنى قولك

* لا تدع بى الشوق إنى غير معمود *

---

(١) يروى عجز هذا البيت :

* ليس على البرذون من فوت *

(٢) فى مهذب الأغانى (٨ - ١٩)

* طأطأ من تيهك فقدانه *

(٣) فى المهذب « مامات من حتف »

قال: لاتدعني صريع الغواني فإني لست كذلك، وكان يلقب هذا اللقب، وكان له كارها

وحدث محمد بن المهنأ قال: كان العباس بن الأحنف مع إخوان له على الشراب فذكروا مسلم بن الوليد، فقال بعضهم: صريع الغواني، فقال العباس: ذلك ينبغي أن يسمى صريع الغيلان، لاصريع الغواني، وبلغ ذلك مسلما فقال يهجوه [1] [من البسيط]:

بَنو حنيفة لا تَرْضَى الدَّعِيَّ بهم ... فَاتْرُكْ حنيفةَ واطْلُبْ غيرهم نَسبا

وَاذْهَبْ فأنت طليقُ الحلمِ مُرْتَهَنٌ ... بسورةِ الجهلِ مالم أملك الغضبا

ارْجِعْ إلى عرب تَرْضَى بنسبتهم ... إني أرى لك خَلْقاً يشبه العَرَبا

مُنيت مني وقد جدَّ الجراء بنا ... بغايةٍ مَنعتكَ الفَوْتَ والطَّلَبا

وكانت وفاته بجرجان وهو يتقلد بها عملا، يروى أنه لما احتضر نظر إلى نخلة لم يكن بجرجان مثلها فقال [من الهزج]:

أَلا يانَخْلَةً بالسَّفْـ ... ـحِ مِنْ أكنافِ جُرْجَانِ

أَلا إني وإياكِ ... بجُرْجَان غريبانِ

ثم مات عند آخرها، رحمه الله تعالى!

* * *

١٤٦ - لَوْلَمْ تكنْ نِيةُ الجَوْزاءِ خِدْمتَهُ ... لَمَا رَأَيْتَ عليْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ

شاهد إيراد صفة غير مما لموصوف

البيت من البسيط، وهو مترجم من الفارسية

والجوزاء: برج في السماء، والانتطاق شد المنطقة، ونطاق الجوزاء: كواكب حولها.

(١) في المهذب ذكر هذه الأبيات ضمن ستة أبيات مع اختلاف في ترتيبها وفي بعض ألفاظها

والشاهد فيه : إثبات صفة غير ممكنة لموصوف، فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها له

أمثلة من إثبات صفة غير ممكنة

ومثله قول التهامى [من البسيط] :

لو لم يَكُنْ أقحوانًا ثَغْرُ مبسمها ما كان يَزْدادُ طيباً ساعةَ السَّحَرِ

وقوله أيضا [من السريع] :

لو لم تكُنْ ريقَتُهُ خَمْرةً لما تثنى غُصْنُهُ وهْوَ صاحْ

وقول الأمير مجيرالدين بن تميم فى مليح وقاد [من السريع] :

لامُوا على الوقّاد فى حُسنِهِ وَحُبُّهُ باللَّوْم يزدادُ

لو لم يكنْ فى حُسْنِهِ كَوْكبًا ما كانَ أمْسَى وهْوَ وَقَّادُ

وقول السرى الرفاء [من الرمل] :

مَوْقِفٌ لو لم يَكُنْ ناراً إذًا لم تكُنْ زُرْقَ عواليهِ شَرَرْ

وقول أبى إسحاق إبراهيم الغرناطى [من المتقارب] :

لَعَمْرُكَ ما ثغرُهُ باسمٌ ولكنَّهُ حَبَبٌ لاعِبُ

ولو لم يَكُنْ ريقه مُسكِراً لَمَادَارَ من حوْلِهِ الشارب

وقوله : وكتب به على الكتاب المسمى بتاج المفرق [من الكامل] :

إنّ الإمامَ أبا البقاءِ الأوحدَا عجَب يعزُّ بمغربٍ وبمَشْرِقِ

لو لم تكنْ دُرَراً لنا كلماته ما نُظِّمَتْ حلْيا بتاج المَفْرِق

وما أحسن قول محمد بن هانىء [من الكامل] :

قَدْ طَيَّبَ الأفواه طيبُ ثنائه من أجْلِ ذا تَجِدُ الثُّغور عِذَابَا

وقول الآخر أيضا [من السريع] :

قد قُلتُ إذْ أبْصرتُها حاسِراً عَنْ سَاقها فاضِلَ سِيرْ بالمَا

لو لم تَكُنْ من بَرَدٍ ساقُها لاحترَقتْ من نار خلخالها

شاهد التعليل على سبيل الشك

١٤٧ — كأنَّ السَّحابَ الغُرَّ غُيِّبن تحتَها حَبيباً فما تَرقا لهُنَّ مَدامعُ

البيت لأبى تمام الطائى، من قصيدة من الطويل[1] يمدح بها قومه طيئا، أولها:

ألا صَنعَ البينُ الذى هُوَ صانِعُ فإنْ تَكُ مجزاعاً فما البينُ جازع
هُوَ العامُ من أسْماء والعامُ رابعٌ لهُ بِلوَى خَبْتٍ فهَلْ أنتَ رابع[2]
ألا إنَّ صَدْرى من عزائىَ بَلْقَع عشيةَ شاقَتْنى الدِّيارُ البلاقع[3]

وبعده البيت، وبعده:

رُبًا شفعَت ريحُ الصَّبا لرِياضها إلى الغيثِ حتّى جادها وهْوَ هامعُ
فبشْرُ الضّحَى غدْوًا لهنَّ مُضاحكٌ وجنْبُ النّدَى ليلا لهنَّ مُضاجع[4]
كساكَ من الأنوار أبيَضُ ناصعٌ وأصفرُ فَقَاعٌ وأحمرُ ساطع[5]
لئن كان أمسَى شَمْلُ وحشِك جامِعاً لقدْ كان لِى شَمْلٌ بأُنسِكَ جامِعُ

وهى طويلة

والسحاب الغر: جمع أغر، وهى الماطرة الغزيرة الماء، والضمير فى «تحتها» راجع للديار فى البيت الذى قبله

والشاهد فيه: التعليل على سبيل الشك، فانه علل شاكا نزولَ المطر من السحاب بأنها غيبت تحت تلك الربا حبيبا فهى تبكى عليه

---

(١) انظرها فى الديوان (٤٧٧) فى باب الفخر

(٢) فى الديوان «هو الربع من أسماء»

(٣) فى الديوان «ألا إن صدرى من بلائى بلاقع»

(٤) غدوا: لغة فى غد، ومنه قول لبيد:

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها، وغدوا بلاقع

وأراد هنا وقت الغداة

(٥) ورد هذا البيت فى الديوان:

كساك من الأنوار أصفر فاقع وأبيض نصاع وأحمر ساطع

ومنه قول محمد بن أبي زرعة [من البسيط] :

كأنَّ صَبَّيْنِ باتا طولَ ليلهما يستمطرَان على غُدْرانها المُقَلَا

ومنه قول أبي الطيب المتنبي [من الكامل] :

وكأنَّ كل سحابةٍ وقفتْ بها تبكى بعينىْ عروةَ بنِ حزامِ

ومنه قوله أيضا [من الكامل] :

رَحلَ العزاء برحلتى فكأننى أتبعتهُ الأنفاسَ للتشييعِ

ومنه قول بعضهم ، وقد مات صديق له فى يوم ماطر [من الطويل] :

برُوحى الذى جاء الغمَامُ يعودُهُ فصادَفَهُ نحوَ المنية قدْ سرَى

فما زالَ يبدى حُرْقةً وتنهداً ويبكى إلى أن بلَّ من دَمعه الثرَى

وقريب منه قول ابن رَشيق ، وقد غاب المعز صاحب أفريقية عن حضرته وكان العيد ماطراً [من البسيط] :

تَجَهَّمَ العيدُ وانهلَّتْ بوَادرُهُ وكنتُ أعهدُ منه البشر والضحكا

كأنما جاء يَطوِى الأرضَ من بُعُدٍ شوقاً إليكَ فلما لم يجدْكَ بكى

وبديعٌ قولُ الوزير الأديب أبى الأصبع بن رشيد ، وقد هطلت بأشبيلية سحابة بقطر أحمر فى يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة [من المتقارب] :

لقد آنَ للناس أن يُقْلِعوا ويَمْشُوا على المنهج الأقومِ

متى عهِدَ الغيثُ يانعلملاً كلون العقيقِ أو العنْدَمِ

أظنُّ الغمَائمَ فى جوِّهَا بكتْ رَحمةً للورَى بالدَّمِ

ولنذكر طرَفًا من محاسن حسن التعليل : فما جاء من ذلك قول البحترى ، [من المتقارب] :

طرف من حسن التعليل

ولو لم يكن ساخطاً لم أكن   أذمُّ الزمانَ وأشكو الخطوبا

وقول أبى هفان أيضا [من الطويل] :

ولو لم تصافحْ رجلُها صفحةَ الثرى   لما كنتُ أدرى علةً للتيممِ

وقد أخذه ابن رشيق ، فقال [من الوافر] :

سألت الأرض لِمْ كانت مُصَلّى   ولِمْ كانت لنا طهراً وطيبا

فقالَتْ غيرَ ناطقةٍ : لأنى   حَوَيتُ لكل إنسان حبيبا

وقول مسلم بن الوليد [من الكامل] :

إن يقعدوا فَوْقى لغيرِ نزاهةٍ   وعلوِّ مرتبةٍ وعزٍّ ومكانِ

فالنارُ يعلوها الدخانُ وربما   يعلو الغبار عمائم الفرسانِ

ولمؤلفه فى معناه [من السريع] :

إن يقعد الجاهلُ فوْقى ولمْ   يرعَ ذمامَ العلم والأصلِ

فالشمسُ يعلو زُحَلُ فوقها   وهى على الغاية فى الفضلِ

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن المعتز [من المنسرح] :

قالوا اشتكت عينهُ فقلتُ لهمْ   من كثرة الفتك نالها وَصَبُ

حُمْرتها منْ دماء ما قتلتْ   والدمُ فى النصل شاهدٌ عَجَبُ

وقد أخذه ابن المعتز من قول الواثق بالله [الخفيف] :

لى حبيبٌ قد طالَ شوقى إليهِ   لا أُسميهِ من حِذَارى عليهِ

لم تكن عينهُ لتجحدَ قتلى   ودَمى شاهدٌ على وَجنتيهِ

ولأبى خلف العكبرى فى مثله ، وقيل : لأبى محمد الباقى الشافعى ، [من البسيط] :

لم تستعرْ عينهُ منْ وَرْدِ وَجنتهِ   إلا خضاباً وحاشاها مِنَ الوصَبِ

تبيّنَتْ من محبّ كان يألفها شواهدَ الغدرِ فاحمرّتْ من الغضبِ

ومثله قول بعض الأندلسيين أيضا [من الكامل] :

قالوا الحبيبُ شكا جُعِلتُ فداءهُ رمَداً أضرّ بعينه كالعَنْدَمِ

فأجبتهمْ ما زالَ يفتكُ لحظهُ في مهجتي حتى تلطّخَ بالدّمِ

وقول أبي الفرج الببغاء [من الطويل] :

بنفسيَ مايشكوهُ مَنْ راحَ طرفهُ ونرجسهُ ممّا زها حُسْنُهُ وَرْدُ

أراقت دمي ظلماً محاسنُ وجههِ فأضحى وفي عينيه آثارهُ تبدُو

غدتْ عينه كالخدّ حتى كأنّما سقَى عينه من ماء توريده الخدُّ

لئن أصبحتْ رمداء مقلةُ مالكي لقد طالما استشفت بها مقلٌ رُمْدُ

ومن بديع حسن التعليل قولُ ابن نباتة السعدى ، في فرس أدهم محجل القوائم ذي غُرّة [من الوافر] :

وأدهَمَ يستمدّ الليلُ منهُ وتطلعُ بينَ عينيهِ الثُّريّا

سرَى خلف الصباح يطيرُ زهواً ويطوى خلفهُ الأفلاكَ طيّا

فلما خافَ وشْكَ الفوْتِ منهُ تشبّثَ بالقوائمِ والمحيّا

وفى معناه ، وهو جيد إلى الغاية [من الكامل] :

وكأنّما لطمَ الصباحُ جبينهُ فاقتصّ منهُ فخاض فى أحشائه

وقد أخذه ابن الشهيد الأندلسى ، وقصر عنه بقوله [من الكامل] :

وأغرّ قد لبسَ الدُّجى بُرداً فراقك وهو فاحمْ

يَحكى بغُـرّته هـلاَ لَ الفطر لاَحَ لعين صائمْ

وكأنّما خاضَ الصبا حَ فجاء مبيضّ القوائمْ

وطيف قول ابن قلاقس فيه أيضا [من الوافر] :

وأدهمَ كالغرابِ سَوادَ لوْنٍ يطيرُ معَ الرِّياح ولاَ جَنَاحُ
كساهُ الليلُ شملتَهُ وَولَّى فقبَّلَ بين عينيهِ الصباحُ

وما أحسن قول ابن القصار البغدادى فيه [من مخلع البسيط] :

أدهمُ كالليل ذو حُجُولٍ قد غوّرَت صبحهُ بلَيْلِه
كأنما البرقُ خافَ منهُ فجاء مُستمسكاً بذَيْلِه

وما ألطف قول التهامى أيضاً [من البسيط] :

لو لم يكن رِيقها خمراً لما انتطقَتْ بلؤلؤ مِن حَبَابِ الثغر مبتسمِ

و بديع قول الأرجانى فى التعليل [من البسيط] :

أبدَى صَنيعك تقصيرَ الزمانِ ففى وقتِ الرَّبيع طلوعُ الوردِ من خجلِ

وقول أبى طالب المأمونى يصف دارا من أبيات [من الخفيف] :

وتراها من عنبرٍ شيب بالمسـك فإن هَبَّتِ الصَّبا فيهِ فاحَا
ما بكاء الرياض بالطلِّ إلاَّ خجلاً منْ رياضها وافتضاحَا

وقوله أيضاً بمدح [من الوافر] :

وما جاراكَ صوبُ المُزْنِ لما جرَى وجرَى نداك وماحكاكَا
ولـكنَّ الغمَام عـنَى سجوداً على وجهِ الثرَى لما رَآكَا

ومَا أحسن قول الصلاح الأربلى ، معللا عدم نزول المطر بأرضِ مصر غالباً [من البسيط] :

ماقصرَ الغيثُ عن مصرٍ وترْبتها طبعاً ولـكنْ تعدَّاكم مِنَ الخجَلِ
ولاجرَى النيلُ إلا وَهْوَ معترفٌ بسبقـكمْ فلذَا يجرى علَى مهَلِ

و يقرب منه قول ابن رشيق القيروانى [من الطويل]:

وأهوَى الذى أهوَى لهُ البدرُ سَاجداً ألستَ ترَى فى وَجههِ أثرَ التُّربِ

وَمن بديع حسن تعليل دنوّ السحاب من الأرض ، قول أبى العباس ابن حديدة اللخمى [من الكامل] :

يا رُبَّ مُثقلةٍ تنوء بثقلها تسقى البلادَ بوَابلٍ غيداقِ
مرّتْ فُوَيقَ الأرض تسحب ذَيلها وَالريحُ تحملها على الأعناقِ
ودَنت فكاد الترب ينهض نحوها كنهوض مشتاقٍ إلى مشتاقِ
فكأنما جاءتْ تقبلُ تربهَا أوْ حاوَلتْ منها لذيذَ عِناقِ

وما أحسن تعليل أبى العلاء المعرى فى قوله [من الطويل] :

وَما كَلَفُ البدرِ المنيرِ مذمةٌ ولكنهُ فى وجههِ أثرُ الدَّمِ

ومن حسن التعليل ، ما أنشده عبد الملك بن إدريس الحريرىّ بديهاً ، وكان بين يدى المنصور أبى عامر فى ليلة يبدو فيها القمر تارة ويختفى بالسحاب تارة ، وهو [من الوافر] :

أرَى بدرَ السماء يلوحُ حيناً وَيبدو ثمّ يلتحفُ السحابَا
وَذَاكَ لأنهُ لما تبدّى وأبصرَ وجهكَ استحيا وَغابَا

ومثله ما حكى أن أبا الحسن النوبختى ، كان مع جماعة من أهله ، على سطح ابن سهل النوبختى ، فى ليلة من الليالى يشربون ، ومعهم إبراهيم بن زرزر المغنى وكان أمرد حسن الوجه ، وكان فى السماء غيمٌ ينجاب مرة ، ويتصل أخرى ، فانجاب الغيم عن القمر فانبسط ، فقال أبو الحسن النوبختى ، وأقبلَ على إبراهيم [من البسيط] :

لم يطلعِ البدرُ إلا من تَشَوُّقهِ إليكَ حتى يوافى وجهكَ النضِرَا

ثم لما غاب القمر تحت الغيم ، قال :

ولا تَغَيَّبَ إلا عندَ خجلتهِ لمارَآكَ فوَلّى عنكَ واستترا

ومن رقيق حسن التعليل قول ابن عمار ، حين أُخرج من الأندلس ، [من الطويل] :

عليَّ وإلا ما بكاء الغمائمِ وفيَّ وإلا ما صياح الحمائمِ
وعنّى أثار الرعدُ صرخة طالبٍ لثارٍ وهز البرقُ صفحةَ صارمِ
وهل لبست زُهرُ النجوم حدادها لمثلىَ أو قامت له فى المآتمِ
وهل شققت هوجُ الرياح جيوبها لغيرىَ أو حنت حنين الروائمِ

وما أرشق قول بعضهم [من الكامل] :

لو لم أُعانق من أحبُّ بروضةٍ أحداقُ نرجسها إلينا تنظرُ
ماشقّ جيب شقيقها حسداً ولا باتَ النسيمُ بذيله يتعثّرُ

ولبعضهم فيه أيضاً [من الطويل] :

ولما نضا وجهُ الرّبيع نقابهُ وفاحت بأطراف الرّياض النسائمُ
فطارتْ عقولُ الطير لما رأينهُ وقدْ بُهتتْ مِنْ بينهنَّ الحمائمُ
وخفنَ جنوناً بالرّياض وحسنها صدَحْنَ وفى أعناقهنَّ التمائمُ

ومنه قول وجيه الدين الأنصارى [من الطويل] :

بروحىَ معشوقُ الجمال فمالهُ شبيهٌ ولا فى حبهِ لىَ لائمُ
تثنّى فمات الغصنُ من حسدٍ لهُ ألم ترَهُ ناحتْ عليهِ الحمائمُ

ومنه قول بعضهم فى الآذريون ، ويسمى المنثور الرُّومى ، وهو ينضم ليلا ويتفتح نهارا [من المنسرح] .

عيونُ تبرٍ كأنها سرقتْ سوادَ أحداقها من الغسَقِ
فإن دجا ليلها بظلمتهِ ضممن من خوفها على السَّرَقِ

وما أحسن قول بعضهم أيضاً [من الخفيف]

وَرياضٍ من الشقائق أضحت ... يتهادى بها نسيمُ الرِّياحِ
زُرْتها والغمامُ يجلدُ منها ... زهراتٍ تفوقُ لَوْنَ الرَّاحِ
قلتُ: ما ذَنبها؟ فقالَ مجيباً: ... سرقَتْ حُمرةَ الخدودِ الملاحِ

وما أظرف قول بعضهم أيضاً [من الكامل]:

ومعذَّرٍ رَقَّتْ حواشي وجهه ... فقلوبنا وَجْداً عليه رقاقُ
لم يكسُ عارضهُ السوادَ وإنما ... نفضت عليه سوادها الأحداقُ

وقول غوث الدين بن العجمي في العذار، وفي الخال [من الوافر]:

لهيبُ الخدِّ حين بدَا لعيني ... هوَى قلبي عليه كالفَرَاشِ
فأحرَقهُ فصارَ عليهِ خالاً ... وهَا أثرُ الدخان على الحوَاشي

وقول مظفرٍ الأعمى فيه [من البسيط]:

لا تحسبوا شامةً في خدِّه طبعت ... على صحيفة خدّ رَاقَ منظرُهُ
وإنما خدُّهُ الصافي تخالُ بهِ ... سَوادَ عينكَ خالاً حين تنظرُهُ

وما ألطف قول ابن رشيق في تعليل حمرة الخد [من السريع]:

همتْ عذاراهُ بتقبيلهِ ... فاستَلَّ من عينيه سيفينِ
فذلكَ المحمرُّ من خدّهِ ... دِماءُ ما بينَ الفريقينِ

ومنه قول ابن حمديس الصقلي في الخال [من الكامل]:

يا سالباً قمرَ السماء جَمَالهُ ... ألبستني في الحب ثوب سمائهِ
أشعلت قلبي فارتمى بشرارة ... علقتْ بخدِّكَ فانطفت في مائهِ

ومن لطيف حسن التعليل، في خال تحت الحنك، ما حكاه ابن رشيق، قال: كنت أجالس محمد بن حبيب، وكان كثيراً ما يجالسنا غلامٌ مليح، ذو خال تحت لحييه، فنظرَ إليَّ ابن حبيب يوماً، وأشار إلى الخال ثم أطرَقَ ساعة

قال : ففهمت منه أنه يصنع شيئاً فيه ، فصنعت بيتين ، وأمسكت عنهما خوف الوقوع دونه ، فلما رفع رأسه قال : اسمع وأنشد [من الطويل] :

يقولون لِمْ من تحت صفحة خَدِّهِ   تنزَّلَ خَالٌ كان منزِلَهُ الخدُّ
فقلت رأى بهرَ الجمال فهابَهُ   فحطّ خضوعاً مثلَ ما خضع العبدُ

فقلت : أحسنت أحسن الله إليك . ولكن اسمع . قال: أو صنعت شيئاً ؟ قلتُ : نعم، وأنشدته [من الخفيف] :

حبذا الخالُ كائناً منه بين الخـــدّ والجيد رِقْبةً وَحذَارا
رَامَ تقبيلهُ اختلاساً ولكنْ   خَافَ من لحظ طَرْفهِ فتوَارَى

فقالَ : فضحتني قطع الله لسانك .

ولأبي سعيد المغربي وأجاد [من الرمل] :

إنّ للجبهة في قلبي هوًى   لم يكن عندي للوجهِ الجميلْ
يرقصُ الماء بها من طَرَبٍ   ويميلُ الغصن للظلّ الظليلْ
وتودُّ الشمسُ لو باتتْ بها   فلذا تصفرُّ أوقاتَ الرحيلِ

ومثله قول بعضهم أيضاً [من الكامل] :

نهدٌ يهيمُ بحسنه مَن لم يَهِمْ   ويُجيد فيهِ الشعر مَنْ لم يشعرِ
مااصفروجه الشمس عندغروبها   إلا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولعله سرقهُ من قول ابن الرّومي [من البسيط] :

أمّا ذُكاء فلم تصفرّ إذ جنحتْ   إلا لفرقةِ ذاكَ المنظرِ الحسنِ

ومنه ألطف قول عبد الله بن القابلة البمق [من الطويل] :

ووَجهُ غزالٍ رقّ حسناً جَمالهُ   يرى الصبُّ فيه وَجههُ حين ينظرُ
تعرّضَ لي عندَ اللقاء به رَشاً   تكادُ الحيّامن مُحيّاهُ تقطرُ

ولم يتعرّض كى أراه ، وإنما أراد يرينى أن وجهى أصفر

وما أحسن قول بعضهم فى مليح يطيل حمل الكأس ، وقد تشاغل بشم الآس [من الطويل] :

حبيبى وعدت الكأس منك بقبلة وأعقب ذاك الوعد منك نفار

فأوقفتها تحت الرجاء وقلبها به خوف خلف الوعد منك شرار

وما كان هذا لونها غير أنها علاها لطول الانتظار صفار

وما أحلى قول ابن نباتة هنا [من الخفيف] :

لم يزل جوده يجور على الما ل إلى أن كسا النضار اصفرارا

ولابن الدهان الموصلى [من الكامل] :

تزدى الكتائب كتبه فإذا سرت لم تدر أنفذ أسطرا أم عسكرا

لم يحسن الأتراب فوق سطورها إلا لأن الجيش يعقد عثيرا

ومن لطيف حسن التعليل ، ما أنشده الملك الأشرف ، شاه أرمن موسى ، فى مملوك له جميل ، وقعت عليه شمعة فأصابت شاربه [من المتقارب] :

وذى هيف زارنى ليلة فأمسى به الهم فى معزل

فمالت لتقبيله شمعة ولم تخش من ذلك المحفل

فقلت لصحبي وقد حكمت صوارم لحظيه فى مقتلى

أتدرون شمعتنا لم هوت لتقبيل هذا الرشا الأكحل

درت أن ريقته شهدة فمالت إلى إلفها الأول

ومن المضحك فيه قول ابن قلاقس ، فى أصفر الوجه ، ذى لحية حمراء ، [من المتقارب] :

لئن زاد فى ذقنه حمرة بما زاد فى الوجه من صفرته

فمن كثرة الصفع فى رأسه　　تَصَفّى لهُ الدّمُ فى لحيتِه

ومن ظريف حسن التعليلُ قولُ ابن النبيه ، وقد دخل على الصاحب صفى الدين بن شكر فى مرضه فوجده قد حُمّ بقشعريرة [من الرجز المشطور] :

تباً لحالكَ التى　　أصلتْ فؤادى وَلَهَا

هلْ سألتكَ حاجةً　　فأنتَ تهتزُّ لها

فكانت جائزة هذين البيتين استخدامه على ديوان أوقاف الجامع المعمور بدمشق المحروسة بجراية وافرة وجارٍ موفور .

ومنه قول المتنبى ، مخاطباً لسيف الدولة ، وقد وقعت عليه الخيمة ، [من المتقارب] :

رأتْ لوْنَ نورِكَ فى لونِهَا　　كلونِ الغزالةِ لا يغسلُ

* وأنّ لها شرفاً باذخاً　　وأنّ الخيامَ بها تخجلُ

فلا تنكرَنّ لها صرعةً　　فمن فرحِ النفسِ مايقتلُ

ولصاحب الدوح شاعر الحاكم ، وقد زلزلت مصر فى أيامه [من البسيط] :

بالحاكمِ العدلِ أضحى الدينُ معتلياً　　نجلِ العلاَ وسليلِ السادةِ النجبَا

ما زلزلتْ مصرُ مِنْ كيدٍ يرادُ بهَا　　وإنمـا رقصتْ مِنْ عدلهِ طربَا

ولشرف الدين التيفاشى فى مثله [من البسيط] :

أمَا ترَى الأرضَ من زلزالهَا عجباً　　تدْعو إلى طاعةِ الرحمنِ كلَّ تقِى

أضحتْ كوالدةٍ خرْقاءَ مُرضِعةٍ　　أولادَها دَرُّ ثدْىٍ حافِلٍ غدِقِ

قدْ مهّدتهمْ مِهاداً غيرَ مضطربٍ　　وأفرَشتهمْ فرَاشاً غيرَ ما قلِقِ

حتى إذا أبصرت بعض الذى كرِهتْ　　مما يَشُقُّ مِنَ الأولادِ مِنْ خُلُقِ

هزّتْ بهمْ مهدَهمْ شيئاً تنبّهُهمْ　　ثم استشاطتْ وآلَ الطبعُ للخُرُقَ

فضكت المهدَ غضبيَ وهيَ لافظةٌ بعضا على بعضهم مِنْ شدة النَزَقِ

ومثله أيضا قول الحظيرى [من المجتث] :

يقولُ لى حِينَ وَافىَ قَدْ نلْتَ ما ترتجيهِ
فما لقلبكَ قد جا بخفقةٍ تعتريهِ
فقلتُ وصلكَ عُرْسٌ والقلبُ يرقُصُ فيهِ

وفى معناه قول بهاء الدين[1] زهير [من مجزوء الكامل] :

لا تنكرُوا خفقانَ قلـــبى والحبيبُ لدىّ حاضِرْ
ما القلبُ إلا دارُهُ دُقّتْ لهُ فيها البشائرْ

وما ألطف تعليل خفقان القلب فى قول ابن رشيق [من الكامل] :

ومُهَفْهفٍ يحميه عن نظرِ الوَرَى غيرَ ان سكنى الملك تحتَ قبابهِ
أوْمىَ إلىّ أنِ ائتنى فأتيتهُ والفجرُ يرمقُ من خلال نقابهِ
وضممتهُ للصدْر حتى استوهبتْ منى ثيابى بعضَ طيبِ ثيابهِ
فكأن قلبى منْ وَراء ضلوعهِ طرَباً يخبرُ قلبهُ عما بهِ

ومن لطيف حسن التعليل، وهو قريب من هذا المعنى، قول ابن بقى الأندلسى [من الكامل] :

بأبى غزَالاً غازلتهُ مُقلتى بينَ العُذَيْبِ وَ بينَ شطى بارِقٍ
وسألتُ منهُ زيارة تشفى الجوَى فأجابنى منها بوعدٍ صادقٍ
بتنا ونحنُ من الرَّجا فى خَيْمَةٍ ومن النجوم الزهر تحتَ سرادقِ

---

(١) وينسبان إلى سلطان العاشقين أبى حفص عمر بن الفارض، ولكنهما بشعر البهاء زهير أشبه.

عاطيتُه والليلُ يسحب ذيلَهُ   صهباءَ كالمسكِ الفتيقِ الناشقِ
وضممتُه ضمَّ الكمىِّ لسيفِهِ   وذؤابتاهُ حمائلٌ فى عاتقِى
حتى إذا مالتْ به سنةُ الكرَى   زحزحتُه شيئاً وكان مُعانقى
أبعدتُه عن أضلعٍ تشتاقُه   كى لا ينامَ على وسادٍ خافقِ

وقد ناقض ابن عيال اللبيب البيتَ الأخير والذى قبله بقوله [من مخلع البسيط] :

إن كانَ لا بدَّ من رُقادِ   فأضلعى هاكَ كالوسادِ
فنمْ على خفقِها هدوًّا   كالطفلِ فى هزةِ المهادِ

وقد تعصب لابن بقى قوم ، ولابن عيال آخرون ، وقالوا : إن بيتى ابن بقى عليهما اعتراضان : الأول : إفحاشه العبارة بقوله « أبعدته » وكان ينبغى أن يقول « أبعدت عنه أضالعاً » والثانى : ما ذكره ابن عيال ، فقال المتعصبون لابن بقى : أما الاعتراض الأول فمسلّم ، وأما الثانى فممنوع ، فان شعر ابن بقى يدل على أن خفقانه لكثرة قوته مما يمنع النوم ، بخلاف ما ذكره ابن عيال ، فان تشبيهه بتحريك المهد يقتضى أنه يسير ضعيف ، ويدل عليه قوله « هدوًّا » فقول ابن بقى أدل على قوة المحبة والشفقة على المحبوب والرفق به ، وقد سئل ابن فضل الله عن فصل الحكومة بينهما فأجاب بقوله [من الكامل] :

قولُ ابن بقى عليهِ مأخذٌ   لكنهُ قول المحبِّ الوامقِ
يكفيهِ فى صدق المحبةِ قولهُ   «زحزحتهُ شيئاً وكان معانقى»
وأرادَ شيئاً ما ليهدأَ فى الكرَى   « كى لاينامَ على وسادٍ خافقِ »
ماحبُّهُ كذبٌ كدعوَى غيرهِ   ماالكاذبالدعوىنظيرُالصادقِ
تا الله ماهذا فؤادُ متيَّمٍ   كلا ولا هذا المَقالُ بلائقِ

ولَقَوْلُ من قد قال إن ضُلُوعَه خفقانُها كالمهدِ غيرُ موافقِ
ما الحب إلا تذل مالَ له الحشَا وبره يهدَا فؤاد العاشقِ

وقد رد الصلاح الصفدى على ابن بقى بقوله [من الكامل] :

أبعدتَهُ من بعد ما زَحزَحتَهُ ما أنتَ عندذوى الغرام بعاشقِ
هذا يدلُّ الناسَ منك على الجفا إذ لَيْسَ هذا فعْلَ صَبّ وامقِ
إن شئتَ قلْ أبعدْتَ عنهُ أضالعى ليكونَ فعلَ المُستهام الصادقِ
أوقلْ فبات على اضطِراب جوانحى كالطفل مضطجعاً بمهْدٍ خافقِ

ومن بديع حسن التعليل فى العذار قول ابن عبد ربه [من الكامل] :

ياذا الذى خطَّ العذارُ بخدِّه خطين هاجا لوْعَةً وبلابلا
ما كنتُ أقطَعُ أن لحظك صارم حتى رأيتُ بعارضَيكَ حمائلا

ومثله فى الحسن قوله أيضاً فى العذار [من الكامل] :

ومُعَذَّرٍ نَقَشَ الجمالُ بخطه خدًّا له بدم القلوب مُضَرَّجا
لما تيقَّنَ أن عضْبَ جفونه من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وينظر إلى البيتين الأولين قول على بن حسن الاشبيلى [من المتقارب]

غزالٌ كحيلٌ له ريقةٌ يشابُ بها المسكُ والقرقفُ
كأن العذار على خده نجادٌ ومقلته مرهفُ

ومثله قول ابن رشيق أيضا [من مخلع البسيط] :

وأسمرِ اللون عسْجَدِىٍّ يكاد يَستَمطر الجهاما
ضاق بحمل العِذارِ ذَرْعاً كالمهر لايعرف اللجاما
ونكس الرأس إذ رآنى كآبةً واكتسى احتشاما
وظن أن العذارَ مما يزيح عن قلبىَ الغراما

وما دَرَى أنهُ نباتٌ أنبتَ في جِسْمِيَ السقاما
وهلْ ترى عارضيه إلاّ حمائلاً حملتْ حُساما

ومثله قول ابن جكينا البغدادى [من الوافر] :

تبرَّمَ بالعذارِ وظَنَّ أنى أقاطِعُهُ وأُخْرُجُ من يديهِ
وخافتْ عارضاهُ خلاص قلبى من التبريح فانغلقت عليه

وما أحسن قول ابن الشقاق أيضاً [من البسيط] :

بخدٌ أحمد للأبصارِ مُنْبَرٌ عِذَارمسكٍ جرى فى صفحتى برَد
كأن وجنته من حُسنه خجلتْ واسْوَدَّ عارضُهُ من شدَّة الحسد

ولطيف قول ابن الخباز فى العذار والخال [من الطويل] :

ولى كاتبٌ أضمَرْتُ فى القلب حبّه مخافة حسّادِى عليه وعُذّالى
له صنعةٌ فى خطٌ لام عذاره ولكن سهَا إذ نَقَّطَ اللام بالخال

وما أبدع تعليل ابن اللبانة للعذار بقوله [من مخلع البسيط] :

بدا على خده عذارٌ بمثله يُعْذر اللبيبُ
وليس ذاك العذارُ شَعْراً لكنما سرُّهُ غريبُ
لما أراق الدماء ظلماً بدتْ على خدِّهِ الذنوبُ

وهذا كقول عبد الجليل المرسى أيضا [من الوافر] :

فطوَّقهُ الزمانُ بما جناهُ وعلَّق فى عذاريه الذُّنوبا

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن رشيق فى العذار [من البسيط] :

خطَّ العذارُ لهُ لاماً بصفحتهِ من أجلها يستغيثُ الناسُ باللاّمِ (١)

---

(١) يريد أن عبارة الاستغاثة فى كلام العرب تستعمل فيها لام فيقول المستغيث : ياالله للمسلمين ، مثلا ، ولكن اللام فى صدر البيت يراد بها العذار الذى يشبه اللام

وقد تفنن الشعراء فى تشبيه العذار باللام ، وقد عكس ابن غالب وأبدع وأبعد حيث قال [من الطويل] :

سأصنعُ فى ذم العذار بدائعاً   فمن شاء يقضى بالدليل كما أقضى
ألا إنهُ كاللام واللامُ شأنُها   إذا التصقت بالاسم آل إلى الخفض

فاجعله محتملا لما شئت من الذم : إن شئت وجهت الخفض لانخفاضه للعمل المطلوب منه ، و إن شئت جعلته انخفاض حاله .

رجع إلى حسن التعليل .

ومن لطيف حسن التعليل ما جاء فيه قول السراج الورّاق فى العذار [من الرجز] :

وفاتك يجرحُ سيفُ لحظِهِ   مجرّداً من جفنهِ ومغمدا
خافَ على خدّيه من لحاظِهِ   فبـات فى عِذارِه مزرّدا

ومنه قول ابن جكينا البغدادى [من المنسرح] :

عينـاكَ ترمى قلبي بأسهُمِهَا   فما لخدّيك تلبَسُ الزَّرَدَا
ريقَتُهُ الشّهْدُ والدليـل على   ذلك نملٌ بخدّه صعَدَا

وما أحسن قول ابن معد القيروانى فيه [من الخفيف] :

أطلَعَ الحسنُ من جبينك شمساً   فوقَ وردٍ من وجنَتيك أطلاَّ
فكأنَّ العِذارَ خاف على الورْ   دِ ذبولاً فمـدَّ بالشَّعْرِ ظِلاًّ

وللأمير سيف الدين المشد أيضاً [من السريع] :

يا من عذارُهُ وأصـداغُهُ   حـدائقٌ همتُ بأزهارها
لولم يكن خـدكَ لى كَعبةً   لمـا تعَلّقتُ بأستارها

ولأبى هلال العسكرى فى حسن التعليل أيضاً [من الـكامل] :

ومُهفهفٍ قال الإلهُ لِحُسنِهِ   كُنْ فتنةً لِلعالمينَ فكانَهُ

زعمَ البَنفسَجُ أنهُ كعِذَاره حَسداً فسلُّوا مِن قفَاه لِسانَهُ

ولبعضهم [من المتقارب] :

أتتنى تؤَنبنى بالبـكا فأهلاً بهـا و بتأنيبها
تقولُ وفى قوْلها حشمةٌ أتبكى بعيْنٍ تَرَانى بها
فقلتُ إذا استحْسَنت غيْرَكمْ أمرْتُ الدُّمُوع بتأديبها

ولابن الخازن أيضاً [من الكامل] :

لوْ فاخَرتْ ذاتُ العمادِ بيُوتَها عَادتْ مُقَوَّضةً بغيرِ عمادِ
لاتكْذِبنَّ فما لهـا دار إذا أنصفتنى إلا صميمُ فؤادى
فلِذَاك لا تَسْقى السَّحائِبُ أرضها إلا يَرِدْنَ حَرَارة الأكبادِ

ولابن قلاقس فى بركة عليها قبة مذهبة [من الكامل] :

فَسقيةٌ نُصبتْ عَليها قُبَّةٌ تَزهُو بابريز لهـا مُتَوقدِ
لوْ لم يكُنْ مَلِك على أرْجائِها ما شرُفتْ بمظلّةٍ من عَسْجَدِ

ولابن الساعاتى أيضاً [من الكامل] :

لا تَعْجبَنَّ لِطَالبٍ بَلغَ المُنَى كهلاً وأخفقَ فى الشَّبَابِ المُقبلِ
فالخمرُ تحكم فى العقُول مُسِنَّةً وتُدَاسُ أوّل عَصْرِها بالأرجلِ

ولبعضهم يرثى ابن البواب الكاتب [من الكامل] :

استَشْعَرَ الكُتَّابُ فَقْدَكَ سالِفاً وقضَتْ بصحةِ ذلكَ الأيامُ
فلِذَاك سُوِّدتِ الدُّوِىُّ كآبةً أسفاً عَلَيْكَ وشُقَّتِ الأقلامُ

ولصرَّدُر فى جارية سوداء [من السريع] :

عُلِّقتها سَوْدَاء مَصقُولة سَوَادُ قلبى صفَةٌ فيها
ما انكَسفَ البدرُ على تمِّهِ ونورِهِ إلا لِيَحكيها

لأجلها الأزْمانُ أوقاتُها مؤرَّخات بلياليهــــا

و بديع فى معناه قول ابن رشيق أيضا [من مخلع البسيط] :

دَعابكِ الحُسْنُ فاستجيبى يامِسكُ فى صِبْغَةٍ وطيبِ
تيهى على البيض واستَطيلى تيهَ شبابٍ على مَشيبِ
ولا يَرُعْكِ اسْوِدَادُ لونٍ كمُقْلةِ الشادِنِ الرّبيب
فإنّمَا النّورُ عن سَوادٍ فى أعيُنِ الناس وَالقلُوبِ

وقد أخذه ابن قلاقس فقال [من الخفيف] :

رُبّ سَوْداء وهْىَ بيضاء معنى نافَسَ المِسكَ فى اسمِها الكافُورُ
مثْلُ حبِّ العُيُون يَحْسبهُ النّا سُ سواداً وإنما هُوَ نُورُ

والأصل فى هذا المعنى قول الوزير المهلبي [من الوافر] :

وسمّوْهُ مع القرْبَى غَرِيباً كنُورِ العين سَمّوْهُ سوَادا

وما أحسن تعليل اليغمورى بقوله [من الرمل] :

أنا مِرآةٌ فإنْ أبصرتُمْ حَسَناً أنتمْ بها ذاكَ الحَسَنْ
أوْ ترَوْاما ليس يُرْضيكم فقد صدئَتْ إذ لم ترَوْها منْ زمنْ

وفى معناه قول ابن اللبانة [من الكامل] :

زَادُوا جفاءً فانتَقَصتْ مَوَدّةً ومِنَ الزِّيادة مُوجِبُ النُّقْصانِ
أنا مثْلُ مرآةٍ صقيلٍ صفْحُها ألقى الوجُوه بمثــل ما تلقانى

ومن لطيف حسن التعليل قول الصفى الحلى [من المتقارب] :

وعدْتَ جميلاً فأخلفتَهُ وذَلكَ بالحُرِّ لا يجْمُلُ
وقُلت بأنكَ لى ناصِرٌ إذا قابل الجحفلَ الجحفَلُ
وكم قدْ نصرْتك فى كرّةٍ تكسَّرَ فيها القنا الذُّبّلُ

ولستُ أُمُنّ بفضلى عليكَ فأعجبُ بالقَوْل إذ أعجلُ
كما قالهُ البـازُ فى عِزَّةٍ بهِ حينَ فاخرَهُ البُلبُل
وقالَ أراكَ جليسَ الملوكِ ومِنْ فَوْق أيديهم تُحمَل
وأنت كما علموا صامتٌ وعن بَعْض ما قلتَهُ تنكل
وأحبَسُ مع أننى ناطقٌ وحالىَ عِنْدَهمُ مُهْملُ
فقالَ صدقت ولكنَّهم بذا عرَفُوا أينا الأكلُ
لأنى فَعلتُ وما قلتُ قط وَأنتَ تقُولُ ولا تَفْعلُ

ولابن القيسرانى أيضاً [من البسيط]:

هذَا الَّذِى سلبَ العشَّاق نَوْمَهُمُ أما تَرى عَيْنَهُ مَلأى من الوَسن

وللخباز البلدى أيضاً [من البسيط]:

لَيلُ المحبين مطوىٌّ جوانبُهُ مشمرٌ الذّيل منسوبٌ إلى القصر
إذا الحبيبان باتا تحت جانبه غابَتْ أوائله فى آخر السَّحر
ما ذاكَ إلا لأن الصُّبْح نمَّ بنا فأطلع الشَّمْس من غيظٍ على القمر

ولصدر الدين بن الوكيل [من الكامل]:

لم يُصلَب الراووقُ إلا عِنْدما قطع الطريق على الهُموم وساقها

وهو من قول سيف الدين المشد فى مليح نصرانى [من البسيط]:

يصبُو الحَبَابُ إلى تقبيل مَبْسِمِهِ وتكتسى الرّاحُ من خدّيهِ أنوارا
من أجلهِ أصْبَحَ الرّاوُوق منعكفاً على الصَّليب وشدّ الكاس زنارا

وما أحسن قول صدرالدين بن الوكيل أيضاً [من الطويل]:

أرَقْتُ دم الرّاووق حلاً لأننى رأيت صليباً فوقه وهوَ مشرك
وزَوَّجتُ بنتَ الكرْم لابن غمامةٍ فصحّ على التَّعْليق والشرطُ أملَكُ

وما أحسن قول ابن دانيال فيما ينقش على مشراط حجام ، وضمنه المثل الذى أتى به صدر الدين بن الوكيل حيث قال [من مجزوء الكامل]:

أنا لا أُكلِّمُ واصباً إلا بإذن منه يُملَكُ
شَرْطى شفاءُ الهالِكينَ من الأذى والشَّرْطُ أملكْ

وقد ذكرت بهذين البيتين بيتين قلتهما قديما وهما [من مجزوء الخفيف]:

بى من الحَبْش غادةٌ وصفُها لَيْسَ يُدْرَكُ
مَلكَتْ القلبَ شرطُها وكذا الشَّرْطُ أملكُ

رجعنا إلى حسن التعليل .

ولابن سناء الملك فيه [من السريع] :

يا بأبى مَنْ ذِكْرُه فى الحشا ضيفى وذِكْرِى فى الحَشا ضَيفُهُ
لا تحسبونى نَاعساً إنَّمـا سَجَدْتُ لمـا مرَّ بى طَيفُهُ

* * *

شاهد التفريع

١٤٨ — أحلامُكمْ لِسَقَامِ الجهلِ شافيةٌ
كَمَا دِماؤُكُمُ تَشفِى مِنَ الكَلَبِ

البيت للكميت الشاعر ، من قصيدة من البسيط ، أولها :

هَلْ للشبابِ الذى قدْ فاتَ منْ طلبِ أمْ ليسَ غابرُهُ الماضى بمنقلبِ
دَعِ البكاءَ علىَ ما فاتَ مَطلبهُ فالدَّهرُ يأتى بألوانٍ منَ العجبِ

والأحلام : جمع حلم — بالكسر — وهو الأناة والعقل ، والكَلَبُ : جنون الكلاب المعترى من أكل لحم إنسان ، وشبه جنونها المعترى للانسان من عضها ، أو هو داء لا يصبر الانسان معه عن الأكل ساعة واحدة ، ولا دواء له أنجع من شرب دم ملك . قال ابن الأعرابى : كانت العرب تقول : من

أصابه الكَلَبُ والجنون لا يبرأ منه ، إلا أن يسقى من دم ملك ، فهو يقول :
إن ممدوحيه أربابَ العقول الراجحة ملوكٌ وأشراف .

ومثله قول الحماسى ، وهو القاسم بن حنبل المزنى حيث قال [من الوافر] :

بُناةُ مكارمٍ وأُساةُ كَلْمٍ   دماؤكم منَ الكَلَبِ الشفاءُ(١)

وقول عبد الله بن الزَّبِير الأسدى فى عبيد الله بن زياد [من البسيط] :

مِنْ خيرِ بيتٍ علمناهُ وأَكرَمِهِ   كانتْ دماؤُهمُ تشفى منَ الكَلَبِ

وقريب من معناه قول العباس بن مرداس [من الطويل] :

وإنى منَ القوم الذينَ دماؤهمْ   شفاءٌ لطلابِ التِّرَاتِ منَ الوَغْمِ(٢)

وقول البحترى مهنئاً من افتصد [من البسيط] :

لِيَهْنِكَ البرْءُ ممـا كنتَ تألمـهُ   وليهنكَ الأجرُ عقبى صائبِ الوصبِ

لئنْ فُصِدْتَ ابتغاء البرْءِ من سَقَمٍ   فقد أرَقْتَ دماً يشفى من الكَلَبِ

والشاهد فى البيت : التفريع ، وهو : إثبات حكم لمتعلق أمر بعد إثباته لمتعلق له آخر ، على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب ، فها هنـا فَرَّعَ على وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل ، وَصفَهم بشفاء دمائهم من الكلب .

ومن التفريع قول الشريف الرضى [من الطويل] :

إذا فاتَ شىءٌ سمعَهُ دلَّ أنفهُ   وإن فاتَ عينيهِ رَأى بالمسامعِ

وقول ابن المعتز أيضا [من السريع] :

كلامُهُ أخدعُ منْ لحظهِ   ووَعدُهُ أكذبُ منْ طيفهِ

فبينا هو يصف خـدع كلامه فرع خـدع لحظه ، وبينا هو يصف كذب وعده فرع كذب طيفه .

وقوله أيضا يصف ساقى كأس ، حيث قال : [من الكامل] :

(١) الأساة : جمع آس ، وهو المداوى ، والكلم : كالجرح ، وزنا ومعنى
(٢) الوغم ـ بفتح فسكون ـ الترة ، والحقد الثابت

فكأنّ حمرة لونها من خدّه وكأنّ طيبَ نسيمها من نَشْرِهِ (١)
حتى إذا صب المزاجُ تبسمتْ عنْ ثغرها فحسبتهُ من ثغره

ومن التفريع الجيد قول الصَّنوبرى [من الكامل] :

ماأخطأت نوناتهُ من صدغه شيئاً ولا ألفاتهُ منْ قدّه
وكأنما أقلامهُ من شَعْرِه وكأنما قرطاسهُ من جلده

وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتبا ، أنشده الصولى فى أبيات [من الوافر]

كأنّ دواتَهُ من ريق فِيهِ تُلاَقُ فنَشْرُها أبداً كريه

ومنه قول ابن النطاح يصف البحر [من المنسرح] :

يامادح البحر وَهْوَ يجهلهُ مهلاً فانى قتلتهُ عِلْمَا
مكسبه مثل قعره بعداً ورزقهُ مثل مائه طَعْمَا

وذكرت بهذين البيتين ، قول ابن رشيق فى ذم البحر وركوبه [من مخلع البسيط]

البحرُ صعبُ المرَام مُرٌّ لا جُعِلَتْ حاجتى إليه
أليس ماء ونحنُ طينٌ فَما عسى صبْرُنا عليه

قال ابن حمديس : اجتمعت مع أبى الفضل الكاتب جعفر بن المقترح بسبتة ، فذكر لى بيتى ابن رشيق ، ثم قال لى : أتقدر على اختصار هذا المعنى؟ قلت : نعم أقدر على ذلك، وأنشدته [من المجتث] :

لاأركبُ البحر خوفاً علىَّ منهُ المعاطب
طينٌ أنا وَهْوَ ماءٌ والطينُ فى الماء ذائبْ

---

(١) النشر ــ بفتح فسكون ــ الرائحة الطيبة ، أو مطلقا

فاستحسن ذلك إذ كان على الحال ، وأقام عني أياماً ثم اجتمعت به فأنشد لنفسه في المعنى [من المجتث] :

إنّ ابن آدم طينٌ والبحرُ ماءٌ يذيبُهْ
لولا الذي فيه يُتلَى مَاجازعندي رُكوبُهْ

فأنشدته لي فيه [من الطويل]:

وأخضر لو لا آيةٌ ما رَكبته ولله تصريفُ القضاء بما شاء
أقولُ حذاراً من ركوبِ عبابه أيارب إنّ الطين قدركب الماء

ومن التفريع قولُ كشاجم [من المنسرح] :

شيخٌ لنا من مشايخ الكوفه نسبته للمريض مَوْصوفهْ
لوْ حوّل الله قملهُ غنَماً ماطمع الكلب منهُ في صُوفَهْ

ومن المستحسن فيه قول الخوارزمي [من الكامل] :

سَمْحُ البديهة ليس يمسك لفظهُ فكأنما ألفاظهُ من مالهِ
وكأنما عزماته وسيوفهُ منْ حَدِّهنّ خُلِقْنَ من إقباله
متبسمٌ في الخطب تحسبُ أنهُ تحت العجاج ملثمٌ بفعاله

ومثله قول ابن جابر [من الطويل] :

كريمٌ شكتْ أموالهُ منْ سَمَاحه كما قدْ شكتْ أعداؤهُ من سِنَانِهِ
فلوْ لمْ يُبِدْ جمع العداة برمحه لأغرقهمْ بحر الندى منْ بنانه

وقوله أيضا [من الطويل] :

يزيّن منها الخصرَ لطفٌ ورقة كرِقّةِ معناها ولطف جوابها
وَتسمعنا حلو الجواب كأنما قَدِ امتزجتْ ألفاظها برُضَابِهَا

وقوله أيضا [من الكامل] :

خضبتْ أناملَهَا فخلنا أنها مخضوبةٌ منْ حمرةٍ فى خدّها
ويكون قائم نَهْدِهَا رُمانةً حَقَّقْتُ أنَّ الغصنَ مُشبهُ قدّها

ولأبى جعفر الأندلسى أيضا [من الطويل] :

وكيف يكون الصبرُ عنها لعاشقٍ وقدْ حُكِّمَتْ ألحاظها فى فؤاده
إذا أرسلتْ سودَ الغدائر خلتَهاَ صبغن بما فى طَرْفِهاَ منْ سواده

ومن التفريع أيضا قول المسجدى [من السريع]:

رأيتهُ ممتطياً أشهبا يحملُ بازاً حمل قفازه
وطَرْفُهُ أسبق منْ طَرْفِهِ ولحظهُ أصيدُ منْ بازه

ومنه قول المتنبي على غير هذا النظام [من الطويل] :

أسيرُ إلى أقطاعه فى ثيابه على طِرْفِه منْ داره بحسامه
وما مطرتنيه من البيض والقنا وروم العِبدَّى هاطلات غمامه

وهذا التفريع تناوله من قول أبى تمام [من الطويل]:

وقالوا فما أولاك صِفْ بعضَ فعله فقلت لهم من عنده كلُّ ماعندى

وأصله قول أبى نواس يصف كلب صيد [من الرجز] :

أنعَتُ كلباً أهلهُ فى كدِّهِ قدْ سَعِدَتْ جُدُودُهُمْ بجدِّه
وكلُّ خيرٍ عندهمْ من عندهِ وكلُّ رِفْدٍ عندَهمْ من رِفْدِهِ

وأخبث ما سمع فى باب التفريع ، قول ابن الرومى ، يهجو رجلا ، [من مجزوء المتقارب] :

لهُ سائسٌ ماهرٌ يجولُ على متنهِ
ويطعنُ فى دُبرهِ أفانينَ منْ طعْنِهِ
بأطولَ من قرْنهِ وأغلظَ من ذهنهِ

ترجمة الكميت

والكميت (١) : هو ابن زيد الأسدى ، شاعر مقدم ، عالم بلغات العرب ، خبير بأيامها ، فصيح ، من شعراء مضر وألسنتها ، والمتعصبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيام ، المفاخرين بها . وكان فى أيام بنى أمية ، ولم يدرك الدوله العباسية ، ومات قبلها ، وكان معروفاً بالتشيع لبنى هاشم ، مشهوراً بذلك ، وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره .

قال ابن قتيبة : وكان بين الكميت والطرماح خلطة ومودة وصفاء لم يكن بين اثنين ، حتى إن راوية الكميت . قال : أنشدت الكميت قول الطرماح [من الطويل] :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطرماحِ أخلَقَتْ
عُرَى المجدِ وَاسترخى عِنانُ القصائدِ

فقال الكميت : إى والله وعنان الخطابة وَالرواية .

قال : وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة ، وكان الكميت شيعياً عصبيا عدنانيا من شعراء مضر متعصبا لأهل الكوفة ، والطرماح خارجيا صفريا قحطانيا عصبيا لقحطان من شعراء اليمن متعصبا لأهل الشام ، فقيل لهما : ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع سائر اختلاف الأهواء ؟ قال : اتفقنا على بغض العامة

وحدث محمد بن أنس السلامى الأسدى ، قال : سئل معاذ الهراء : مَن أشعر النـاس ؟ قال : من الجاهليين ، أم من الاسلاميين ؟ قالوا : بل من الجاهليين! قال : امرؤ القيس وزُهَير وعَبيد بن الأبرص ، قالوا : فمن الاسلاميين ؟ قال : الفرزدَق ، وجرير ، وَالأخطل ، والراعى ، فقيل له : يا أبا محمد ، ما رأيناك

---

(١) للكميت ترجمة فى الأغانى (١٥ / ١١٣ - ١٣٠) ومهذب الأغانى (٥ / ٢٠٣ - ٢١٦) وطبقات الشعراء لابن قتيبة (٣٦٨ - ٣٧١) ليدن

ذكرت الكميت فيمن ذكرت . قال : ذاك أشعر الأولين والآخرين ! .

وحدَّث محمد بن النوفلى قال : لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ماقال الهاشميات ، فسترها ، ثم أتى الفرزدق ، فقال له : يا أبا فراس : إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك الكميتُ بن زيد الأسدى . قال له : صدقت أنت ابن أخى ، فما حاجتك ؟ قال : نفث على لسانى ، فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك ، فان كان حسنا أمرتنى باذاعته ، وإن كان قبيحا أمرتنى بستره ، وكنت أولى [1] من ستره علىَّ ، فقال له الفرزدق : أما عقلك فحسن ، وإنى لأرجو أن يكون شعرك على قدرعقلك ، فأنشدنى ماقلته ، فأنشدته [من الطويل] :

* طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطْربُ *

فقال لى : ففيم تطرب يا ابن أخى ؟ فقلت :

* وَلا لعباً منى وَذُو الشوقِ يلعبُ *

فقال : يا ابن أخى فالعب فانك فى أوان اللعب ، فقلت :

ولمْ تُلهنى دارٌ ولارسمُ منزل   ولمْ يتطرّبنِى بنانٌ مخضَّبُ

فقال : مايطربك يا ابن أخى؟ فقلت :

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيةً   أمرّ سليمُ القَرْنِ أمْ مرّ أعضَبُ

فقال : أجل لم تتطير ، فقلت :

ولكنْ إلى أهل الفضائلِ والنُّهَى   وخيرِ بنى حوّاء والخيرُ يطلبُ

فقال: مَنْ هؤلاء ويحك ؟! فقلت:

إلى النفَرِ البيضِ الذينَ بحبهمْ   إلى الله فيما نابنى أتقرّبُ

(١) فى الأصل «وكنت أول» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى(١٥-١٢٥)

فقال : أرحني ويحك مَنْ هؤلاء ؟ فقلت :

بنى هاشم رَهطِ النبيِّ فإننى بهم ولَهُمْ أرضى مرَاراً وأغضبُ
خفضت لهم منى جناحَىْ مودَّةٍ إلى كنفٍ عطفاه أهلٌ ومرحَبُ
وكنت لهمْ منْ هؤلاء وهؤلا مِجنًّا على أنِّى أذمُّ وأُقصَب
وأرْمى وَأرْمى بالعداوةِ أهلها وإنى لأوذَى فيهمُ وأؤنبُ

فقال له الفرزدق : يا ابن أخي ، أذع ثم أذع . فأنت والله أشعر مَنْ مضى ومن بقى .

وحدث إبراهيم بن سعد الأسدى ، قال : سمعت أبى يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقال لى : من أىِّ الناس أنتَ ؟ قلت : من العرب ، قال : أعلم فمن أىّ العرب أنت ؟ قلت : من بنى أسد ، قال : من أسد بن خزيمة ؟ قلت : نعم ، قال : أهلا لىٌ أنت ؟ قلت : نعم ، قال : أتعرف الكميت بن زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمى ومن قبيلتى . قال : أتحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدنى :

* طربتُ وَما شوقا إلى البيضِ أطرَبُ *

قال : فأنشدته حتى وصلت إلى قوله :

فمالىَ إلا آل أحمد شيعةٌ وما لى إلا مشعب الحق مشعبُ

فقال لى : إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام وقل له : قد غفر الله لك بهذه القصيدة .

وحدّث نصر ابن مزاحم المنقرى أنه رَأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم ورجل بين يديه ينشده [من الخفيف] :

* مَنْ لقلبٍ متيم مستهامِ (١) *

(١) هذا صدر مطلع قصيده هاشمية أيضا ، وعجزه قوله :

* غير ما صبوة ولا أحلام *

قال : فسألت عنه ، فقيل لى : هـذا الـكميت بن زيد الأسدى . قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : جزك الله خيرا ! وأثنى عليه .

وحدث محمد بن سهل صاحب الـكميت قال: دخلت مع الـكميت على أبى عبد الله جعفر بن محمد فى أيام التشريق : فقال له : جعلت فداك ألا أنشدك فقال : إنها أيامٌ عظامٌ ، قال : إنها فيكم : قال: هات ، و بعث أبو عبد الله إلى بعض أهله ، فقرّب ، فأنشده ، فـكثر البـكاء ، حتى أتى على هذا البيت ، [من الطويل] :

يُصيبُ بهِ الرّامُونَ عنْ قوْسِ غيرِهمْ
فَيـا آخراً أسـدَى لهُ الغىّ أوّلُ

فرفع أبو عبد الله رحمه الله تعالى يديه فقال : اللهم اغفر للكميت ما قدّم وما أخر وما أسر وما أعلن ، وأعطه حتى يرضى .

وحدث صاعد مولى الكميت قال : دخلنا على أبى جعفر محمد بن على، فأنشده الـكميت قصيدته التى أولها :

* مَنْ لِقلْبٍ مُتيّمٍ مُسْتهامِ *

فأمر له بمال وثياب ، فقال الـكميت : والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيت مَنْ هى فى يديه ، ولـكننى أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها ، وأما المال فلا أقبله ، فرده وقبل الثياب .

قال : ودخلنا على فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما فقالت : هذا شاعرنا أهل البيت ، وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها وأسقته الـكميت ، فشربه، ثم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب ، فهملت عيناه وقال : لا والله لا أقبلها ، إنى لا أحبكم للدنيا .

وكان خالد بن عبد الله القسرى قد أُنشد قصيدة الـكميت التى يهجو فيها اليمن ، وهى التى أولها:

* ألاَ حُيِّيتِ عنّا يا مدِينا *

فقال : فَعَلَمَا(١) ؟ والله لأقتلنه ، ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيرهن نهايةً فى الحسن والكمال والأدب، فروّاهن الهاشميات، ودسهن مع نخاس إلى هشام ابن عبد الملك ، فاشتراهن جميعا ، فلما أنسن به واستنطقهن رأى منهن فصاحة وأدبا ، فاستقرأهن القرآن فقرأن، واستنشدهن الشعر فأنشدن قصائد الكميت الهاشميات ، فقال هشام : وَيْلكن! مَنْ قائل هذا الشعر ؟ قلن : الكميت بن زيد الأسدى ، قال : وفى أى بلد هو ؟ قلن : بالعراق ثم بالكوفة ، فكتب إلى خالد عامله فى العراق : ابعث إلى برأس الكميت بن زيد ، فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره ، فأخذ وحُبس فى الحبس ، وكان أبان بن الوليد عاملا على واسط ، وكان الكميت صديقه ، فبعث إليه بغلام على بغل، وقال له : أنت حر إن لحقته، والبغل لك ، وكتب له : أما بعد فقد بلغنى ما صرتَ إليه، وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل ، وأرى لك أن تبعث إلى حُبّى — يعنى زوجة الكميت وكانت ممن يتشيع أيضاً — فإذا دخلتْ عليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت ، فانى أرجو الاوبة لك ، قال : فركب الغلام البغل وسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكراً وخبر الكميت بالقصة ، فبعث إلى امرأته وقص عليها القصة ، وقال لها : أى ابنة عم ، إن الوالى لا يقدم عليك ولا يسلمك قومك ، ولو خفتُ عليك ما عرضتك له ، فألبسته ثيابها وإزارها وخمرته وقالت له : أقبل وأدبر ، ففعل ، فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلا يبساً فى كتفيك ، فاخرج على اسم الله تعالى ، وأخرجت معه جاريتين لها ، فخرج وعلى باب السجن أبو الوضاح حبيب بن بدير ومعه فتيان من أسد فلم يُؤْبه

---

(١) فى الأغانى أنهم لما أنشدوا خالدا أوائل قصيدة الكميت قال خالد : لا أبالى ما لم يجر لعشيرتى ذكر ، فأنشدوه ماقال فى قومه ، فقال : فعلها ؟ والله لأقتلنه — إلخ مانقله المؤلف. ووقع فى المطبوعتين « فقال بعلها » محرفا

له ، ومشى الفتيان بين يديه إلى معكة شبيب بناحية الكناس ، فمر بمجلس من مجالس بني تميم ، فقال بعضهم : رجل ورب الكعبة ، وأمر غلامه فاتبعه ، فصاح به أبو الوضاح : يا كذا وكذا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم ، وأومأ إليه بنعله ، فولى العبد مدبراً ، وأدخله أبو الوضاح منزله ، ولما طال على السجان الأمر نادى الكميت فلم يجبه ، فدخل ليعرف خبره ، فصاحت به المرأة : وراءك لا أم لك فشق ثوبه ، ومضى صارخا إلى باب خالد فأخبره الخبر ، فأحضر المرأة فقال : يا عدوة الله ، احتلت على أمير المؤمنين وأخرجت عدو أمير المؤمنين ، لأنكلن بك ولأصنعن ولأفعلن ، فاجتمعت بنو أسد عليه ، وقالوا له : ما سبيلك على امرأة منا خدعت ، فخافهم فخلى سبيلها ، وسقط غراب على الحائط ونعب فقال الكميت لأبي الوضاح : إني لمأخوذ وإن حائطك لساقط ، فقال : سبحان الله ! هذا مالا يكون إن شاء الله تعالى ، وكان الكميت خبيرا بالزجر ، فقال له : لابد أن تحولني ، فخرج به إلى بني علقمة وكانوا يتشيعون ، فأقام فيهم ، ولم يصبح حتى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب ، قال المستهل : وأقام الكميت مدة متواريا ، حتى إذا أيقن أن الطلب خف عنه خرج ليلا في جماعة من بني أسد على خوف ووَجَلٍ ، وفيمن معه صاعد غلامه ، وأخذ الطريق على القطقطانة ، وكان عالما بالنجوم مهتديا بها ، فلما صار سحيراً صاح بنا هَوِّموا يا فتيان ، فهومنا ، وقام فصلى . قال المستهل : فرأينا شخصاً فتضعضعت له ، فقال : مالك ؟ قلت : أرى شخصاً مقبلا ، فنظر إليه فقال : هذا ذئب قد جاء يستطعمكم ، فجاء الذئب فربض ناحية فأطعمناه يد جزور فتعرَّقها ، ثم أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه ، فارتحلنا وجعل الذئب يعوي ، فقال الكميت : ماله ويله ألم نطعمه ونسقه ؟ وما أعرفني بما يريد هو يدلنا أنا لسنا على الطريق ، تيامنوا يا فتيان ، فتيامنا فسكن عواؤه ، فلم نزل نسير حتى جئنا الشام ، فتوارى في بني أسد وبني تميم ، وأرسل إلى أشراف قريش [illegible]

هذه مكرمة أتاك بها الله تعالى ، هذا الكميت بن زيد لسان مضر ، وكان أمير المؤمنين قد كتب فى قتله فجاء حتى تحلص إليك و إلينا . قال : مروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء . فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره ، ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام ، فقال له : يا أبا شاكر ، مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها ، فان علمت أنك تفى بها و إلا كتمتها عنك ، قال : وما هى؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنه قد مدحكم عامة و إياك خاصة بما لم يسمع بمثله ، فقال : على خلاصه ، فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه فى غير وقت دخول ، فقال له هشام : أجئت لحاجة ؟ قال : نعم ، قال : هى مقضية إلا أن تكون الكميت ، فقال : ما أحب أن تستثنى على فى حاجتى ، وما أنا والكميت ، فقالت أمه : والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت ، قال : قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها ، قال : هى الكميت يا أمير المؤمنين وهو آمن بأمان الله عز وجل وأمان أمير المؤمنين وأمانى ، وهو شاعر مضر ، وقد قال فينا قولا لم يقل مثله ، قال : قد أمنته وأجزت أمانك له ، فاجلس له مجلسا ينشدك فيه ما قال فينا ، فقعد مجلسا وعنده الأبرش الكلبى ، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط ، وامتدحه بقصيدته الرائية ، ويقال : إنه قالها ارتجالا ، وهى قوله [من مجزوء الكامل] :

قِفْ بالديارِ وُقوفَ زائِرْ

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله :

ماذا عليك منَ الوُقو ... فِ بها وأنكَ غيرُ صاغِرْ
دَرَجَتْ عليك الغاديا ... تُ الرائحاتُ منَ الأعاصِرْ

وفيها يقول :

فالآن صِرْتَ إلى أميَّةَ والأمورُ إلى المصائرْ

فجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب [illegible]

فى مرثية ابنه معاوية ، فأذن له ، فأنشده قوله [من الطويل] :

سأبكيكَ للدنيا وللدِّين، إننى رأيْتُ يَدَ المعْرُوفِ بعدكَ شَلّتِ

أدامَتْ عليكم بالسّلَام تحيةً ملائكةُ الله الكرام وصلّتِ

فبكى هشام بكاء شديداً ، فوثب الحاجب فسكته ، ثم جاء الكميت إلى منزله آمناً ، فحشدت له المضرية بالهدايا ، وأمر له مَسْلمة بعشرين ألف درهم ، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم ، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته وأنه لا سلطان له عليهم ، قال : وجمعت له بنو أمية فيما بينها مالا كثيراً .

وفى رواية أنه لما أجاره مسلمة بن هشام و بلغ هشاماً دعا به وقال له : أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره ؟ فقال : كلا ، ولكنى انتظرت سكون غضبه، قال: أحْضِرْنيهِ الساعةَ فانه لاجوار لك ، فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهل إن أمير المؤمنين أمرنى باحضارك ، قال : أتسلمني ياأبا شاكر ؟ قال: كلا ، ولكنى أحتال لك ، ثم قال له : إن معاوية بن هشام قد مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعا شديداً فاذا كان من الليل فاضرب رِوَاقَكَ على قبره وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك فى الرواق ، فاذا دعا بك تقدمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولون : هذا مستجير بقبر أبينا ، ونحن أحق باجارته ، قال : فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر فقال : ما هذا ؟ فقالوا : لعله مستجير بالقبر ، فقال : يجار من كان إلا الكميت فانه لا جوار له ، فقيل : فانه الكميت ، فقال : يحضر أعنف إحضار ، فلما دعا به رَبَطَ الصبيان ثيابهم بثيابه ، فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر واهم يقولون : يا أمير المؤمنين ، استجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظه من الدنيا فاجعله هبة لنا ولا تفضحنا فى من استجار به ، فبكى هشام حتى انتحب ، ثم أقبل على الكميت فقال له : يا كميت ، أنت القائل :

وإلا فقولوا غيرها تتعرفوا نواصيَهَا تردى بناوهى شُزَّبُ

فقال : لا والله ، ولا أتان من أتن الحجاز وحشية ، ثم خطب فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما بعد فانى كنت أتدهدى فى غمرة جهالة ، وأعوم فى بحر غواية ، أخنى على خطلها ، واستنفرنى وهلها ، فتحيرت فى الضلالة ، وتسكعت فى الجهاله ، مهرعا عن الحق ، جائراً عن القصد ، أقول الباطل ضلالا ، وأفوه بالبهتان وبالا ، وهذا مقام العائذ المبصر الهدى ، ورافض العمى ، فاغسل يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة ، واصفح عن الزلة ، واعف عن الجرم ، ثم قال [من مجزوء الكامل] :

كم قال قائلكم لعاً ... لك عندَ عثرَتِهِ لعاثِرْ

وغفرْتمُ لذوى الذنو ... بِ منَ الأكابرِ والأصاغرْ

أبنى أميَّة إنكم ... أهلُ الوسائل والأوامرْ

ثِقَتِى لكلِّ مُلِمَّةٍ ... وعشيرَتى دونَ العشائرْ

أنتم معَادنُ للخلا ... فةِ كابراً من بعْدِ كابرْ

بالتسعةِ المتتَابعينَ ... خلائفاً وبخيرِ عاشرْ

وإلى القيامة لا تزا ... لُ لشافعٍ منكم وواترْ

وقطع الانشاد ، وعاد إلى خطبته فقال : إغضاء أمير المؤمنين وصباحته ، وسماحته ومناط المنتجعين [بحبله] ، من لا يحل حبوته لاساءة المذنبين ، فضلا عن استشاطة غضبه لجهل الجاهلين ، فقال له : ويلك يا كميت مَنْ زين لك الغواية ودلاك فى العماية ؟ قال : الذى أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزما ، فقال له : إيه يا كميت ألست القائل [من الطويل] :

فياموقداً ناراً لغيرك ضوءها ... ويا حاطبا فى غير حبلك تحطب

فقال : بل أنا القائل [من المتقارب] :

إلى آل بَيْتِ أبى مالكٍ ... مناخ هُوَ الأرْحَبُ الأسْهَلُ

نمتْ بأرحامِنا الداخلا ت من حيثُ لا ينكرُ المدخلُ
بمُرَّةَ والنضرِ والمالكيين رهطٌ هم الأنبلُ الأنبلُ (١)
وجدْنا قُرَيشاً قريشَ البِطَاح على ما بنى الأوَّلُ الأوَّلُ
بهم صَلَحَ الناسُ بعدَ الفسادِ وحيصَ من الفَتْقِ ما رعبَلوا (٢)

قال له : وأنت القائل [من الخفيف] :

لا كَعَبْدِ المليك أو كَوَليدٍ أو سُلَيمان بعده أو هِشَامِ (٣)
من يمت لا يمت فقيداً ومن يحيا فلا ذو إلٍّ ولا ذو ذمام (٤)

ويلك يا كميت ! جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة، فقال: بل أنا القائل يا أمير المؤمنين [من مجزوء الكامل] :

فالآنَ صِرْتُ إلى أُمَيَّةَ والأمورُ إلى المصائرْ (٥)
والآنَ صرْتُ بها المصيبَ كَمُهتَدٍ بالأمس حائرْ
يا ابن العقائل للعقا ئل والجحاجحةِ الأخايرْ

---

(١) فى الأغانى (١٥ – ١١٨) « بمرة والنضر والمالكين » وفيه ، بعد هذا البيت بيت زائد عما هنا ، وهو قوله :

وبارى خزيمة بدر السما ء والشمس مفتاح ما نأمل

(٢) فى الأصل « وغيض من الفتق » مصحفا عما أثبتناه عن الأغانى ، وتقول: حاص فلان الفتق ، تريد خاطه ، وهو بمعنى أصلح الفاسد ، و « رعبلوا » من قولهم : رعبل اللحم ، إذا قطعه ، ورعبل الثوب رعبلة ، إذا مزقه تمزيقا .

(٣) فى الأغانى « أو سليمان بعد أو كهشام »

(٤) الال – بكسر الهمزة وتشديد اللام – العهد .

(٥) وقع فى الأصول « المصائر » بالهمز وهو خطأ عربية ، لأن ياء « المصير » الذى هو مفرد أصلية ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى .

من عَبْدِ شمسٍ والأكا　　برِ من أميَّةَ فالأكابرْ
إن الخلافةَ والالا　　فَ برغْم ذى حسدٍ وواغرْ
دَلفَا من الشرفِ التليـ　　ـدِ إليكَ بالرِّفْدِ المُوافِرْ
فحللتَ مُعتلجَ البطا　　حِ وحلَّ غيرُكَ بالظواهرْ

قال : إيه ، فأنت القائل [من الوافر] :

فَقل لبنى أمية حَيْثُ كانوا　　وإن خِفْتَ المهند والقطيعا
أجاعَ الله من أشْبَعْتُمُوهُ　　وأشبعَ من بجورِكم أجيعا
بمرضىً السياسة هاشمى　　يكون حياً لأمته ربيعا

فقال : لا تثريب ياأمير المؤمنين ، إن رأيت أن تمحو عنى قولى الكاذب ،
قال : بماذا ؟ قال : بقولى الصادق [من الخفيف] :

أورثتهُ الحَصَانُ أم هِشَام　　حَسَباً ثاقِباً وَوَجْهاً نضيراً
وتعاطى بهِ ابنُ عائِشةالبد　　رَ فأمسَى لهُ رَقيباً نظيرًا
وكساهُ أبو الخلائِفِ مرْوا　　نُ سَناء المكارم المأثورا(١)
لم تَجَهم له البطاحُ ولكِنْ　　وَجَدَتْهَا لهُ معانا ودُورا

وكان هشام متكئاً ، فاستوى جالساً وقال : هكذا الشعر فليكن ، يقولها لسالم ابن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ، وكان إلى جانبه ، ثم قال : رضيت عنك ياكميت ، فقبَّل يده وقال: ياأمير المؤمنين إن رأيت أن تزيد فى تشريفى فلا تجعل لخالد علىَّ إمارة ، قال : قد فعلت ، وكتب بذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم

---

(١) فى الأصول « أبو الخلائق مروان » محرفا عما أثبتناه ، والخلائف : جمع خليفة ، وفى الأغانى مثل ما أثبتناه

وثلاثين ثوبا شامية ، وكتب إلى خالد أن يُخلى سبيل امرأته و يعطيها عشرين ألف درهم وثلاثين ثوبا ، ففعل

وللكميت مع خالد هذا أخبار عند قدومه الكوفة بالعهد الذى كتب له : منها أنه مر يوماً وقد تحدث الناس بعزله عن العراق ، فلما جاز تمثل الكميت وقال [من الطويل] :

أرَاها و إن كانَتْ تُحَبُّ كأنها سَحَابةُ صيفٍ عَنْ قليلٍ تقشَّعُ

فسمعه خالد ، فرجع وقال : أما والله لاتنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد ، ثم أمر به فجرد وضرب مائة سوط ، ثم خلى عنه ومضى ، رواه ابن حبيب

وحدث السلامى قال : كان هشام بن عبدالملك مشغوفا بجارية له يقال لها صدوف مدنية اشتريت له بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم فى شىء وهجرها وحلف أنلا يبدأها بكلام ، فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك ، فقال : مالى أراك مغموما يا أمير المؤمنين ؟ لا أغمك الله ! فأخبره هشام بالقصة ، فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول [من الكامل] :

أعَتبتَ أم عَتبتْ عَليكَ صدُوفُ وعِتابُ مِثلكَ مِثلَهَا تَشْرِيفُ

لاتَقْعدَنَّ تلومُ نَفسك دائِباً فِيها وأنتَ بِحُبِّها مَشغُوفُ

إنَّ الصَّرِيمة لا يقومُ بِمثلها إلا القَوِىُّ بِهَا وأنت ضعيفُ[1]

فقال هشام : صدقت والله ، وقام من مجلسه فدخل إليها ونهضت إليه فاعتنقته وانصرف الكميت ، فبعث إليه هشام بألف دينار ، و بعثت إليه بمثلها

وحدث حبيش بن الكميت قال : وَفَدَ الكميتُ على يزيد بن عبد الملك ،

---

(١) فى الأغانى (١٥ - ١٢٢) « لا يقوم بثقلها » وهو أحسن مما هنا

فدخل عليه يوما وقد اشتريت له سَلاَّمة القَسّ(١) فأدخلت إليه والكميت حاضر فقال له . يا أبا المستهل ، هذه جارية تُباع ، أفترى أن نبتاعها ؟ فقال : إى والله يا أمير المؤمنين ، وما أرى أن لها مثيلا فى الدنيا فلا تفوتنك ، قال : فصفها لى فى شعر حتى أقبل رأيك ، فقال الكميت [من الخفيف] :

هى شمسُ النهار فى الحُسْن إلا أنها فضِّلت بفَتْكِ الطِّرَافِ(٢)

غَضَّةٌ بَضَّةٌ رَخيمٌ لَعُوبٌ وعثةُ المَتْن شختَةُ الأطرَافِ(٣)

زانَها دلُّهـا وثغرٌ نقىٌّ وحَدِيثٌ مُرَتَّل غيرُ جافِ

خُلقتْ فوْقَ مُنيةِ المتمنِّى فاقبلِ النصحَ يا ابن عبدِ مناف

قال : فضحك يزيد ، وقال : قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل ، فأمر له بجائزة سنية .

وحدث ابن قتيبة قال : مر الفرزدق بالكميت وهو ينشد ، والكميت يومئذ صبى ، فقال له الفرزدق : ياغلام ، أيسرك أنى أبوك ؟ فقال : لا ، ولكن يسرنى أن تكون أمى ، فخجل الفرزدق وأقبل على جلسائه فقال : مامر بى مثلها قط

وقال محمد بن مسلمة : كان مبلغ شعر الكميت حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً ، وكانت ولادته أيام مقتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنه وذلك سنة ستين ، ووفاته سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد

وكان سبب موته ماحكاه حجر بن عبد الجبار قال : خرجت الجعفرية على

---

(١) فى الأصل « سلامة النفس » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٥ - ١٢٢)

(٢) فى الأغانى « فضلت بقتل الظراف »

(٣) فى الأصل « ثخنة الأطراف » محرفا عما اثبتناه موافقا لما فى الأغانى (١٥ - ١٢٢)

خالد القسرى وهو يخطب على المنبر ولا يعلم بهم ، فخرجوا فى التبابين ينادون: لبيك جعفر ، لبيك جعفر ، وعرَفَ خالد خبرهم وهو يخطب فدهش بهم فلم يعلم مايقول فزعاً ، فقال: أطعمونى ماء ، ثم خرج الناس إليهم ، فأخذوا ، فجعل يجىء بهم إلى المسجد و يؤخذ طن قصب فيطلى بالنفط ويقال للرجل منهم : احتضنه و يضرب حتى يفعل ، ثم يحرق ، فحرقهم جميعاً ، فلما عزل خالد عن العراق و وليه يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن على رضى الله عنهما فأنشده قوله فيه [من الطويل] :

خَرَجْتَ لهم تمشى البَرَاحَ ولم تكن كمَنْ حصنُهُ فيه الرِّتاجُ المُضببُ
وما خالدٌ يستَطْعِمُ الماءَ فاغراً بعدلِكَ والداعى إلى المَوْتِ ينعب

قال : والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، وهم يمانية [1] فتعصبوا لخالد ، فوضعوا ذُبَاب سيوفهم [2] فى بطن الكميت فوجؤوه بها وقالوا : أتنشد الأمير ولم تستأمره ، فلم يزل ينزف الدم حتى مات

وحدث المستهل بن الكميت قال : حضرت أبى عند الموت وهو يجود بنفسه وأغمى عليه ، ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال : اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد ، ثلاثا ، ثم قال : يابنى ، وددت أنى لم أكن هجوت نساء كلب بهذا البيت وهو [من الوافر] :

معَ العُضْروطِ والعُسَفاء ألقَوْا براذعَهُنَّ غيرَ مُحَصنينا

فعممتهن قذفا بالفجور ، والله ما خرجت ليلا قط إلا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك ، ثم قال : يابنى ، إنه بلغنى فى الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق ويخرج فيه الموتى من قبورهم و ينبشون منها فيحولون إلى قبور غير قبورهم ، فلا تدفنى فى الظهر ولكن إذا مت فامض بى إلى موضع يقال له مكران فادفنى فيه ، فدفن فى

---

(١) فى الأصول « وهم ثمانية » محرفا عما أثبتناه ، والذى أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٥ - ١٢١)
(٢) فى الأصول « نعال سيوفهم » وأثبتنا ما فى الأغانى

ذلك الموضع ، وكان أول من دفن فيه ، وهو مقبرة بنى أسد إلى الساعة ، والله تعالى أعلم

***

شاهد تأكيد المدح بما يشبه الذم

١٤٩ـ ولا عَيْبَ فِيهِمْ غيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

البيت للنابغة الذبيانى ، من[1] قصيدة من الطويل ، يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر حين هرب من النعمان بن المنذر اللخمى من الحيرة ، وأولها :

كِلِينِى لِهَمٍّ يا أُميمَةُ ناصِبِ وَلَيْلٍ أُقاسِيهِ بَطِىءِ الكَوَاكِبِ

تَطَاوَلَ حتى قُلْتُ لَيْسَ بِمنقَضٍ وَلَيْسَ الذِى يَرْعى النُّجُومَ بآيِبِ

وصَدْرٍ أَنَاخَ اللَّيلُ غاربَ هَمِّهِ تَضاعفَ فيهِ الهَمُّ مِن كلِّ جانبِ[2]

عَلَىَّ لِعَمْرٍو نِعمةٌ بَعْدَ نِعمةٍ لوَالِدِه ليْستْ بِذاتِ عَقَارِب[3]

حَلَفْتُ يميناً غيرَ ذى مَثْنَوِيةٍ ولا عِلمَ إلا حُسْنُ ظَنٍّ بصاحب

لئن كانَ لِلقبرين قبرٍ بِجِلقٍ وقبرٍ بِصَيْدَاءَ الذى عِنْدَ حارِبِ

وللحارثِ الجفنى سَيِّدِ قَوْمِهِ لَيَلْتمسنْ بالجَيْش دارَ المحَارِب[4]

ومنها :

---

(١) اقرأها فى الديوان (٤٢) وفى شعر النصرانية (١٤٤)

(٢) فى الديوان وشعراء النصرانية

وصدر أراح الليل عازب همه

وهو المحفوظ .

(٣) فى الأصل « كوالده » محرفا عما أثبتناه عن مراجع عديدة

(٤) فى الأصل « وللحارث الجفنى تشييد قومه » وهو تحريف شنيع

فَهُمْ يتساقَوْنَ المنيّةَ بينَهُم ... بأيديهم بيضٌ رقاقُ المَضارب
يَطيرُ فُضاضا بينَها كلُّ قَوْنس ... ويتبعُهامنهمْ فَرَاشُ الحواجب

وبعده البيت ، وبعده :

تُوُرِّثْنَ من أزمان يوم حليمةٍ ... إلى اليومِقدْجرِبْنَ كلَّ التجاربِ

إلى أن قال فيها :

لهمْ شيمةٌ لم يعطها الله غيرَهُمْ ... منَ الجود والأحلامُ غيرُعوازبِ(١)
مَحَلَّتُهُمْ ذاتُ الإلهِ وَدِينهمْ ... قويمٌ فَما يرجونَ غيرَ العواقبِ(٢)
رِقاقُ النعال طيبٌ حجزَاتهمْ ... يحيونَ بالريحان يومَ السباسِبِ

والفلول : جمع فل ، وهو الثلم ، وقراع الكتائب : مضاربة الجيوش .

والشاهد فيه : تأكيد المدح بما يشبه الذم ، كأنه قال : ولا عيب فى هؤلاء القوم أصلا إلا هذا العيب، وهو فلول أسيافهم من المقارعة والمضاربة ، وهذا ليس بعيب ، بل هو نهاية المدح ، فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم ، لأن قوله : « غيرَ أنّ سيوفهم » يوهم أن ما يأتى بعده ذمّ ، فاذا كان مدحاً فقد تأكد المدح .

ويروى أن عُرْوَةَ بن الزبير رَضى الله عنه سأل عبد الملك بن مروان أن يردّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير، رضى الله عنهما ! فأخرجه إليه فى سيوف مُنتَضَاة ، فأخذهُ عُرْوَة رضى الله عنه من بينها . فقال له عبد الملك : بم عرفته؟ فقال : بقول النابغة ، وأنشده البيت .

ومن مليح هذا النوع قول أبى هفان [من الطويل] :

---

(١) فى الأصل « لهم سمة » محرفا عما أثبتناه عن عدة مراجع منها الديوان وشعراء النصرانية

(٢) فى الأصل « فما يرضون غير العواقب » محرفا

مثل من تأكيد المدح بما يشبه الذم

ولا عَيبَ فينا غيرَ أنَّ سَماحنا أضرَّ بنا والبأسُ من كل جانبِ
فأفنى الرَّدى أرْواحنا غيرَ ظالمٍ وأفنى الندَى أموالنا غيرَ عائبِ

وقول الآخر [من الطويل] :

ولا عيبَ فيهِ غيرما خوف قومهِ على نفسهِ أن لا يطول بقاؤها

وقول الشاعر [من الطويل] :

ولا عيبَ فيكم غيرَ أنَّ ضيوفكمْ تعابُ بنسيانِ الأحبة والوطنْ

ومثله قول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

ولا عيبَ فيهِ غيرَ أنى قصدتهُ فأنستنِىَ الأيامُ أهلا وموطنَا

وقول الصفى الحلى [من البسيط] :

لا عيْبَ فيهمْ سِوَى أنَّ النزيل بِهِمْ
يسلو عَنِ الأهلِ والأوْطانِ وَالحشَمِ

وَلمؤلفهِ رَحمهُ الله تعالى ، فيمنْ ألفَ الكتابَ باسمهِ الكريم ، [من الكامل] :

لاعَيبَ فيهِ سوَى مكارمهِ التى نَسَبَتْ لحاتم بخلَ كلُّ بخيلِ

وقوله أيضا فى غيره [من الكامل] :

لاعَيْبَ فيه غيرَ أنَّ يمينهُ تدعُ العديمَ مهنئاً بيسارهِ

وما أحسن قول بعضهم أيضا [من الطويل] :

ولا عيبَ فى معروفهم غيرَ أنهُ يُبيِّنُ عجز الشاكرين عن الشكرِ

وقول ابن الرومى أيضا [من السريع] :

ليس به عيبٌ سوى أنهُ لا تقعُ العينُ على شبههِ

وما أحسن قول ابن الحجاج [من الطويل] :

أتَوْني فعابوا مَنْ أحبُّ جهالةً وذاكَ على سمع المحبّ خفيفُ

فما فيه عيبٌ غيرَ أنّ جفونهُ مِراضٌ وأنّ الخصْرَ منه ضعيفُ

وقول أبي جعفر القرشي [من الطويل] :

فتًى لم تسافرْ عنهُ آمالُ آملٍ وَليسَ لها إلا إليـه إيابُ

ولاعيبَ فيه لامرىء غيرَ أنهُ تعَابُ لهُ الدنيا وليْسَ يعابُ

وما أبدَعَ قولَ ابن نباتة ، يمدح الملك الأفضل ، صاحبَ حمَاة ، من قصيدة [من الكامل] :

لاعيبَ فيه سوَى عزائم قصَّرَتْ عنها الكواكبُ وهيَ بعدُ تحلِّقُ

وقوله [من الخفيف] :

ليسَ فيه عيبٌ سوَى أنّ إحسا نَ يديه يستعبدُ الأحرارَا

وقوله [من البسيط] :

لا عيبَ فيه أدامَ اللهُ دولتهُ إلا عزائم مجدٍ عندَهُنْ شرَهْ

وقوله [من الطويل] :

وَلا عيبَ فيها غير سحر جفونها وأحببْ بها سَحَّارةً حين تسحرُ

وقوله [من الكامل] :

وتتابع المنن التي ما عيبها إلا رُجوعُ الوصفِ عنها قاصرًا

و بديع قول الآخر أيضا [من الخفيف] :

عيبُ تلكَ الخلال أنْ لم يعوّذْ نَ بعيبٍ يكونُ فيهنّ خالاَ

وَظريفٌ قول بعضهم [من الطويل] :

ولاعيبَ في هذا الرشا غيرَ أنهُ لهُ معطفٌ لدْنٌ وخَدٌّ مُنعّمُ

وما أحسن قول بعضهم ، وهو من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح ، عكس هذا الباب [من ال...] :

بيضُ المطَابخ لاتشكو ولائدهم طَبخَ القُدُور ولا غَسلَ المناديلِ
لا تأكُلُ النار فى مغنى بيُوتِهمُ إلا فتائلَ سُرج أو قناديل

وتقدم ذكر النابغة فى شواهد الايجاز والاطناب (١)

* * *

١٥٠ — هُوَ البَدْرُ إلا أنهُ البَحرُ زَاخِراً سِوَى أنه الضرغام لكنهُ الوَبْلُ

تأكيد المدح بالاستدراك

البيت لبديع الزمان الهمذانى ، من قصيدة من الطويل يمدح بها خلف بن أحمد السجستانى أولها :

سماء الدُّجى ماهذه الحدقُ النُّجل أصدْرُ الدُّجى حالٍ وجيدُ الضحى عطلُ

وفيها يذكر أباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره ، والبحث عن وطنه ووطره ، حيث قال :

يُذكّرنى قُرْب العراق وديعة لدَى الله لا يُسليه مالٌ ولا أهلُ
إذا وَرَد الحجاجُ وَافى رفاقَهمْ بفوّارتى دَمعٍ هُما النجلُ وَالسَّجْلُ
يُسائلهُمْ أينَ ابنهُ أينَ دَارُهُ إليم انتهَى لِم لَمْ يعُدْ هل له شُغل
أضاقَتْ له حالٌ أطالت له يَدٌ أآخِرَهُ نقصٌ أقَدَّمهُ فضلُ
يقولون وافى حضرَةَ الملكِ الذى له الكَنَفُ المأمولُ والنائل الجزل
وفاضت عليه ديمةٌ خلَفيّةٌ بها للغوادى عن ولايتها عزلُ
يذكّرُهمْ بالله إلا صدَقتُمو لدىَّ أجِدٌّ ما تقولون أم هَزْلُ
سلَوْنا للقيالك الملوكَ وإنما بمثلك عن أمثالهم مثلنا يَسلو (٢)

(١) انظر ترجمته فى شرح الشاهد (رقم ٦٦ فى ج ١ ص ٣٥٨ من هذا الكتاب)
(٢) فى الأصل « صبونا بأقيال الملوك »

ولما بَلَوْناكم تَلَوْنا مديحكم فياطيبَ ما نبلو و يا صِدْقَ ما نتلو
فِدًى لك من أبناءِ دهرك مَنْ غدا فلا قَوْلُه علمٌ ولا فعلهُ عدلُ
أيا ملكا أدنى مناقبِهِ العلا وأيْسَرُ ما فيه السَّمَاحَةُ والبذل

و بعده البيت ، و بعده :

محاسنُ يُبْديها العيانُ كما ترَى و إن نحن حدثنا بها دفع العقل

وهي طويلة ، وقد مضى طرف منها في مراعاة النظير .

والضرغام : الأسد ، والوبل : المطر الشديد الضخم القطر ، ومثله الوابل .

والشاهد فيه : أن الاستدراك الدال عليه لفظ لكن في باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كالاستثناء في إفادة المراد ، فالأولان استثنا آن ، وقوله « لكنه » استدراك يفيد ما يفيده هذا الضرب من الاستثناء لأنه استثناء منقطع، و« إلا» فيه بمعنى لكن، ومثله قول ابن قلاقس [من الطويل]:

هو الثغر إلا أنهُ الفجر طالعاً على أنه الكافورُ لكنه البَدْرُ

وقول بعضهم أيضا [من البسيط] :

يسعى به البرْقُ إلا أنه فَرَسٌ من فَوْقِهِ الموْت إلا أنه رجُلُ

وقول السرى الرفاء أيضاً [من البسيط] :

أما ترى الثَّلْجَ قد خاطت أنامِلُهُ ثوباً يُزَرُّ على الدنيا بأزرار
نارٌ ولكنها ليست بمُبْدِيةٍ نوراً وماء ولكن ليسَ بالجاري

وقول التنوخي [من الكامل] :

غصنٌ تأودَ فوقَ دِعصٍ من نقاً ليل تبَلّجَ عن صبَاح مُسْفِرِ
كالشمس إلا أنه متَنفس عن مسكة متبسمٌ عن جوْهَرِ

وقوله أيضا [من الطويل] :

وجوهٌ كأكباد المحبينَ رقةً ولكنها يومَ الهياجِ صُخُورُ

وقوله وأجاد [من المتقارب] :

وراح من الشمس مخلوقةٌ بَدَتْ لك فى قدَحٍ من نُضارِ
هَوَاءٌ ولكنهُ ساكنٌ وماءٌ ولكنه غيرُ جارى

وما أحسن ما قال بعدهما، وهو من بديع التشبيه

كأن المديرَ لها باليمين إذا قام للسعى أو باليسارِ
تَدَرَّع ثوباً من الياسمين له فردُ كم من الجلّنار

وهذا المعنى من قول بعضهم [من الطويل] :

و بكرٍ شربناها على الوَرد بكْرَةً فكانت لنا وردًا إلى ضَحْوَة الغدِ
إذا قامَ مُبْيَضُّ الثياب يديرُها توَهَّمْتُهُ يسعَى بكم موَرَّدِ

ولأبى القاسم الطبرى [من الطويل]

قَضيبٌ ولكن مَبسمُ النور ثغرُها وبدرٌ ولكنَّ المحاقَ بخَصْرها

ولابن جابر الأندلسي أيضا [من الطويل] :

ولم ترَ عينى مثل جنَّةِ خدِّها ولكن حماها اللحظ بالصارم العَضْب
موَرَّدةُ الخدين معْسُولة اللَّمَى سوَى أنها تفترُّ عن لؤلؤٍ رَطْب

وما أحسن قول بعضهم فى شكوى الزمان [من الطويل] :

ولى فَرَسٌ من نَسْل أعْوَجَ سابقٌ ولكن على قَدْرِ الشعير يحمحمُ
وأقسم ما قَصَّرت فيما يزيدنى علوا ولكن عند من أتقدم

ترجمة بديع الزمان الهمذانى

و بديع الزمان(١) هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى ، قال فى

---

(١) للبديع ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى ([illegible])

حقه صاحب اليتيمة : هو بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومَنْ لم يلف نظيره [١] فى ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطر ، وشرف الطبع ، وصفاء الذهن ، وقوة النفس ، ولم يدرك قرينه فى طُرَف النثر وملحه [٢] ، وغرر النظم ونكته ، ولم يرو أن أحدا بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره ، فانه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب : فمنها أنه كان ينشد القصيدة التى لم يسمعها قط وهى أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها وَيؤديها من أولها إلى آخرها لايخرم منها حرفاً ، وينظر فى الأربع أو الخمس الأوراق من كتاب لا يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه، ويسردها سرداً ، وهذه حاله فى الكتب الواردة وغيرها . وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة فى معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها فى الوقت والساعة ، والجواب عنها فيها. وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطوره ، ثم هلم جراً إلى الأول ، ويخرجه كأحسن شىء وَأملحه، ويوشح القصيدة من قوله [٣] بالرسالة الشريفةمن إنشائه فيقرأ من النظم النثر ويروى من النثر النظم ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الأبيات الشريفة [٤] ، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النثر والنظم فيرتجله فى أسرع من الطرف، على ريق لا يبلعه ونَفَس لا يقطعه ، وكلامه كله عفو الساعة ، وفيض القريحة، ومسارقة

---

(١) فى اليتيمة « ومن لم يلق » من اللقاء ، وهى أحسن لموافقتها قوله بعد « ولم يدرك قرينه »

(٢) فى اليتيمة « فى ظرف النثر » وما هنا أحسن لتوافقه مع « ملح » و « غرر » و « نكت »

(٣) فى الأصل «من قبله» وقد أثبتنا مافى اليتيمة

(٤) فى اليتيمة « الوشيقة »

القلم ، ومسابقة اليد ، ومجرات الحدة ، ونمرات المده ، ومجاراة الخاطر الناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعانى الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الابداع والاسراع ، إلى عجائب كثيرة لا تحصى ، ولطائف يطول أن تستقصى ، وكان مع هذا كله مقبول الصورة . خفيف الروح ، حسن العشرة ، ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص المودة ، حلو الصداقة ، مر العداوة

فارق همذان سنة ثلاثين وثلاثمائة وهو مقتبل الشبيبة ، غض الحداثة ،وقد درس على أبى الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده ، واستنفد علمه ، واستنزف بحره [١] ، وورد حضرة الصاحب فتزود من ثمارها ، وحسن آثارها ، ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الاسماعيلية ، والتعيش فى أكنافهم ، والاقتباس من أنوارهم .

ثم إنه قصد نيسابور فنشر بها بزه ، وأظهر طرزه ، وأملى بها أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندرى فى الجد وغيره ، وضمنها ماتشتهى الأنفس ، وتلذ الأعين : من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رقيق المطلع والمقطع كسجع الحمام ، وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول

فمن ذلك قوله : المقامة السادسة [٢] عن أبى الفتح الاسكندرى قال : حدثنا عيسى ابن هشام ، قال . اشتهيت [٣] الأزاذ ، وأنا ببغداذ ، وليس معى عقد على نقد ، فخرجت أخترق محالها حتى أحلنى الكدح بسوادى [٤] يحدو بالجهد

---

(١) فى الأصل « واستنزف سحره » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

(٢) اقرأها فى المقامات (٦٣ بيروت)

(٣) الأزاذ : ضرب من التمر الجيد

(٤) الكدح : السعى مع جهد ، وفى المقامات « الكرخ » محلة ببغداد والسوادى : الرجل من ريف العراق ، وريف العراق يسمى السواد

حماره ، ويطرِّف بالعقد إزاره ، فقلت : ظفرنا والله بصيد ، وحياك الله يا أبا زيد! من أين أقبلت ؟ وأين نزلت ؟ ومتى وافيت ؟ فهلم إلى البيت . فقال : لست بأبي زيد ، وإنما أنا أبوعبيد . فقلت : لعن الله الشيطان، أنسانيك طول العهد . كيف أبوك أشابٌ كعهدي، أم شابَ بعدي؟ فقال: قد نبت المرعى على دمنته[١]. فقلت : إنا لله [ونفسي في سبيل الله[٢]] ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومددت يد البدار[٣] إلى الصِّدار [أحرك زيقه[٢]] وأريد تمزيقه ، فقبض السوادي على خصري بجُمعه ، وقال : نشدتك الله[٤] لامزقته ، فقلت : فهلم إلى البيت نصيب غداء[٥]، أو إلى السوق نَشترى شِواء، والسوق أقرب، وطعامه أطيب، فاستفزته حُمَة القرم[٦] وعطفته عطفة النَّهم[٧] وطمع ، ولم يدر أنه وقع . ثم أتينا شوَّاء يتقاطر شواؤه عرقا ، وتتسايل جوانبه مرقا . فقلت له : زن لأبي زيد من هذا الشواء ، ثم زن له من تلك الحلواء . واختر له من تلك الأطباق ، وأنضد عليه ورقا من[٨] الرقاق ، وشيئاً من ماء السُّماق[٩] ليأكله أبو زيد هنيئاً . فانحنى الشواء

---

(١) كناية عن موته

(٢) ليست هذه الجملة فى المقامات

(٣) البدار – بكسر الباء – المبادرة والاسراع . والصدار – بزنة الكتاب – القميص الصغير يلى الجسد

(٤) فى الأصل « أنشدتك الله » وما أثبتناه موافق لما فى المقامات

(٥) فى المقامات « نصب غداء » بالجزم فى جواب الأمر

(٦) استفزته : استخفته ، وحمة الشيء – بضم الحاء وفتح الميم مخففة – شدته ، وأصل الحمة إبرة العقرب التى تلدغ بها . والقرم – بفتح القاف والراء – الشهوة إلى أكل اللحم خاصة

(٧) فى المقامات « وعطفته عاطفة اللقم » فأما النهم فهو شدة الشهوة إلى الطعام ، وأما اللقم فهو الأكل السريع

(٨) فى المقامات « وانضد عليها ورق الرقاق »

(٩) السماق : [illegible]

بساطوره ،على زبدة تنوره ، فجعلها كالـكحل سحقا ، وكالطحن دقا[١]. ثم جلس وجلست ، وما نبس وما نبست، حتى استوفيناه . فقلت لصاحب الحلوى : زن لأبى زيد من هذا اللوزنيج[٢] رطلين فهو أجرى فى الحلوق ،وأسرى فى العروق[٣] وليكن ليلى العمر يومى النشر[٤] رقيق الجلد كثيف الحشو، لؤلؤى الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصمغ ، قبل المضغ . فوزنه وقعد وقعدت ، وجرد وجردت[٥] ، حتى استوفيناه ، ثم قلت: ياأبا زيد، ما أحوجنا إلى ماء يشعشع بثلج ليقصع هذه الصارة ، ويفثأ هذه اللقم الحارة[٦] ، اجلس يا أبا زيد حتى آتيك بسقاء، يجيئنا بشربة ماء ، وخرجت وجلست بحيث أراه ولا يرانى ، أنظر ما يصنع به ، فلما أبطأت عليه قام السوادى إلى حماره ، فاعتلق الشواء بإزاره . وقال : أين ثمن ما أكلت ؟ فقال : أكلته ضيفا ، فقال: هاك وهاك ، متى دعوناك ؟ زن ياأخا القحبة عشرين [وإلا أكلت ثلاثا وتسعين] فجعل السوادى يبكى [ويمسح دموعه بأردانه] ويحل عقده بأسنانه . ويقول : كم قلت لذلك القريد ، أنا أبو عبيد وهو يقول أنت أبو زيد . وأنشأ يقول[٧] [من مجزوء الكامل] :

---

(١) الطحن ـ بكسر الطاء ـ الدقيق ، ووقع فى الأصل « والطين دقا » وهو تحريف ما أثبتناه من المقامات

(٢) اللوزينج : ضرب من الحلواء يصنع من خبز ويسقى بدهن اللوز ويحشى بالجوز واللوز

(٣) فى المقامات « وأمضى فى العروق »

(٤) ليلى العمر : يعنى أنه صنع بالليل ، ويومى النشر : أى أخرج من مصنعه بالنهار

(٥) جرد : أخرج يده من بين ثيابه ، ووقع فى الأصل « جود » محرفا

(٦) الصارة : العطش ، ويقصعها : يدفعها ويقهرها. ويفثا : يسكن ويهدىء

(٧) فى المقامات مكان هذه العبارة « فأنشدت » وهى أحسن

إعمل لرزقك كل آله   لا تقعدنّ بذل حالهْ

وانهض لكل عظيمة   فالمرء يعجز لا محالهْ

ثم شجر بينه و بين أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني ، وعلو أمره ، وقرب نجحه ، و بعد صيته ، إذ لم يكن في الحسبان والحساب أن أحداً من الأدباء والكتاب [والشعراء][1] ينبري لمباراته ، و يجتريء على مجاراته، فلما تصدى الهمذاني لمساجلته، وتعرض للتحكك به ، وجرت بينهما مكاتبات ومبادهات[2] ومناظرات ومناضلات ، وأفضى العنان إلى العنان[3] وقرع النبع بالنبع ، وغلب هذا قومٌ وذاك آخرون ، وجرى بينهما من الترجيح ما يجرى بين الخصمين المتحاكمين والقرنين المتصاولين — طار ذكر الهمذاني في الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أمارات الاقبال على أموره ، وأدرّ الله تعالى له أخلاف الرزق ، وأركبه أكتاف العز ، وأجاب الخوارزمي رحمه الله تعالى داعي ربه عز وجل، فخلا الجو للهمذاني ، وتصرفت به أحوالٌ جميلة ، وأسفار كثيرة ، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى ثمرها ، واستفاد خيرها وميرها ، ولا بقي ملك ولا أمير ، ولا رئيس ولا وزير ، إلا استمطر منه بنوْء ، وسرى معه في ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسم ، وألقى عصاه بهراة ، واتخذها دار قراره ، وجمع أسبابه ، ومازال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الأصل والفصل، والطهارة والفضل ، والقديم والحديث ، حتى وُفق للتوفيق كله ، وخار الله عز وجل له في مصاهرة أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي وهو الفاضل الكريم

---

(١) هذه الكلمة زائدة في اليتيمة .

(٢) في اليتيمة « ومباهاة » وما هنا أحسن ، والمبادهة : المغالبة ليعرف أيهما أسرع بديهة

(٣) في اليتيمة « وأفضى السنان إلى العنان » وما هنا أحسن

الأصيل الذى لايزداد اختباراً ، إلا زيد اختيارا ، فانتظمت أحوال أبى الفضل بصهره ، وتعرف القرة فى عينه والقوة فى ظهره ، واقتنى بمعونته ومشورته ضياعا فاخرة ، وأثل معيشة صالحة ومروءة ظاهرة ، وعاش عيشة راضية ، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله تعالى فلبَّاه ، وفارق دنياه ، فى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فى حادى عشرة جمادى الأخيرة ، وقيل : مات مسموما ، وقيل : عرض له داء السكتة فعجل دفنه وإنه أفاق فى قبره وسمع صوته بالليل ، وإنه نُبش فوُجد وقد قبض على لحيته من هول القبر وقد مات فقامت [عليه](١) نوادبُ الأدب ، وانثلم حد القلم . وفقدت عين الفضل قرتها ، وجبهة الدهر غرتها ، ورثته الأفاضل مع الفضائل ، وبكته المكارم مع الأكارم ، على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقى على جبهة الأيام نظمُه ونثره . والله تعالى يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه .

وأنا أذكر من طُرف ملحه ولقط غرره(٢) ماهو غذاء القلب، ونسيم العيش، وقوت النفس، ومادة الأنس، فأقول :

فصل — من رقعة للخوارزمى وهو أول ما كاتبه به : أنا لقُرْب دار الأستاذ * كما طرب النشوان مالت به الخمر * ومن الارتياح للقائه * كما انتفض العصفور بَلله القطر * ومن الامتزاج بولائه * كما التقت الصهباء والبارد العذب * ومن الابتهاج لمزاره * كما اهتز تحت البارح الغُصن الرطب *

فصل — ورد للخوارزمى كتاب يتقلبُ فيه على جنب الحرد(٣) ويتقلى على

---

(١) هذه الكلمة زيادة عن اليتيمة

(٢) فى اليتيمة « ولفظ غرره »

(٣) الحرد : النصب ، وحرد يحرد حرودا ، مثل جلس يجلس جلوسا ، وفيه لغة كضرب وأخرى كسمع .

جر الصخر ، ويذوّبه من حُمر الخجل ، ويذكر أن الخالصة قد علمت الفَلَج(١) لأبي بكر ، فقلت : ست مويش أعلم ، والأخبار المتظاهرة أعدل ، والآثار الظاهرة أصدق ، وحلبة السبق أشهد ، والعودُ إن نشط أحمد ، ومتى استزاد زدنا ، وإن عادت العقرب عدنا(٢) وهو عندي إذا شاء نكّ ما ساء ، ولن يعدم إذا أراد قدا يطير فراخه ، وقفاً يصم صماخه ، وما كنت أظنه يرتقي بنفسه إلى طلب مُساماتي بملقيه تميم الخنفس ، وأصمتها خراء بالخَردل ، فمن كان الشقاء قد استهواه ، والحين (٣) قد استغواه ، فالنفس منتظرة ، والعين ناظرة ، والنعل حاضرة ، وهو منّي على ميعد ، وأنا له بالمرصاد .

فصل — حضْرَتُه التي هي كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومشعر الكرم لا مشعر الحرم ، ومِنَى الضيف ، لا مِنَى الخيف ، وقِبلة الصِّلات ، لا قبلة الصلاة

فصل — من كتاب (٤) إلى أبيه : الشيخ لمة في العتب والسب ، وطبيعة في العنف (٥) والأسف ، فإذا أعوزه من يغضب عليه ، فأنا بين يديه ، وإذا لم

---

(١) الفلج - بفتح فسكون - الظفر والفوز والغلبة

(٢) هذا من قول الشاعر :

إن عادت العقرب عدنا لها

بالنعل ، والنعل لها حاضره

(٣) الحين - بفتح الحاء المهملة - الهلاك ، ووقع في الأصل « الجبن » بالجيم والباء ، وهو محرف عما أثبتناه .

(٤) هكذا في الأصل تبعاً لما وقع في اليتيمة ، والذى في رسائل البديع أن هذه الرسالة موجهة إلى الشيخ أبي عبدالله الحسين بن يحيى ، وهو المعقول ، فإن مستهل هذه الرسالة لا يوجه إلى والد ، ولم يعرف البديع بالعقوق . وختام الرسالة على تشبيه المرسل إليه بالوالد ، وليس على حقيقته

(٥) وقع في الأصل « وطيبة في العنف والعسف » محرفا عما أثبتناه

يجد من يصونه ، فأنا زبونه ، والولد عبد ليس له قيمة ، والظفر به عزيمة ، والوالد مولى أحسن أم أساء ، فليفعل ما شاء .

فصل — من رقعة إلى خلف : سمعت منشداً ينشد (١) :

لحى الله صعلوكاً مناه وهمه من العيش أنْ يلقى لبوساً ومَطعما

فقلت : أنا معنيّ بهذا البيت ، لأنى قاعد فى البيت ، آكل طيب الطعام ، وألبس لين الثياب ، ويفاض عليّ نزل (٢) ، ولا يفوض إلى شغل ، ويملأ لى وَطْب ، ولا يدفع بى خطب ، هذا والله عيش العجائز ، والزمن العاجز ، وماء الرأس ـ أيدك الله ! ـ كثير الخبوط ، والضيف كثير التخليط ، وصبُّ هذا الماء خيرٌ من شربه ، وبعد هذا الضيف أولى من قربه ، وكأنى بالأمير يقول ، إذا قرئت عليه هذه الفصول : الهمذانى رأى بهذه الحضرة من الإنعام ، ما لم يره فى المنام ، فكفّ عن الآثام (٣) ، وَلعله أنشأ هذا الكتاب سكران ، ضل به عادل السكر ، عن طريق الشكر ، وكأنه نسى مورده ، الذى أشبه مولده ، وإنما رفع لحنه ، حين أشبع بطنه ، واللئيم إذا جع ابتغى ، وإذا شبع طغى ، والهمذانى لو تُرِكَ بجلدته ، يرقص تحت رعدته ، ما تربع فى قصدته ، ولا تجشأ من معدته ، ولكنه حين لبس الحلة ، وركب البغلة ، وملك الخيل والخول (٤) تمنى الدول . ورأس اليتيم يحتمل الوهن ، ولا يحتمل الدهن . وظهر الشقى يحتمل (٥) عدلين من الفحم ، ولا يحتمل رطلين من الشحم ، ولولا الشعير ما نهق الحمير ،

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لعروة بن الورد

(٢) النزل : كل ما يقدم للضيف من لطائف الاكرام

(٣) فى اليتيمة بدل هذه الجملة « فكيف من الأنام »

(٤) الخول ـ بفتحتين ـ الخدم

(٥) فى اليتيمة « يحمل » فى الموضعين

ولو قميصه حلة لم يتسع بجله . وكما الكلب يزأر حين يجوع (١) ، ولا يتبع حين يشبع ، وعند تبوغ به بالرجوع .

رقعة له إلى مستميح عوده مراراً وقال له : لم لا تديم الجود بالذهب ، كما تديمه بالأدب ؟

عافاك الله ! مثل الإنسان في الإحسان كمثل الأشجار في الأثمار ، سبيله إذا أتى بالحسنة أن يرفّه إلى سنة ، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدى ، وهما فؤادى ويدى . أما الفؤاد فيعلق بالوفود ، وأما اليد فتولع بالجود ، لكن هذا الخلق النفيس ، لا يساعده الكيس ، وهذا الطبع الكريم ، ليس يحتمله الغريم ، ولا قرابة بين الذهب والأدب فلم جمعت بينهما ؟ والأدب لا يمكن ثرده فى قصعة ، ولا صرفه فى ثمن سلعة . ولى مع الأدب نادرة ، جهدت فى هذه الأيام بالطباخ ، أن يطبخ من جيمية الشماخ (٢) لوناً فلم يفعل ، وبالقصاب أن يسمع أدب الكاتب (٣) فلم يقبل . وأنشدت فى الحمام ديوان أبى تمام فلم ينفذ ودفعت إلى الحجام مقطعات اللحام فلم يأخذ ، واحتيج فى البيت إلى شىء من الزيت ، فأنشدت من شعر الكميت ألفاً ومائتى بيت فلم يغن ، ولو وقعت أرجوزة العجاج فى توابل السكباج ما عدمتها عندى ، ولكن ليست تقع ؟ فما أصنع ؟ فإن كنت تحسب اختلافك إلىّ إفضالا علىّ ، فراحتى ، أن لا تطرق ساحتى ، وفرجى ، أن لا تجيء ، والسلام .

فصل — إن هذا الدين قد تبعات : الصوم والفطام شديد ، والحج والمرام بعيد ، والصلاة والمنام لذيذ ، والزكاة والمال عزيز ، وصدق الجهاد ، والرأس

(١) هذا مأخوذ من قولهم فى مثل « جوع كلبك يتبعك »

(٢) قصيدة على حرف الجيم للشماخ بن ضرار الغطفانى

(٣) كتاب لابن قتيبة يعده مشايخ ابن خلدون من أصول كتب الأدب وأمهاتها ، والكثير أن اسمه « أدب الكاتب »

ز" ينبت بعد الحصاد ، والصبر الحامض ، والعلف اليابس ، والجد الخشن ، والصدق المرّ ، والحق الثقيل ، والكظم وفى القمة العظم .

رقعة — ياشبر ، ما هذا الكبر ؟ ويا فتر ما هذا الستر ؟ ويا قرد ماهذا الورد ، ويا يأجوج ، ماهذا الخروج [١] ويا قاع بكم تباع ؟ ويا فراغى ، متى تراكى ، ويالقمة الجعل ، نحن ببابك ، ويا بيضة البقيلة من لنا بك ! ويا دبه ، ويا حبه ، ويا من فوق المكبه ، ويا من قرنه المذبه ، ويا من خلفه المسبه ، ويادمل ما أوجعك ، ويا قمل لنا حديث معك ، إن رؤيت أوذيت ، السلام .

فصل — أعجوبه ولكنها محبوبه [٣] حين تصلى على النبى تنشاط [٤] ، وتنزل عن قيراط ، ياهى صبراً ياخبيث ، إليك يساق الحديث ، إن عشنا وعشت رأيت الأمان تركب الطحان ، روح ولا جسد ، وصوت ولا أحد . والعود أحق ، ومتى فرزنت يا بيدق [٥] يا أسخف من نافد على راقد . وشرّ دهرك آخره . أيا عجبا أيلد الأغرّ البهيم ، وولد آزر إبراهيم :

يا أيها العامُ الذى قدْ رابنى   أنتَ الفداء لذكر عام أوّلاً

وما أفدّى العام ، لكن الأنعام ، ولا أشكو الأيام [٦] ولكن اللئام ، علم أول عدنان . والعام هذا العريان [٧] لنا فى كل أوان أمير يملأ بطنه والجلد

---

(١) فى اليتيمة « ويايأجوج ، متى الخروج ؟ »
(٢) فى اليتيمة « ويا من قربه المذبة » وما هنا أحسن
(٣) فى اليتيمة « ولكنها محجوبة »
(٤) فى الأصل « تنساط » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٥) فى الأصل «فرزندت» محرفا ، والفرز والبيدق : قطعتان فى لعبة الشطرنج
(٦) فى اليتيمة والوسائل « ولا أشكو الأنام »
(٧) فى اليتيمة والرسائل « والعام هذا القرنان »

جائع ، ويحفظ منه والعرض ضائع .

تبدلت الأشياء حتى خلتها
ستبدى غروب الشمس من حيثُ تطلعُ

كانت السيدة فى المطابخ ، فصارت فى المباطخ . أشهد لئن كثرت مزارعكم لقد قلت مشارعكم ، ولئن سمنت أقفيتكم ، لقد أمحلت أفنيتكم :

رأيتكمْ لايصون العرض جارُكمُ ولا يَدِرُّ عَلَى مرعاكم اللبنُ

فصلٌ — من كتاب إلى ابن فارس : نعم أيد الله تعالى الشيخ ، إنه الحمأ المسنون ، و إن ظنت الظنون ، والناس ينسبون لآدم، و إن كان العهد قد تقادم، وتركبت الأضداد[1] واختلط الميلاد . والشيخ يقول : قد فسد الزمان . أفلا يقول : متى كان صالحا ؟ أفى الدولة العباسية ؟ فقد رأينا آخرها وسمعنا بأوّلها ! . أم فى المدة المرْوانية وفى أخبارها :

* لاَ تكْسعِ الشوْلَ بأغبَارِهَا *

أم السنين الحَرْبية[2] :

والسيفُ يغمدُ فى الطُّلَى والرُّمحُ يركزُ فى الكلى
ومَبيتُ حَجرٍ فى الفلاَ والحرْتانِ وَكرْبَلاَ

أم البيعة الهاشمية[3] [وعلى يقول : ليت][4] العشرة [منكم برأس

---

(١) فى الرسائل واليتيمة « وارتبكت الأضداد »

(٢) يريد بالسنين الحربية المدة التى تبدأ بحكم معاوية بن أبى سفيان لأن جده حرب بن أمية

(٣) يريد بالبيعة الهاشمية أيام ولاية على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

(٤) الزيادة عن الرسائل ، ولا يتم الكلام إلا بها

من بنى فراس ، أم الأيام الأموية[١] والنفير إلى الحجاز ، والعيون إلى الأعجاز أم الإمارة العَـدوية [٢] ، وصاحبها يقول : وهل بعد البزول إلا النزول ؟ أم الخلافية التَّيْمِية[٣] ، وصاحبها يقول : طوبى لمن مات فى نأنأة الاسلام . أم على عهد الرسالة و يوم الفتح قيل: اسكتى يافلانة فقد ذهبت الأمانه ؟ أم فى الجاهلية وَلبيد يقول [من الكامل] :

ذَهَبَ الذينَ يُعَاشُ فى أكنافهمْ وَبقيتُ فى خلف كجلد الأجرَبِ

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول [من الطويل] :

بِلادٌ بها كنا وكنا نحبها إذ الناسُ ناسٌ وَالزمان زمانُ

أم قبل ذلك و يروى عن آدم عليه السلام :

* تغيرَت البلادُ ومن عليها *

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة (أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدماء) ما فسد الناس ، إنما اطرد القياس ، ولا أظلمت الأيام، إنما امتد الظلام، وهل يفسدُ الشىء إلا عن صلاح ، ويمسى المرء إلا عن صباح

ومنه — اثنان قلما يجتمعان : الخراسانية والانسانية [وأنا] و إن لم أكن خراسانى الطينة ، فأنى خراسانى المدينة ، والمرء من حيث يوجد ، لامن حيث يولد ، والانسان من حيث يثبُت ، لامن حيث ينبُت ، فاذا انضافت إلى خُرَاسان ولادة همذان ارتفع القلم وسقط التكليف، فالجُرْحُ [٤] جبَاروالجانى جِمَار،

---

(١) الأيام الأموية : عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه لأنه من بنى أمية

(٢) الامارة العدوية :عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنه من بنى عدى.

(٣) الخلافة التيمية. أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأنه من بنى تيم

(٤) هذا من قوله عليه الصلاة والسلام « جرح العجماء جبـار » وجبار [illegible] أى [illegible] لا ضمان فيه ولا عقوبة ، والعجماء : الدواب،

حلّت عزاليها السّما ء فعادت البيداء نزّا
وكأن أمطار الربيع إلى ندى كفّيك تعزى

وله من أخرى [من الكامل] :

خرج الأميرُ ومن وراء ركابه غيرى ، وعز علىّ أن لم أخرجِ
أصبحت لا أدرى أأدعو طامشى أم يكتنكينى أم أصيح بترعجى
و بقيت لا أدرى أأركبُ أرشى أم أدهمى أم أشهبى أم دبرجى
ياسيد الأمراء مالى خيمةٌ إلا السّماء إلى ذراها ألتجى
كَتِفى بعيرى إن ظعنت ومفرشى كمّى وجنحُ الليل مطرحُ هودجى

وله من قصيده فى أبى عامر بن عدنان [من الكامل] :

ليلُ الصبا ونهارُهُ سكرانَ حدثان لم يعركهما حدثانُ
يا زفرةً لى لا يكاد أزيزُها يسعُ الضلوعَ إليك يا همذانُ
قسما لقد فقدَ العراق بى امرأ ليست تجود .برده البلدانُ
يادهر إن تك لا محالة مزعجى عن خصلتى ولكل دهرٍ شانُ(١)
فاعمد براحلتى هراةَ فانها عدنٌ وإن رئيسها عدنانُ(٢)

وله من قصيدة فى الأمير أبى على وهو بمرو [من البسيط] :

علىّ أن لا أريحَ العيسَ والقتبا وألبس البيضَ والظلماء واليلبا (٣)
وأتركُ الخودَ معسولا مقبّلها وأهجرُ الكأس تقذو شربها طربا (٤)
حسبى الفلا مجلسا والبومُ مطربةً والسّيرُ يسكرُنى من مسّه تعبا

ومنها :

(١) فى الديوان (٨١) «عن خطتى »
(٢) فى الديوان « وأنت رئيسها عدنان »
(٣) فى اليتيمة « وألبس البيد »
(٤) فى الأصل : « يدق شربها طربا » وأثبتنا ما فى الديوان

وطفلةٌ كقضيب البان منعطفًا إذا مَشت وهلال الشهر منتقبا
تظلُّ تنثرُ من أجفانها حببًا دُرًّا، وتنظمُ من أسنانها حببًا(١)
قالتْ وقد علقتْ ذيلي تودّعني والوجدُ يخنقها بالدّمع منسكبا
لا درَّ درُّ المعالي لا يزالُ بها برقٌ يسوقكَ لاهونًا ولا كثبًا(٢)
يا مشرعًا المنى عذبًا موارده بيناهُ مبتسمُ الأرجاءِ إذ نضبا
أطلعتَ لي قمرًا سعدًا منازلهُ حتى إذا قلتُ يجلو ظلمتي غربا
كنتَ الشبيبةَ أبهى ما دَجتْ دَرجتْ وكنتَ كالورْدِ أذكى ما أتى ذهبا
أستودعُ الله عينًا تنتحي دفعًا حتى تؤوبَ وقلبا يرتمي لهبا
وظاعنًا أخذتْ منهُ النوى وطرًا من قبل يقضي الهوى من حكمه أربا
غضِّي عليكِ قناعَ الصبرِ إنَّ لنا إليكِ أوبة مشتاقٍ ومنقلبا

ومنها:

أبىَ المقامَ بدار الذلِّ لي كرمٌ وهمةٌ تصلُ التخويدَ والخببا (٣)
وعزمة لا تزالُ الدهرَ ضاربةً دون الأمير وفوقَ المشترى طُنُبا

ومنها:

---

(١) في اليتيمة وقع المصراع الأول من هذا البيت * تظل تنثر من أجفانها دررا *
(٢) في اليتيمة والديوان « برق يشوقك »
(٣) في اليتيمة * وهمة تصل التوخيد والخببا * وكلا اللفظين له وجه ولكن ما هنا أدق ، والتخويد : سرعة السير ، وقيل : سرعة سير البعير خاصة . ويقال : خود البعير - بتشديد الواو - إذا أسرع وزج بقوائمه . والوخد - بفتح فسكون - ضرب من سير الابل، وسعة الخطو في المشي ، وفعله وخد يخد وخدا ، مثل وعد يعد وعدا ، ولم أجد المضعف من هذا الفعل في مراجع اللغة التي بين يدى .

يا سيدَ الأمراءِ وخيرَ ملكٍ   لا تنسَ مثلاً واشهدَنْ بهِ(١)

يا منْ نراهُ معوذَ الأرضِ فوقهمُ   كما يرونَ على أبراجها الشهُبا

لا تكذبنْ فخيرُ القولِ أصدقهُ   ولا تبِينَنْ في منطقِ العرَبا

فما السموألُ عهداً وخبيبُ قِرَى

ولا ابن سعدَى ندَى والشَّنْفَرَى غلبا

منَ الأميرِ بعشارٍ إذا اقتسموا   مآثرَ المجد فيما أسلفوا نهبا

ولا ابنُ حجرٍ ولاذبيان يعشرنى   والمازنىُّ ولا القيسىُّ منتدبا(٢)

هذا لركبتهِ ، أوْ ذا لرهبتهِ   أوْ ذا لرغبتهِ ، أوْ ذا إذا طربا

والقصيدة كلها غرر ، وتقدم شيء منها فى شواهد التفريق .

وله من قصيدة أخرى ميكالية [من مجزوء الرمل] :

اذهب الكأس فعرف الـــفجر قدْ كادَ يلوحُ

وَهْو للناس صباحٌ   ولذى الرَّأى صبوحُ

لا يغـرَّنك جسمٌ   صادقُ الحسنِ ورُوحُ

إنمـا نحنُ إلى الآ   جال نغـدو ونروحُ

بينما أنتَ صحيحُ الجسمِ إذ أنتَ طـريحُ

فاسقنيها مثلَ ما يلفظهُ الدِّيكُ الذبيحُ

وله من أخرى ، فى الملك المعظم ، يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، [من الهزج] :

تعـالى الله ما شاء   وزَادَ اللهُ إيمـانى

---

(١) فى اليتيمة « ولا ملك » وفى الديوان (ه) مثل ماهنا

(٢) فى الأصل « يعثرنى » وأثبتنا مافى الديوان

أإفريدون فى التاج ... أم الاسكندر الثانى
أم الرجعة قدْ عادتْ ... إلينا بسليمان
أظلتْ شمسُ محمودٍ ... على أنجم سامان
وأمسى آل بهرامٍ ... عبيداً لابن خاقان
إذا ما ركب الفيلَ ... لحربٍ أوْ لميدان
رأتْ عيناك سلطاناً ... على منكب شيطان

وله من قصيدة فى جماعة من العمال حبسوا [من المنسرح] :

مالى أرى الحرَّ ذاهباً دَمُهُ ... ولا أرى النذل ذاهباً ذهبهْ
أراحنا الله منك يا زمنا ... أرْعَنَ يصطادُ صقرَهُ خرَبُهْ
يا ساغبا جائع الجوارح لا ... يسكن إلا بفاضل سَغَبهْ
يا ضَرَماً فى الأنام متقداً ... والجودْ والمجدُ والنُّهى حَطَبُهْ
يا خاطباسا كتا وليس سوى ... نعى فتىً أوْ فتوَّةٍ خُطَبُهْ
يا صائداً والعلى فَرِيستهُ ... وناهباً وَالجمالُ منتهبهْ
يا سادتى لا تَلِنْ عظامكُمْ ... لعضة الدَّهرِ إنْ يهج كَلَبُهْ(١)
فالدَّهرُ لونان لا يدومُ على ... حالٍ ، سريعٌ بالناس مُنقلَبُهْ
أنىَّ بشرٍّ لم نرْتقبهُ كنا ... يأتى بخيرٍ وليس نَرْتقبهْ(٢)

ومحاسنه كثيرة ، وقد أوردنا منها ما فيه مقنع ، رحمه الله !

***

(١) فى الأصل « لا تكن عظامكم » وفى اليتيمة « كعضة الدهر » محرفا عما هنا

(٢) فى اليتيمة « وليس نحتسبه » ، وفى الديوان « أتى بخير » ، وفيه « يأتى بشر وليس نحتسبه »

شاهد الاستتباع

١٥١ — نَهَبْتَ من الأعمار ما لَوْ حَوَيْتَهُ
لَهُنِّئَتِ الدُّنيا بأنَّكَ خالدُ

البيت لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من الطويل (١) ، تقدَّم ذكر مطلعها ، وطرف منها فى شواهد المقدمة ، ومنها قبل البيت :

أخُو غزَوات ٍ لا تغبُّ سيوفهُ رقابهمُ إلاَّ وسيحانُ جامدُ (٢)

فلم يبق إلا مَنْ حماها من الظبا لمى شفتيها والثدىُ النواهدُ (٣)

تبكى عليهنَّ البطاريقُ فى الدُّجى وهنَّ لدينا مُلْقَيَاتٌ كواسدُ

بذا قضت الأيامُ ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

ومنْ شرف الاقدام أنكَ فيهمُ على القتل مومو قٌ كأنك شاكدُ (٤)

وأنَّ دما أجريتهُ بك فاخرٌ وأنَّ فؤاداً رُعْتَهُ لك حامدُ

وكلٌّ يرى طُرْقَ الشجاعة والندى ولكنَّ طبع النفس للنفس قائدُ

و بعده البيت ، و بعده :

فأنتَ حسامُ الملك والله ضاربٌ وأنتَ لواء الدِّين والله عاقدُ

والشاهد فيه : الاستتباع ، وهو : المدح بشىء يستتبع المدح بشىء على

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ — ٢٦٨)

(٢) فى الديوان «ما تغب سيوفه» يريد أن غزوات الممدوح — وهو سيف الدولة — لا تنقطع عن أعدائه إلا فى زمن الشتاء ، تقول : غب وأغب ، إذا تأخر . وعبر عن الشتاء بجمود الماء فى نهر سيحان

(٣) اللمى : سمرة الشفة . وهو فاعل حماها . يريد أن القتل أجهز عليهم حتى إنه لم يبق منهم إلا النساء اللاتى حماهن حسنهن البارع من القتل

(٤) موموق : محبوب ، والشاكد : المعطى

وجه آخر، فانه وصفه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا، حيث جعلها مهنأة بخلوده، وفيه وجهان آخران: أحدهما: أنه نهب الأعمار دون الأموال، وهذا ينبيء بعلو الهمة، كما قال الشاعر [من البسيط]:

إنَّ الأسودَ أسودَ الغاب همتها يومَ الكريهة في المسلوب لا السلبِ

والثاني: أنه لم يكن ظالما في قتلهم، إذ لو كان كذلك لما كان لأهل الدنيا سرور بخلوده، ومثله قول المتنبي في سيف الدولة [من الطويل]:

إلى كم تردُّ الرسلَ عما أتوا بهِ كأنهمُ فيما وهبتَ ملَامُ

فانه مدحه بالشجاعة والعز في رد الرسل عما أتوا به، وصدِّهم عن مطلوبهم، والتهاونِ بمرسلهمْ، واستتبع في باقي البيتِ مدحه بالكرَم، لعصيان الملام في الهبات.

وعجيب هنا: قول أبي بكر الخوارزمي، المستشهد به في التفريع، وهو [من الكامل]:

سمحُ البديهة ليس يملكُ لفظهُ فكأنما ألفاظهُ من مالهِ

فانه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم.

ومن شواهده قول بعض العراقيين يهجو بعض القضاة، وقد شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته [من مجزوء الرمل]:

إنَّ قاضينا لأعمى أم تراهُ يتعامى
سرقَ العيدَ كأن العيدَ أموالُ اليتامى

ورأيت في اليتيمة هذين البيتين منسوبين للصاحب بن عباد، وذكر معهما بيتين آخرين في معناهما، وإن لم يكونا مما نحن فيه، وهما [من المجتث]:

يا قاضياً باتَ أعمى عندَ الهلال البعيدِ
أفطرْتَ في رمضان وصمت في يوم عيد

ومن الاستتباع قول زكى الدين بن أبى الأصبع [من الطويل]:

تخيلَ أنّ القِرْنَ وافاهُ سائلاً فقابَلَهُ طَلْقَ الأسرّة ذا بِشْرِ
ونادى فِرِندَ السيفِ دُونكَ نحره فأحسنُ ما تُهدَى اللآلى إلى النحر

وقد أخذ ابن نباتة المصرى نكتة النحر فقال [من الطويل]:

تَهنأ بعيدِ النَّحر وابق مُمتَّعاً بأمثاله سامى العُلا نافذ الأمر
تُقلِّدُنا فيه قلائِدَ أنعم وأحسنُ ما تبدُو القلائِدُ فى النحر

***

شاهد الادماج ١٥٢ – أُقلِّبُ فِيهِ أجفَانى كأنِّى أعدُّ بها عَلى الدَّهرِ الذُّنوبا

البيت لأبى الطيب المتنبى من قصيدة من الوافر (١) يمدح بها على بن [محمد بن] (٢) سيار بن مكرم التميمى ، أولها :

ضروبُ الناس عُشّاقٌ ضُرُوبا فأعذرُهم أشفُّهم حبيبًا (٣)
وما سَكنى سِوَى قتلِ الأعادِى فهلْ مِنْ زَوْرَةٍ تشفى القلوبا
تظلُّ الطيرُ مِنْها فى حَدِيثٍ تَرُدُّ به الصَّرَاصرَ والنعيبا (٤)
وقد لبستْ دِماؤُهُمُ عَليهمْ حِدَاداً لم تشقَّ لها جُيوبا
أدَمنا طعنَهمْ والقتلَ حتى خَلطنَا فى عِظامِهِمُ الكعُوبا

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ – ١٣٧)
(٢) الزيادة عن شرح العكبرى للديوان
(٣) أشفهم حبيبا : أراد أفضلهم حبيبا
(٤) الصراصر : جمع صرصرة ، وهى صوت النسر والبازى وغيرهما . والنعيب : صوت الغراب

كأنْ خيولَنا كانتْ قديماً ... تُسَقَّى فى قحوفهمُ الحليبَا
فمرَّتْ غيرَ نافرةٍ عليهمْ ... تدوس بنا الجماجم والتريبا(١)

إلى أن قال فى وصف الليل :

أعَزْمى طالَ هذا الليل فانظرْ ... أمنكَ الصبحِ يَفرَق أن يؤوبا(٢)
كأنَّ الفجْر حِبٌّ مستزارٌ ... يراعى مِنْ دُجُنَّته رقيبَا
كأنْ نجومَه حَلْىٌ عليْه ... وقدْ حذيتْ قوائمه الجبوبا(٣)
كأنَّ الجوَّ قاسَى ما أقاسى ... فصارَ سوادُه فيه شحوبا
كأنْ دجاه يجذبها سهادى ... فليْسَ تغيب إلاَّ أنْ يَغيبَا

و بعده البيت ، و بعده :

وما ليلٌ بأطْوَل مِنْ نهار ... يَظلُّ بلحظِ حسَّادى مريبَا(٤)
وما موْتٌ بأبغَضَ من حياة ... أرى لهُمُ معى فيها نَصيبا
عرفت نوائبَ الحدثان حتى ... لو انتسبتْ لكنت لَها نقيبا

وهى طويلة

وقريب من معنى البيت قول القاضى الفاضل [من الطويل] :

وقدْ خفقتْ راياته فكأنها ... أناملُ فى عُمر العدُوِّ تحاسِبُهْ

---

(١) التريب كالتريبة : واحدة الترائب ، وهى موضع القلادة من العنق

(٢) فى الأصل « يفرق أم يؤوبا » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، وهو الصواب ، و «أن يؤوبا» منصوب على نزع الخافض ، والأصل من أن يؤوب ويفرق : يخاف . ويؤوب : يرجع

(٣) الجبوب ـ بفتح الجيم ـ وجه الأرض

(٤) فى الديوان « يظل بلحظ حسادى مشوبا »

ويضارعه أيضاً قول ابن سناء الملك يرثى [من الكامل] :

أوسعت فيه الدهرَ عتباً مؤلماً   فأجابنى بالبهتِ والبُهتان(١)

قلبى يحاسبهُ على إجرامه   ويعدُّها بأنامل الخفقان

وقول عكاشة بن عبد الصمد القمى فى وصف عوّادة [من الكامل] :

وكأنَّ يمناها إذا نطقت به   تلقى على يدها الشمال حسابا

وقوله أيضا [من الطويل] :

إذا ماحكت بالعود رجعَ لسانها   رأيتَ لسان العودِ عن كفها يُملِى

وقول ابن قلاقس [من الطويل] :

كأنَّ دموعى إذ تكاثرَ وقعها   تعدُّ على الدُّنيا بهنَّ المساويا

ولطيفٌ قول ابن الخيمى فى سبحة [من السريع] :

وسُبْحةٍ مسوَدةٍ لونها   يحكى سوادالقلب والناظرِ

كأننى وقتَ اشتغالى بها   أعـدُّ أيامكَ ياهاجرى

والشاهد فيه : الادماج ، وهو : أن يضمَّن كلاما سيق لمعنى ـ مدحاً كان أو غيره ـ معنى آخر ، فهنا ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر

مثل من الادماج

ومنه قول عبدالله بن عبدالله بن طاهر لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان عبد الله قد اختلَّت حاله فكتب إلى ابن سليمان يقول [من الطويل] :

أبى دهرُنا إسعافَنا فى نفوسنا   وأسعفَنا فيمنْ نحِبُّ ونكرم

فقلتُ له نُعماكَ فيهم أتمَّها   ودعْ أمرْنا إن المهمَّ المقدَّمُ

(١) فى الأصل « أوسعت الدهر فيه » ولا يستقيم به وزن البيت

ففطن ابنُ سليمان لمراده ووصله واستعمله . وقول الصاحب بن عباد يمدح الوزير أبا الفضل بن العميد [من الخفيف] :

إن خيرَ المدّاح مَنْ مَدَحَتْهُ شُعراءُ البلادِ فى كلِّ نادى

فأدمج الافتخار فى أثناء المدح، وإنما أَلَمّ به من قول يزيد بن محمد المهلبىّ لابن مدبر حيث قال [من الخفيف] :

إن أَكُنْ مهديا لكَ الشِّعْر إنى لَابْنُ بيتٍ تهدَى له الأشعار

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى [من الطويل] :

فخراً بشعر من فتى كانَ أهلُه يهادِيهمُ بالشِّعْر من كان يَشْعر

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

ولا زال كل رفيع الذّرى يَصوغ الجواهر فى المدْح لك

ومنه قول ابن المعتز فى وصف الخيرى [من المنسرح] :

قدْ نفَضَ العاشقُونَ ماصنعَ الْهَجْرُ بألوانهمْ على وَرَقِهْ

وقول ابن نُباتة السعدى [من الطويل] :

ولا بُدّلى من جَهْلَةٍ فى وصاله فَهلْ مِنْ حليمٍ أودِعُ الحلْمِ عِنْدَه

وقول وجيه الدولة فيه [من البسيط] :

أفْدِى الذِى زارَنى بالسّيْفِ مُشْتَمِلاً ولحَظُ عَيْنَيه أمْضى مِنْ مَضاربِهِ

فماخلَعْتُ نجَاداً فى العِنَاق له حتى لَبِستُ وشاحاً من ذَوَائبهِ

وَباتَ أسْعَدُنا حظًّا بِصَاحبِهِ مَنْ كان فى الحُبِّ أشْقَانا بِصاحبِهِ

وقول العفيف التلمسانى [من الخفيف] :

وأعِدْلى حديثَهُ فلسَمْعى فرْطُ وجْدٍ باللؤلُو المنثُور

ثم صِفْ لى ذؤَابةمنه طالت ودجَتْ فهْىَ ليلة المَهْجُور

وقول بعض الأندلسيين [من الوافر] :

فيتهنك لا رضيتَ بذا ، لأنى جعلت وحقك القسم الجليلا

* * *

١٥٣ — * لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءْ *

شاهد التوجيه

قيل : إن قائله بشار[1] بن برد ، وهو من الرمل ، وقبله :

* خاطَ لى عَمرٌو قَبَاء *

وبعده :

قلتُ شعراً لَيْسَ يُدْرى أمَدِيح أمْ هجاء[2]

يروى أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه عمرو أو زيد كما فى تحرير التحبير فقال له الخياط على سبيل العبث به : سآتيك به لا تدرى أهو قباء أم دواج ، فقال له : إن فعلت ذلك لأنظمن فيك بيتا لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم عليك ، ففصل الخياط ، فقال هذا البيت

ومثله ماحكاه ميمون بن هارون قال: تقدم جعيفران الموسوس[3] إلى يوسف الأعور القاضى بسر من رأى فى حكومة فى شىء كان فى يده من وقف له ، فدفعه عنه وقضى عليه ، فقال له : أرانى الله أيها القاضى عينيك سواء ، فأمسك عنه ، وأمر برده إلى داره ، فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم ، ثم دعا به فقال له : ماذا

---

(١) انظر خزانة الأدب لابن حجة الحموى (١٦٩ بولاق) فقد حكي عن ابن أبى الأصبع حكاية ينسب البيتان فيها إلى شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع

(٢) الذى أحفظه فى رواية هذا البيت :

قل لمن يعرف هذا أمديح أم هجاء

(٣) فى الأصل « جعيفر بن الموسوس » محرفا عما أثبتناه .

أردت بدعائك أردت أن يرد الله علىّ من بصرى ماذهب ؟ فقال له : والله لئن كنت وهبت لى هذه الدراهم لأستحيي منك إنك لأنت المجنون ، لا أنا ، أخبرنى كم من أعور رأيته عمى ؟ قال : كثير ، قال : فهل رأيت أعور صح قط ؟ قال : لا ، قال : فكيف توهمت على الغلط ؟ فضحك منه وصرفه

والشاهد فى البيت التوجيه : وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين ، فهنا يحتمل تمنى العوراء صحيحة وعكسه

أمثلة من التوجيه

ومن شواهده قولُ الشاعر فى الحسن بن سهل حين تزوج المأمون بابنته بوران [من مجزوء الخفيف] :

بارَكَ الله للحسَنْ ... و لبُوارن فى الختن

ياابْنَ هارون قدْ ظفر ... تَ ولكن ببنت مَنْ

فلم يعلم ما أراد بقوله « ببنت من » فى الرفعة أو فى الحقارة

ومنه أيضاً قول ابن هانىء الأندلسى [من الكامل] :

لا يأ كُل السِّرحان شِلْوَ طعينهِمْ ... مِمَّا عليهِ من القَنا المتكسِّرِ

فإنه يحتمل المدح ويكون المقتول منهم والرماح المتكسرة رماح أعدائهم ، ويحتمل الذم ويكون المقتول من أعدائهم والرماح لهم

ومنه أيضا قول المتنبى فى كافور الاخشيدى [من الطويل] :

ولله سِرٌّ فى عُلاك وإنما ... كلامُ العِدَا ضربٌ من الهَذيان

ومن محاسن التوجيه قول الوداعى [من البسيط] :

مَنْ أمَّ بابكَ لم تبرحْ جوَارحهُ ... تَرْوى أحاديث ما أوليتَ من مِنَن

فالعينُ عَنْ قُرّةٍ والكفُّ عن صلَةٍ ... والقلبُ عَنْ جابر والسَّمْعُ عن حسَن

فان هذا البيت يصدق على المعنى الواحد ، وهو أسماء الأعلام من رواة

الحديث ، وعلى المعنى الآخر ، وهو المناسبة بين العين والقرة ، والكف والصلة ، والقلب والجبر ، والسمع والحسن

وقول السراج الوراق [من الوافر] :

يخافُ التبرُ سَطوَةَ راحتيهِ ولونُ الخائفِ المُرتاعِ أصفَرْ
يُقصِّر آلَ بَرْمكَ عنْ نداهُ فنعماهم لدَى نُعماهُ تُكفَرْ
له فضلٌ لنا منه رَبيعٌ وبحر نَدًى ولا أرضى بجعفرْ[1]

وقول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

خليليَّ كم رَوض نزلت فناءه وفيه ربيعٌ للنزيل وجعفر
وفارقته والطير صافرة به وكم مثلها فارقتها وهى تصفر[2]

ومثله قول القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر يصف نهرا صافيا ، فى روض نزيه [من الطويل] :

إذا فاخرته الريح ولت عليلةً بأذيال كثبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا به الروض يحيى وهو لاشك جعفر

ومثله قول مؤلفه ، وهو مما كتب به على تربة بجوار قبر الامام الشافعى ، رضى الله عنه وأرضاه ! وهو [من الوافر] :

بأبواب الكرام وضعت رحلى لكى يَرْوَى بفيض الجود مَحْلِي
ومن أضحى نزيل المجد يحيى بجعفر فضله السامى المحلّ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

---

(١) الجعفر : النهر الصغير ، وجعفر : اسم علم من أعلام البرامكة
(٢) النصف الثانى من هذا البيت من كلام تأبط شرا ، والبيت بتمامه :
فأبت الى فهم وما كدت آئبا وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

وهو بحرٌ لا يقاس بفضله [أتى](١) ربيع، وكم يحيى إذا جاء جعفر

وقول عمر بن الوردى رحمه الله تعالى [من السريع] :

هويت أعرابيـة رِيقُها عذب، ولى فيه عذاب مذاب

رأسى بها شيبان، والطَّرْف من نبْهان، والعذال فيها كلاب(٢)

ومنه قول ابن النقيب أيضا يهجو [من الطويل] :

أرح ناظرى من عابس الوجه يابس له خُلُقٌ صعب ووجه مُقَطَّب

أقول له إذ أيأستنى صفاته وإن قيل إنى فى المطامع أشعب

متى يظفر الآتى إليك بسؤله وينجح من مسعاه قصد ومطلب

ولؤمك سيار وشرك ياسر ووجهك عباس وخلقك مصعب

ومما جاء فى التوجيه فى قواعد العلوم قول القاضى شرف الدين المقدسى، فى شىء من قواعد الفقه وتلطف ماشاء [من السريع] :

احجج إلى الزهر لتحظى به وارم جمار الهم مستنفرا

من لم يطف بالزهر فى وقفة(٣) من قبل أن يحلق قد قصرا

ومنه فى الحديث قول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

قالت أعندك من أهل الهوى حبر فقلت إنى بذاك العلم معروف

---

(١) سقطت هذه الكلمة من كافة الأصول.

(٢) فى خزانة ابن حجة (١٧٣) « رأسى بنو شيبان ». وشيبان ونبهان وكلاب : أعلام قبائل من العرب، وشيبان : يحتمل الوصف من الشيب. ونبهان : يحتمل الوصف من التنبه الذى هو اليقظة. وكلاب : يحتمل أن يكون جمع كلب

(٣) فى الأصل « من لم يطف بالزهر فى وقته » وما أثبتناه موافق لما فى خزانة ابن حجة، وهو من تمام التوجيه المقصود إليه فى البيت

مسلسل الدمع من عينىّ مرسله على مُدَبَّجِ ذاك الخد موقوف (١)

وقوله أيضا [من الخفيف] :

عارضوا مرسل الظلام بنقل مُسْنَدٍ عن حسان تلك الفروع

عنلوا فى رواية الحب جفنى مع جرح الدموع عند الهموع

عنعنوا نقل لوعتى عن دموعى عن جفونى عن قلبى الموجوعِ

ومن التوجيه فى أسماء السور قول السراج الوراق [من الخفيف] :

كلُّ قلبٍ علىَّ كالصخر مالا نَ وهيهاتَ أن تلينَ الصخورُ

مُغلق الباب ما تلا سورة الفتح ، وقافٌ من دونه والطورُ

وقول أبى الحسين الجزار [من الكامل] :

أشكو لعدلك جور دهر جائرٍ فضلتْ به فُضَلَاءهُ الجهالُ

مُنِعت به عقلاؤه إذ قُسِّمَتْ بالجور فى أنمامه الأنفالُ

وقول المولى الفاضل على بن مليك [من الطويل] :

ألا يابنى الروم القتال فدونكم فأنا تدرّعنا الحديد إلى الحشر

ولا زالَ آيَ الفتح تتلو رماحنا وأسيافنا تتلو بها سورة النصر

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات [من الطويل] :

وزلزلةٍ كادت تهدُّ بعزمها أقاليم لا يبقى لها أبداً أثرُ

وواقعةٍ قد صارَ منها تغابنٌ على الروم لا تنفك أو يحصل الحشر

لقد سمعوا وقع الحديد فلا ترى لهم همة نحو القتال ولا كرُّ

---

(١) فى خزانة ابن حجة « مسلسل الدمع من عينى ومرسله » وهو أحسن، و« عينى » فيه مفرد ، وهو فيما هنا مثنى

وله أيضا فى وقعة مصر [من الكامل] :

فسموعهم فى الذاريات وروحهم ... فى النازعات وكربهم لا يقدر
لا مقلا يلقونه كلا ، ولا ... كهف ولولجأوا لقاف لأحصروا
شمس السعادة عنهم قد كورت ... وعلى قدرهم غدا يتقهقر
والملك طلقهم طلاقاً بائنا ... ما دام عصر فى الورى يتكرر
لما أبوا تحريم ما قد سنه ... وأتى به المزمل المدثر

ومنه فى أسماء القراء قول السراج الوراق [من الخفيف] :

يا جواداً له القرى والقراءا ... ت وفيه من كل نفع وخير
إن مددت العطاء مدة ورش ... ليس هذا على بالمقصور
دمت لى نافعاً كما أنا راج ... عاصماً لى من فجأة المحذور

ومن التوجيه فى النحو قول أمين الدين على السليمانى [من الطويل] :

أضيف الدجى معنىً إلى لون شعره ... فطال ، ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت ... على شرطها فعل الجفون من الكسر

وكان بالعراق عاملان : أحدهما : اسمه عمر (١) ، والآخر اسمه أحمد ، فعزل عمر عن ولايته ، واستقر مكانه أحمد بمال وزنه ، فقال فيه بعض الشعراء [من الوافر] :

أيا عمر استعد لغير هذا ... فأحمد فى الولاية مطمئن
فتصدق فيك معرفة وعدل ... وأحمد فيه معرفة ووزن

(١) فى الأصل « عمرو » فى الموضعين وهو تحريف ، ويؤيده ما ذكر فى الشعر ، فان الذى فيه المعرفة والعدل من موانع الصرف هو « عمر »

ومثله قول كمال الدين الشريشي فى قاض عزل اسمه أحمد [من السريع] :

يا أحمد الرازىّ قمْ صاغراً عزلت عن أحكامكَ المسرفهْ

مافيكَ إلاالوزنُ، والوزْن لا يمنعكَ الصَّرْف بلا معرفهْ

ومثله قول ابن عنين ، فيمن عزل عن وظيفته وكانت سيرته غير مشكورة [من المتقارب] :

شكا ابن المؤيد من عزله وذمَّ الزمان وأبدى السفه

فقلت له لا تذمَّ الزما نَ فتظلم أيامه المنصفه

ولاتغضبنّ إذا ما صُرِفْتَ فلا عَدْلَ فيك ولا معرفه

وقول بدر الدين الأسعردى فى بعض مدرسى العجم [من الطويل] :

يقولون إن المجد بالقصف مولعٌ فقلت لهم ما اعتاد شيئا سوى القصف

فقالوا أما علماً ولفظا بمجلسٍ فَلِمْ مَنَعُوا عن صرفه راغم الأنف

فقلت لتأنيث به ولعجمةٍ فقالوا لقد تُلْجِي الضرورات للصرف

ولا بدّ من تقطيعه عند قبضه فقد زاد بسط الكف فى جهة الوقف

ورشيق قول شرف الدين بن ريان [من البسيط] :

أتيت جانة خمار وصاحبها محارف متقن للنحو ذو لَسَن

وحوله كل هيفاء منعمة وكل علق رشيق أهيف حسن

فقال لى إذ رأى عيني قد انصرفت إلى البناء كلام الحاذق الفطن

أنث وركب وَصف واعدل بمعرفة واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل]

خط ولاحظ، وشعر ماله سعر، أأنثر فيهما أم أنظم

كم جهدا أرفَعُ قصتى ويحطها حظى وأنصب والحوادث تجزم

وبديعٌ قول الشهاب التلعفرى [من الكامل] :

وإذا الثنيةُ أشرقتْ وشممتَ من أرْجائها أرجاً كنشر عبيرِ
سَلْ هضبها المنصوبَ أين حديثه الـمرْفوعُ منْ ذَيلِ الصبا المجرُورِ

وله فى معناه أيضا [من الكامل] :

قُلْ للصبَا سرّاً فإنَّ لها شذاً يُضحِي بما يُفْضَى إليه مُذيعَا
يا ذَيلها المجرُورَ عنْ هضبِ الحِمَى الـمنصوباتِ حديثها المرفوعَا

وقول الصفى الحلى يصف رياض الميطور [من الكامل] :

إنْ جزتَ بالمَيطُورِ مبتهجاً بهِ ونظرتَ باطنَ دَوحهِ الممطُورِ
وأراكَ بالآصال خفقَ هوائهِ الـممْدُودِ تحريكُ الهوَى المقصورِ
سَلْ بانهُ المنصوبَ أين حَديثهُ الـمرْفوعُ مِنْ ذيْلِ الصَّبَا المجرُورِ

وذكرت بالمقصور والممدود هنا بيتين قلتهما ، وهما من هذا الباب الذى نحن بصدده [من الخفيف] :

رَبَّ مَنْ جاء نحوَنا بالفجُورِ لاتُجزْهُ من شرّ صَرْفِ الدُّهورِ
وأضِفْهُ إلى المنايا سريعاً انراهُ الممدودَ فى المقصورِ

وظريف قول بعضهم أيضا [من السريع] :

عَرِّجْ بنا نحوَ طلولِ الحِمَى فلم تزلْ آهلةَ الأربُعِ
حتىَّ نطيلَ اليومَ وقفاً على السـاكنِ أوعطفاً على الموضعِ

وقول أبى الفتح البستى أيضا [من الطويل] :

عُزِلتُ ولم أذنبْ وَلم أكُ جانياً وهذا لإنصاف الوزير خلافُ
حُذِفتُ وغيرى مُثْبَتٌ فى مكانه كأنِّىَ نونُ الجمع حينَ يضافُ

وقوله أيضا [من مجزوء الرمل] :

وبَصيرٍ بمعانى الشعرِ والإعراب جدًّا
قالَ لى لمـارَ آنى ِ طالباً مالاً ورِفدَا
إنَّ مالى يا حبيبى لازمٌ لا يتعـدَّى

وقوله [من السريع] :

أُدرِجْتُ فى أثناء نسيانكمْ حتى كأنّىَ ألِفُ الوصلِ

وقوله أيضا [من البسيط] :

أفدى الغزالَ الذى فى النحو كلمنى ِ مناظراً فاجتنيتُ الشهدَ من شفته
وأوردَ الحججَ المقبولَ شاهدُها محققاً ليرينى فضلَ معرفتـه
ثم افترقنا على رأىٍ رَضيتُ بهِ الرفعُ من صفتى والنصبُ من صفته

وما ألطف قول السراج الوراق [من الخفيف] :

كم أُناديكَ مفرداً علماً أَنْ فَمْهُ عالمـاً بشرط المنادَى
وَجوابى مُلْغًى يحاكى للولاَ خبراً لو أتى بهِ ما أفادَا

وظريف قول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من مخلع البسيط] :

ياساكناً قلبىَ المعنىَّ وليس فيه سواهُ ثانى
لأىّ معنى كَسَرْتَ قلبى وما التقى فيه ساكنان

قال الصلاح الصفدى : وهـذا المعنى فيه نقص ، لأن القلب ظرف لاجتماع الساكنين ، وحينئذ يكون الساكنان غير القلب ، والكسر إنما وقع على القلب ، لا على أحد الساكنين ، ومن تأمله حق التأمل ظهر له هذا الايراد موجهاً ، وقد ذكرت ذلك لجماعة من كبار المتأدبين ، وما رأيت فيهم من تَنَبَّهَ له .

وقد نظم الفقير مؤلف الكتاب بيتين ، راجيا سلامتهما من هذا الايراد ، وهما [من مخلع البسيط] :

قلبي من الهجْرِ فى اضطرابٍ ياساكنا فيهِ دُونَ ثانى
فكيفَ عاملتهُ بكسرٍ وما التقى فيه ساكنانِ

وفى معناه قول شرف الدين القيروانى ، فى رجل عجز عن افتضاض عِرْسِهِ ليلة البناء ، وهو [من مخلع البسيط] :

كم ذكرٍ فى الورى وأنثى أولى منَ اثنين باثنتينِ
إن الليالى أتتْ بلَحنٍ لجمعها بين ساكنين

وقول السراج الوراق [من الكامل] :

يا ساكنا قلبى ذكرتك قبله أرأيت قبلى مَن بدا بالساكن
وجعلته وَقْفًا عليك وقد غدا متحركا بخلاف قلب الآمنِ
وبذا جرى الاعراب فى نَحْوِ الهوى فاليك معذرتى فلستُ بلاَحِنِ

وما أحسن قول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

بكيت وما يجدى البكاء عن العانى ولكنَّ تَشْنيتَ الأحبة أشجانى
كأنَّ زمانى ضاق لحناً فلم يكن ليَجْمَعَ بين الساكنين بأوطانى

ولمحاسن الشواء أيضا [من السريع] :

أرسَلَ فَرْعًا ولَوَى هاجرى صُدْغا فأعيا بهما واصفهْ
فخلت هذا حَيَّةً خلفهُ تسعىَ وهذا عقربا واقفهْ
ذا ألفٌ ليست لوصلٍ ، وذا واوٌ ولكن ليستِ العاطفهْ

وللسليمانى أيضا [من الطويل] :

نصبتُ على التمييز إنسانَ مقلتى أشاهدُ قداً منه نَصْبًا على الظرف
أأخشى فراقا بعدها أو قساوةً وقد جاءواوُ الصدغ للجمع والعطف

ومثله لمؤلفه [من السريع] :

تطمعنى فى الوصلِ أصداغهُ حين ترينى أحرفَ العطفِ

ومن لطائف البهاء زهير قوله من هذا الباب [من الطويل] :

يقولون لي أنت الذي سار ذكره ... فمن صادر يثني عليه ووارد
هبوني كما قد تزعمون أنا الذي ... فأين صلاتي منكم وعوائدي

ونظير ذلك ما اتفق لابن عنين ، وهو أنه مرض ، فكتب إلى الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، صاحب دمشق [من الكامل] :

انظر إليّ بعين مولى لم يزل ... يولي الندا وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه ... فاغنم دعائي والثناء الوافي

فعاده الملك المعظم ، ومعه خمسمائة دينار ، وقال : أنت الذي ، وأنا العائد ، وهذه الصلة.

ومثله قول جعفر الأديب المصري [من الكامل] :

وافيت نحوكم لأرفع مبتدا ... شعري وأنصب خفض عيش أغبرا
حاشاكم أن تقطعوا صلة الذي ... أو تصرفوا من غير شيء جعفرا

وقول الأمير أمين الدين السليماني [من الطويل] :

وإني الذي أضنيته وهجرته ... فهل صلة أو عائد منك للذي

ولابن حجلة [من الكامل]

قطع الأحبة عادتي من وصلهم ... فكأن قلبي بالتواصل ما غذي
فإذا سمعتم في النحاة بعاشق ... منعوه من صلة له فأنا الذي

وقول الآخر [من الكامل] :

لاتهجروا من لا تعود هجركم ... فهو الذي بلبان وصلكم غذي
ورفعتم مقداره بالابتدا ... حاشاكم أن تقطعوا صلة الذي

وقول الآخر [من الكامل] :

لما رأت عيناك أني كالذي ... أبدو فينقصني السقام الزائد

وافيْتني ووفَيتَ لى بمكارم فَنَدَاكَ لى صِلةٌ وأنت العائدُ

ولابن حجلة أيضاً [من المتقارب] :

ومُشْتَرٍ من سَنَا وجهه بشمس لها ذلك الصدغ فَىْ[1]

كَوَى القلب منى بلام العِذَارِ فعرّفنى أنها لامُ كَىْ .

وما ألطف قول محاسن الشواء [من الوافر] :

وكنا خمس عشرةَ فى التئام على رغمِ الحسود بغير آفهْ[2]

فقد أصبحتُ تنويناً وأضحَى حبيبى لاتفارقهُ الاضافهْ

وقوله أيضا [من مخلع البسيط] :

لنا صَدِيقٌ له خِلَالٌ تُعْرِبُ عن أصلهِ الأخسِّ

أضحت له مثلَ حيث كَفٌّ وددْتُ لو أنها كأمْسِ[3]

ومثله قول أبى محمد الواسطى [من مخلع البسيط] :

لنا صديق فيه انقبَاضٌ ونَحْن بالبَسْطِ نَستلذُّ[4]

لا يَعْرف الفتحَ فى يديهِ إلا إذا ما أتاه أخْذُ

فكفهُ أينَ حين يُعطَى شيئاً وبَعْدَ العطاء مُنْذُ

وقول عمر بن الوردى رحمه الله [من السريع] :

---

(١) بفتح الفاء وسكون الياء ، وأصله « فىء » ومعناه الظل

(٢) أراد بخمسة عشر هذا اللفظ ، والنحاة يقولون : إنه مبنى على فتح الجزءين لأنه تركب صدره وعجزه فصارا كلمة واحدة

(٣) « حيث » عند النحاة مبنية على الضم ، و « أمس » عندهم مبنية على الكسر ، فهو يقول : إن كف صديقه مثل حيث فى أنها بنيت على الضم من البخل والشح ، وأنه يتمنى أن تنكسر

(٤) الأنسب بالوزن أن يكون * لنا صديق به انقباض *

قلت لنحْوِيّ إذا عرَّضا له بأوقات الرِّضَى أعْرَضا
يا حِبُّ لو أصبحَ بابُ الرضى كيْفَ لما كنت كأمْسِ مضَى

وقول ابن يعمور فى المجون [من الخفيف] :

ومليحٍ يعلِّم النَّحْوَ يحكى مُشكلات له بلَفْظٍ وجيزِ
ما تميَّزْتُ حسنهُ قط إلاَّ قامَ إيرى نَصْباً على التمييز

وقول ابن الأردخل ومعناه المجيد فى البناء [من الكامل] :

أير أنامُ الليلَ وهو يقوم حامى الأهاب كأنه محمومُ
مُغرًى بطول الجرِّ إلا أنه ما زالَ مفْتوحاً به المضمُومُ

وقول السراج الوراق [من الكامل] :

ومُبَخَّلٍ بالمال قلْتُ لعلهُ يَنْدَى وظنى فيه ظَنٌّ مخلَفُ
جَمْعُ الدراهم ليس جمْعَ سلامةٍ فأجابنى لكنهُ لا يُصْرَفُ

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

كم يريدُ الخبَّازُ يرفَعُ رطلى وأرجّى بالنصب مشىَ أمُورى
وإلى كم شِرَاىَ بالجرِّ منهُ وانصرافى بخاطرٍ مكسور

من التوجيه فى العروض

ومن التوجيه فى العروض والنحو قول السباسكونى يهجو عروضياً نحويا [من المنسرح] :

لا تنكروا ما ادَّعَى فلانُ من الشعْر إذا قال إنهُ شاعِرْ
فالنَّحْو ثم العَرُوض قد شهدا له على الشعر أنهُ قادرْ
يقصرُ ممْدودَهُ وينْصبهُ فى الجر نصب الغرْمُول فى الآخرْ
يريك وهو البسيط دائرةً تجمع بين الطويل والوافرْ

ومن التوجيه فى علم العروض قول نصر الله بن الفقيه[1] المصرى [من الخفيف] :

و بقلبى من الفراقِ مَدِيدٌ و بَسِيطٌ ووافرٌ وطويل
لم أكن عالماً بذاك إلى أنْ قَطَّع القلب بالفِراق الخليل .

ولابن سارة فيه أيضاً [من السريع] :

و بى عروضٌ سَريع الجفَا وجْدِى بمثل جفَاه طَويلْ
قلت له قَطَّعت قلبى أسًى فقال لى التقطيع دأب الخليل

وللسليمانى فيه أيضا [من مجزوء الكامل] :

لا تعذَلَنِّى فى العَرُو ضِ و إن رأيْتَ القَصْد جائرْ
دارَتْ علىَّ دوائرٌ فجهَدْت فى فكٍّ الدَّوائر

ومنه قول الآخر [من الوافر] :

تقاطعَ صاحبَاىَ على هناةٍ جرَتْ بعدَ التَّصافى والتصافى
وداما لا يضمهما مكانٌ كأنهما معاقبة الزحافِ

من التوجيه فى صناعة الكتابة

ومن التوجيه فى صناعة الكتابة قول ابن الساعاتى [من الكامل] :

لله يومٌ فى سيوطَ وليلةٌ حلف الزمان بمثلها لا يغلط[2]
بتنا وعمر الليل فى غُلَوائه وله بنور البدر فرعٌ أشمط
والطَّلُّ فى سلك الغصون كلؤلؤ رَطْبٍ يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفةٌ والرِّيح تكتب والغمام ينقِّطُ

---

(١) فى خزانة ابن حجة « ومن التوجيه فى علم العروض قول ابن نصر الله المصرى »

(٢) فى خزانة ابن حجة « لله يوم فى دمشق قطعته » وفيه « بمثله »

ومنه قول ابن لنكك المصرى [من الطويل] :

قف انظر إلى در السحاب كأنه نثارٌ وأحداقُ القرارات تلقطه
إذا كتبت أيدى الرياح على الثرى بنور فأيدى النيم بالقطر تنقطه

وقول أبى زهير مهلهل بن نصر بن حمدان [من الكامل] :

أأخا الفوارس لو رأيتَ مواقفى والخيلُ من تحت الفوارس تنحطُ
لقرأتَ منها ما تخطُّ يدُ الوغى والبيضُ تشكلُ والأسنةُ تنقطُ

وقول الصاحب بن عباد يصف الوحل [من البسيط] :

إنى ركبتُ وكفُّ الأرض كاتبةٌ على ثيابى سطوراً ليس تنكتمُ
والأرضُ محبرةٌ والحبرُ من لثق والطرسُ ثوبى ويمنى الأشهب القلم

وقول حازم فى مقصورته يصف ماء [من الرجز] :

إذا علا نشيشُهُ عود ما جزّ من النبت الجميم ودحا
ونفث الفضة ذوباً وغدا يخطُّ ما كان الزمانُ قد محا

وهو مأخوذ من قول أبى إسحاق بن خفاجة [من الكامل] :

وعشىّ أنس أضجعتنى نشوةٌ فيه تمهدُ مضجعى وتدمّثُ
خلعتْ علىّ به الأراكةُ ظلها والغصنُ يصغى والحمامُ يحدّثُ
والشمسُ تجنحُ للغروب مريضةً والرعدُ يرقى والغمامةُ تنفثُ

ومثله قول ابن قاضى ميله [من الطويل] :

وجونٍ مرنَّ الرعد يستنُّ ودقه ترى برقه كالحية الصِّل تطرفُ
كأنى إذا ما لاح والرعدُ معولٌ وجفنُ السحاب الجون بالماء يذرفُ
سليمٌ وصوتُ الرعد راقٍ وودقُهُ كنفث الرُّقى من سوء ما أتكلفُ(١)

(١) السليم : اللديغ ، وفى أمثالهم « السليم لا ينام ولا ينيم » وقد سموه بذلك تفاؤلا له بالسلامة ، كما سموا الصحراء مفازة اسم مكان من الفوز . وإنما هى مهلكة ، لأنهم تفاءلوا لسالكها بالفوز

وما أحسن قول ابن عبدالظاهر [من الخفيف] :

مُفردٌ في جمالِه إن تبدّى خجلتْ منهُ جُملةُ الأقمارِ
كيفَ أرجو الوفاء منهُ وعاملتُ غريبًا منْ لحظِهِ ذا انكسار
ذُو حواشٍ تلُوحُ من قلم الرّيحان في خدّه فجلّ البارى
فيهِ وجدِي مُحَقّقٌ وسلوّى وكلامُ العذُول مثلُ الغبار
فلِساني في وصفهِ قلم الشعـــــر ورقُّ المكتوبِ بالطُّومار

وبديع قول ابن جابر، وذكر الأقلام السبعة [من البسيط] :

تَعليقُ ردفك بالخَصْر الخَفيف لهُ ثُلثُ الجمال وقدْ وَفّتْهُ أجفانُ
خدٌّ عليه رقاعُ الرّوض قد خلعت وفى حواشيهِ للصُّدْغين ريحَانُ
خطّ الشبَاب بطومار العذَار بهِ سطراً ففَضاحهُ للنّاس فتّان
مُحققٌ نسخ صبرى فى هوَاه ومن توقيع مَدْمعىَ المنثور بُرهان
يا حُسن ما قلم الأشعار خطّ على ذاك الجبين فلاَ يَسلوه إنسان
أقسَمْت بالمصْحَف السامى وأحرفه ما مرّ بالبال يوماً عنكَ سُلوَانُ
ولا غبارَ على حبِّى فعِنـدكَ لى حسابُ شوقٍ له فى القَلب دِيوان

ولمؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات [من الرمل] :

وبطومَار الوَفا يَنْسخ ما وقع القَلْبُ به إذ يَهجرُ
ويشمُّ القَلبُ ريحانَ الرضَى ليسَ فيـهِ لغبار أثَرُ
فرجائى فيهِ قَدْ حققـه من رقاع عدُّها لا يُحْصرُ

وله رحمه الله تعالى من أبيات أخرى [من مجزوء الرجز] :

يا صاحِبَ الانشاء ما سِوَاكَ عنه يخبر
عسى بِطومار الوفا توقيع سَعْدِى يُزبَرُ

وأَجتَنِى ريحانَه دون غبار يُضجِرُ
ومن حَوَاشى مجدِه أنسخ ما يكرّر
فنى مُحقّق الرّجا مِنكَ الرّقاع تُسطر

ولابن مليك فيه أيضاً [من الكامل] :

فالخدُّ بانَ الوردُ فيهِ مُحقّقاً والصُّدْغ فيهِ مُسلسلٌ رَيحانُه

وما أبدع قوله بعده ، وإن لم يكن مما نحن فيه :

والخالُ حينَ بهِ تبدّى أسوداً أيقنتُ أنّ شقيقَهُ نَعمانُهُ

وقوله أيضاً [من السريع] :

وردىّ خدّ قَدْ ذكا نَشرُه عليهِ لمَّا ضاعَ دارَ العِذَارْ
أقسِم بالفضّاح من عَنبرَى رَيحَانُه ليس عليهِ غُبارْ

وما أبدع قوله بعده أيضاً :

فاترُ جفنٍ باردٌ ريقُه بينهُما القلبُ من الوجدِ حارْ

وهذه الأبيات من قصيدة بديعة مطلعها :

ما كُنتُ أدرى قبلَ نبتِ العِذَارْ أن يطلُع الريحانُ فى الجلنارْ

من التوجيه فى علم الرمل

ومن التوجيه فى علم الرمل قول البهاء زهير [من الطويل] :

تَعلمتُ عِلمَ الرَّملِ لما هجرتَنى لعلّى أرى شكلاً يدُلُّ على الوصلِ
فقَالوا طَريقٌ قلتُ يارب لِلّقَا وقالوا اجتماعٌ قُلتُ يارب للشّمل

وقول جمال الدين بن مطروح [من الطويل] :

حلاَ ريقُه والدُّرّ فيه مُنَضّدٌ وَمَنْ ذا رأى فى العذب دُرّاً منَضّدَا
رأيت بخدّيهِ بياضاً وحُمْرةً فقلتُ لىَ البُشرَى اجتماعٌ تَولّدا

من التوجيه فى الهندسة

ومن التوجيه فى علم الهندسة قول ابن جابر أو العلوى الأديب المصرى فى مليح منهدس وأجاد [من الطويل] :

يحيط بأشكال الملاحة وجهه ... كأن به إقليدساً يتحدث[١]

فعارضه خط استواء وخاله ... به نقطة والصدغ شكل مثلث[٢]

وقول ابن النبيه فى صبي يشتغل بالهندسة [من الطويل] :

وبى هندسى الشكل يسبيك لحظه ... وخال وخد بالعذار مطرز

ومذ خط بيكار الجمال عذاره ... كقوس علمنا أنما الخال مركز

وقول ابن التلميذ أو أبى على المهندس المصرى [من الطويل] :

تقسم قلبى فى محبة معشر ... بكل فتى منهم هواى منوط

كأن فؤادى مركز وهم له ... محيط وأهوائى إليه خطوط

وظريف قول بعضهم [من الكامل] :

لما انثنى وهو البسيط تبينت ... لى منه دائرة كحلقة خاتم

ورأيت فى الشكل المدور نقطة ... فحللت مركزها بخط قائم

وقول ابن فلاس النحوى [من السريع] :

إن الرميلى فتى راوية ... للطب والفلسفة العاليه

حاز المساحات فأضحى بها ... يستنبط الماء بلا ساقيه

كأنما ينزل مخروطه ... على عمود قائم الزاويه

وقول هشام بن أحمد الرقشى [من الكامل] :

قد بينت فيه الطبيعة أنها ... ببديع أعمال المهندس باهره

عبثت بمبسمه فخطت فوقه ... بالمسك قوساً من محيط الدائره

---

(١) فى خزانة ابن حجة « محيط بأشكال الملاحة وجهه »

(٢) فى خزانة ابن حجة « والشكل شكل مثلث »

من التوجيه في علم النجوم

ومنه في علم النجوم قول ابن جابر [من الكامل] :

يا حسنَ ليلتنا التي قد زارني فيها فأنجز ما مضى من وَعْدِهِ
قد تمتُ شمسَ جماله فوجدتها في عقربِ الصدْغ الذي في خدّهِ

من التوجيه في الموسيقى

ومنه في علم الموسيقى قول البدر بن لؤلؤ الذهبي [من الكامل] :

وبهجتي المتحملونَ عشيةً والركبُ بينَ تلازم وعناقِ
وَحُدَاتهم أخذتْ حجازاً بعدما غَنَتْ وَراء الركب في العشاقِ

وَمِن التوجيه النظيف ، قول ابن نباتة المصرى ، في أسماء منتزهات دمشق [من الرجز] :

يا حبذا يومي بوادي جلَّقٍ وَنزهتي معَ الغزال الحالي
من أوّل الجبهة قدْ قبلتهُ مرتشفاً لآخر الخلخالِ

ومحاسن التوجيه كثيرة ، فلنقتصر على هذه النبذة ، والله أعلم .

***

شاهد الهزل يراد به الجد

١٥٤ – إذَا ما تميمىٌّ أتاكَ مفاخراً
فقلْ عدِّ عنْ ذَا كيف أكْلُكَ للضبِّ

البيت لأبي نوَاس من قصيدة من الطويل (١) ، يهجو تميماً وأسداً ، ويفتخر بقحطان . أولها :

ألا حيّ أطلالاً بسيحانَ فالعذبِ إلى مرْبَعٍ فالبئر بئرِ أبي رُغبِ (٢)

(١) اقرأها في الديوان (١٥٨)

(٢) في الديوان « إلى برع » بالباء في مكان الميم ، و « أبي زعب » بالزاى ، وسيحان – بفتح فسكون – نهر بالشام ، وآخر بالبصرة . والعذب – بفتح فسكون – شجر . وبرع – بضم ففتح – جبل بتهامة

تمشي بها عفرُ الظباء كأنها أخاريدُ من رُوم يُقَسِّمْنَ في نهب(١)

عليها من السرحاء ظلٌّ كأنه هذاليلُ ليلٍ غير منصرم النحب(٢)

تلاعب أبكارَ الغمام وتنتمي إلى كل زحلوق وخالقة صعب(٣)

منازل كانت من حذام وفرتنا وتربيهما هند فناهيك من ترب(٤)

وبعده البيت ، وبعده :

تُفاخر أبناء الملوك سفاهة وبولك يجري فوق ساقك والكعب

إذا ابتدر الناس الفعال فخذ عصىً ودعدع بمعزى يا ابن طالقة الذرب(٥)

وهي طويلة .

والشاهد فيه : الهزل الذي يراد به الجد ، فان سؤال التميمي عن أكله الضب في معنى الاستهزاء ، وإذا تأملته في الحقيقة فهو جد ، لأن تميما يكثرون من أكل الضب ويُعَيَّرون به .

وكان الحيص بيص الشاعر تميميا ، فقال أبو القاسم بن الفضل ، أو الرئيس علي بن الأعرابي يهجوه [من الخفيف] :

---

(١) العفر - بضم فسكون - جمع عفراء ، وهي التي لونها العفرة . والأخاريد : الأبكار ، أو اللاتي في صوتهن لين ، وكأنه جمع خريدة على غير قياس

(٢) في الأصل « عليها من السرحان » وأثبتنا ما في الديوان . والسرحاء : واحدة السرح ، وهي الشجرة الطويل . والهذاليل : جمع هذلول ، وهو أول الليل أو بقيته . والنحب : الأجل

(٣) في الأصول « إلى كل زحلوق زحالقة صعب » وقد أثبتنا ما في الديوان . والزحلوق - بزنة عصفور - النشيط

(٤) في الأصل « منازل كانت من جذام » وحذام - بالحاء المهملة - من أسماء نسائهم .

(٥) في الأصل « يا ابن ضالعة الزرب » محرفا عما أثبتناه عن الديوان . ودعدع : فعل من قولهم في زجر الغنم : دع ، دع ، أوداع داع

كمْ تبارى وكمْ تطوّلُ طرْطو رَكَ ما فيك شعرةٌ من تميمِ
فكلِ الضبَّ واقرضِ الحنظلَ الأخـ ـضرَ واشرب ماشئتَ بوْلَ الظليمِ
ليس ذَا وَجْهَ منْ يُضيف ولاَ يَقْـ ـرى ولا يدفع الأذَى عنْ حريمِ

من أمثلة الهزل الذى يراد به الجد

ومن شواهده ما أنشده ابن المعتز لأبى العتاهية [من البسيط] :

أرقيكَ أرقيكَ باسم الله أرْقيكاَ من بُخْل نفسكَ علَّ الله يشفيكاَ
ما سِلْمُ كفكَ إلا مَنْ يناولها ولا عدوُّكَ إلا من يُرَجّيكاَ

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس بقوله [من الطويل] :

وقدْ عَلمتْ سلمى وإن كانَ بَعْلَهاَ بأنَّ الفتىَ يهذى وَليسَ بفعَّالِ

قال ابن أبى الأصبع : ما رأيت أحسن من قوله ملتفتا « وإن كان بَعْلَهَا »

ومنه قول ابن جابر [من السريع] :

تزعمُ يا ظبيُ مساواتها ولستُ أبدى لكَ تفنيدَا
إن كانَ ماتزعمُ عارِضْ لنَا مقلتها واحْكِ لنا الجيدَا

وقول ابن دانيال [من الخفيف] :

قلْ لغصن الأراك ويحكَ تحكى قدَّ محبوبتى وَلم تَخشَ منِّى
أنا لولا غفَلْتُ عنها فماستْ ما تعلمتَ أنتَ منها التثنِّى

وقول ابن نباتة المصرى [من الكامل] :

سلبتْ محاسنُكَ الغزالَ صفاته حتّى تحيرَ كلُّ ظبى فيكاَ
لكَ جيدهُ ولحاظه ونفارهُ وغدا نظيرُ قرونه لأبيكاَ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من الخفيف] :

عارَضَ البدرُ وجنتيها فقلنا عدّ عن ذا وقل لنا عن محاقكْ
أوثقَتْنى بحبها ثمَّ قالتْ لىَ بالله كيفَ حالُ وثاقكْ

ولابن حجة الحموى فيه أيضا [من السريع] :

وصاحب تسمح لى نفسه بغدوة لكنْ إذا ما انتشى
يضحك سِنّى للغدا عنده لكننى أقلع ضرسى العشا

وقريب من معناه قول الأديب الاسطرلابى [من الطويل] :

لنا صاحبٌ نهوى محل فنائهِ ولا يهتدى ضيفٌ محل فنائهِ
نزلتُ عليــهِ مرةً فأضافنى ولكنْ إلى الأقصى أنى بغدائهِ

وقريب من معناه قول بعضهم [من الوافر] :

نزلتُ علىَ أبى سعدٍ فحَيا وهيأ عنده فُرُشَ المقيلِ
وقال علىَّ بالطباخ حتى يزيد من البواردِ والبقولِ
فغدَّانى برائحـــــة الأمانى وعَشَّانِى بميعادٍ جميلِ

وقول القاضى كمال الدين بن النبيه [من الوافر] :

ألاَ يارَبِّ هب لى منك عمراً كليلةِ كل ضيف باتَ عندَهْ
فكم أعطى كدُهْنِ اللوز لفظاً وكم محض الكلام بغير زُبْدَهْ
وسَقَّفَنى سفوفَ الريحِ منه ولعقنى لعوقَ الماءِ عندَهْ

* * *

شاهد تجاهل العارف

١٥٥ — أيا شجرَ الخابور مالكَ مورقاً
كأنكَ لم تجزع على ابن طريف

البيت لليلى بنت طريف الشيبانى ، ترثى أخاها الوليد بن طَرِيفٍ ، من أبيات من الطويل(١) ، أولها :

---

(١) اقرأها فى الأغانى (١١ — ٨) وفى ابن خلكان (٣ — ١٠٤) مع بعض تغيير و بعض نقص فى الأغانى

بتلٍّ نباتى رَسْمُ قبرٍ كأنه ... على عَلَمٍ فوق الجبال منيفِ(١)
تَضَمَّنَ جوداً حاتمياً ونائلاً ... وَسَوْرَةَ مقدام وقلبَ حصيفِ

ورأيت فى تاريخ ابن خلكان هذا البيت على غير هذا الوضع ، وهو :

تضمن مجداً عاصمياً وَسودداً ... وهمة مقدام ورأى حصيف(٢)

وبعده البيت ، وبعده :

فتى لا يحبُّ الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قَناً وسيوفِ
ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم ... معاودة للكرِّ بين صفوف
كأنك لم تشهدْ هناك ولم تَقُمْ ... مقاماً على الأعداء غير خفيف
ولم تستلم يوماً لوردِ كريهةٍ ... من السردِ فى خضراء ذات لفيف(٣)
ولم تسع يوم الحرب والحرب واقعٌ ... وَسُمْرُ القنا يَنهزْنها بأنوفِ(٤)
حليفِ النَدَى ما عاش يرْضى بهِ النَدَى ... فانْ مات لمْ يَرْضَ النَدَى بحليفِ
فقدْناكَ فُقدانَ الشباب وليتنا ... فديناك منْ فتياتنا بألوفِ
ومازال حتى أزهق الموت نفسه ... شَجًى لعدوٍّ أو نجا لضعيفِ(٥)
ألاَ يا لَقومى للحمامِ ولَلبلَى ... وللأرضِ هُمَّتْ بعده برَجيفِ(٦)

---

(١) وقع فى الأصول « نتل نباتا » محرفا . ونباتى ـ بزنة سكارى ـ موضع بالبصرة . وفى ابن خلكان « بتل نهاكى »

(٢) الذى فى نسخة ابن خلكان « تضمن مجدا عد مليا وسوددا »

(٣) فى ابن خلكان « خضراء ذات رفيف »

(٤) فى ابن خلكان « والحرب لا قح » وفيه « ينكزنها بأنوف »

(٥) فى الأصل «أولحى لضعيف» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ابن خلكان

(٦) فى ابن خلكان « همت بعده برجوف » وفى الأغانى :

ألا يالقومى للنوائب والردى ... ودهر ملح بالكرام عنيف

وللبدر منْ بين الكواكب قد هوَى ... وللشمسِ لمّا أزمعتْ لكسوفِ(١)

ولليثِ كلَّ الليث إذْ يحملونهُ ... إلى حفرةٍ ملحودةٍ وسقيفِ

ألا قاتلَ اللهُ الرَّدَى حيثُ أضمرتْ ... فتىً كانَ للمعرُوف غيرَ عيوفِ(٢)

فإن يكُ أرْدَاهُ يزيدُ بنُ مزْيَدٍ ... فرُبَّ زُحُوفٍ لفَّهَا بزُحُوفِ

عليهِ سلامُ الله وَقْفاً فإنني ... أرَى الموتَ وَقاعاً بكلِّ شريفِ

ترجمة الوليد ابن طريف

وكان الوليد بن طريف هذا رأسَ الخوارج ، وأشدهم بأساً وصولةً ، وأشجعهم . وكان من بالشماسية لا يأمن طرُوقهُ ، واشتدت شوكته ، وطالت أيامه ، فوجه إليه الرشيدُ يزيدَ بن مزيد الشيبانى ، فجعل يخاتله ويماكره ، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد ، فأغروا به الرشيد ، وقالوا : إنه يتجافى عنه للرحم ، وإلا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يواعده ، وينتظر ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب مُغْضَب يقول فيه : لو وجهت أَقل الخدم(٣) لقام بأكثر مما تقوم به أنت ، ولكنك مُدَاهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهنَّ إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين ، فلقى الوليد عشية خميس فى شهر رمضان ، فيقال : إن يزيد جهد عطشاً حتى رمى بخاتمه فى فيه ، وجعل يلوكه ويقول : اللهم إنها شدة شديدة ، فسهلها ، وقال لأصحابه : فداكم أبى وأمى ! إنما هى الخوارج ، ولها حملة ، فاثبتوا لهم تحت التراس ، فاذا انقضت حملتهم فاحملوا ، فانهم إذا انهزموا لم يرجعوا ، وكان كما قال ، حملوا حملة فثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ،

---

(١) فى ابن خلكان « إذ هوى » وفيه «أزمعت بكسوف» وفى الأغانى « وللشمس همت بعده بكسوف »

(٢) فى ابن خلكان « ألا قاتل الله الجثا حيث أضمرت »

(٣) فى ابن خلكان « أحد الخدم » وكذا فى الأغانى

ثم حمل عليهم فانكشفوا ، واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة بعيدة ، فاحتز رأسه . وكان الوليد خرج إليهم حين خرج ، وهو يرتجز ويقول [من الرجز] :

أنا الوليدُ بنْ طريف الشارِى قسورَةَ لا يُصطَلَى بنارِى

* جَوْرُكُم أخرَجنى منْ دَارِى *

فلما وقع فيهم السيف وأخذ رأس الوليد صحبتهم[1] أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع والجوشن ، فجعلت تحمل على الناس ، فعُرِفت ، فقال يزيد : دعوها ، ثم خرج إليها فضرب بالرمح قَطَاة فرسها ، ثم قال لها : اغرُبِى ، غرّب الله عليك ، فقد فضحت العشيرَة ، فاستحيت وانصرفت ، وهى تقول الأبيات . وكان ذلك فى سنة تسع وَسبعين ومائة .

ولما انصرف يزيد بالظَّفَر حُجبَ برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه ، فقال : وحق أمير المؤمنين لأصيفنّ واشتونّ على فرسى أو أدخل ، فارتفع الخبر بذلك ، فأذن له ، فدخل ، فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسرّ وأقبل يصيح : مرحباً بالأعرابى ، حتى دخل وأجلس ، وأُكرم ، وعرف بلاؤه ونقاء صدره ، ومدحه الشعراء بذلك . وكان أحسنهم مدحاً مسلم بن الوليد ، فقال فيه قصيدته التى أولها [من البسيط] :

أجرَرْتُ حبلَ خليعٍ فى الصبا غزِلِ
وقصرَتْ هممُ العذال عَنْ عَذَلى

هَاجَ البكاء على العين الطموح هوًى
مُفرّقٌ بينَ توديعٍ ومرتحلِ

---

(١) فى الأغانى [illegible] وهو [illegible]
[illegible] .

كيفَ السلوُّ لقلبٍ باتَ مختبلاً
يَهْذِي بصاحبِ قلبٍ غيرِ مُختبِلِ

إلى أن يقول فيها :

يفترُّ عندَ افترار الحربِ مُبتسماً ... إذا تغيرَ وجهُ الفارسِ البطلِ
مُوفٍ على مُهجٍ في يومِ ذي رَهجٍ ... كأنهُ أجلٌ يسعى إلى أملِ
ينال بالرِّفقِ ما تعيا الرجالُ بهِ ... كالموتِ مُستعجلاً يأتي على مَهلِ

إلى أن يقول :

والمارقُ ابنُ طريفٍ قد دَلَفتَ لهُ ... بعارضٍ للمنايا مُسبلٍ هطلِ[(1)]
لو أنَّ غيرَ شَريكيَّ أطافَ بهِ ... فازَ الوليدُ بقِدْحِ الناضلِ الخضلِ
ما كانَ جمعهمُ لمـا دَلَفتَ لهمْ ... إلا كمثلِ جَرادٍ رِيعَ مُنجفلِ

ولليلى أخت الوليد بن طريف فيه مراث كثيرة منها قولها [من المتقارب] :

ذكرتُ الوليدَ وأيامَهُ ... إذ الأرضُ من شخصهِ بلقعُ
فأقبلتُ أطلبهُ في السماء ... كما يبتغي أنفهُ الأجدعُ
أضاعكَ قومُكَ فليطلبُوا ... إعارةَ مثلِ الذى ضيعُوا[(2)]
لوَ انَّ السيوفَ التى حَدُّها ... يصيبكَ تعلمُ ما تصنعُ
نَبَتْ عنكَ أو جعلَتْ هيبةً ... وَخوفاً لصولكَ لا تقطعُ

والخابور : نهر بين رأس عين والفرات يصب إليه .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف ، وسماه السكاكيّ : سوق المعلوم مساق غيره لنكتة ، وهى هنا التوبيخ ، فإنها تعلم أن الشجر لا يجزع على ابن طريف ،

---

(١) فى الأصل «قد زلفت له» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان و الأغانى

(٢) فى الأغانى «[illegible]»

لكنها تجاهلت واستعملت « كأن » الدالة على الشك ، والله أعلم .

* * *

من شواهد تجاهل العارف للمبالغة في المدح

١٥٦ — ألمعُ برقٍ سرى أمْ ضوءُ مصباحِ
أمِ ابتسامتُها بالمنظرِ الضاحي

البيت للبحتري ، وهو من أول قصيدة (١) من البسيط ، يمدح بها الفتح ابن خاقان ، وبعده :

يا بؤسَ نفسٍ عليها جِدَّ آسفةٍ وشجوَ قلبٍ إليها جدَّ مرتاحِ
يهتزُّ مثلَ اهتزازِ الغصنِ أتعبهُ مرورُ غيثٍ منَ الوسميِّ سحَّاحِ
ويرجعُ الليلُ مبيَضاً إذا ابتسمَتْ عَنْ أبيضٍ خَصِرِ السمطينِ لماحِ
وَجدتَ نفسكَ من نفسي بمنزلةٍ هي المصافاةُ بين الماءِ والراحِ
أثني عليكَ بأني لم أجِدْ أحداً يلحي عليكَ، وماذا يزعم اللاحي
وليلةِ القصرِ والصهباءِ قاصرةٌ للهوِ بينَ أباريقٍ وأقداحِ
حييتُ خدَّيكَ بَلْ حييتُ من طرَبٍ
وَرداً بوَردٍ ، وتفّاحاً بتفّاحِ

وهي طويلة ، ومنها في المَخْلَصِ :

كم نظرةٍ في جبالِ الشامِ لو نظرتْ رَوَت غليلَ فؤادٍ منكَ ملتاحِ (٢)
والعيسُ ترمي بأيديها على عجلٍ في مهمهٍ مثلِ ظهرِ الترسِ رَحْرَاحِ
تُهدى إلى الفتحِ، والنُّعمى بذاك لهُ مدحاً يقصِّرُ عنهُ كلُّ مدَّاحِ

---

(١) اقرأها في الديوان (١ — ١١٣)

(٢) في الديوان * كم نظرة لي حيال الشام لو وصلت * وهي أحسن مما هنا

والضاحى : الظاهر .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف للمبالغة فى المدح ، فانه بالغ فى مدح ابتسامها ، بحيث لم يفرق بينه و بين لمع البرق وضوء المصباح كما هو ظاهر .

*
* *

من شواهد تجاهل العارف للمبالغة فى الذم

١٥٧ — * أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساء *

هو من الوافر ، وصدره :

* وما أدرِى وسوفَ إخالُ أدرِى *

وقائله زهير بن أبى سُلْمَى، من قصيدة (١) طويلة ، قالها فى هجاء بيت من كلب من بنى عليم ، وكان بلغه عنهم شىء ، وكان رجل من بنى عبد الله ابن غطفان أتى بنى عليم ، فأكرموه لما نزل بهم ، وأحسنوا جواره و واسوه . وكان رجلا مولعا بالقمار ، فنهوه عنه ، فأبى إلا المقامرة ، فقُمِرَ (٢) مرة فردوه عليه ، ثم قمر أخرى فردوه عليه ، ثم قمر الثالثة ، فلم يردوه عليه ، فترحَّلَ عنهم وشكا ما صنع به إلى زهير ، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاء شديداً ، فقال القصيدة ، وأولها :

عفا من آلِ فاطمةَ الجِوَاءُ فيمنٌ فالقوادمُ فالحساءُ
فذوهاشٍ فميثُ عريتناتٍ عفتها الريحُ بعدكَ والسماء (٣)

---

(١) اقرأها فى الديوان (٥٦ دار الكتب)
(٢) قمر — بالبناء للمجهول — غلب فى المقامرة
(٣) فى الأصل « فبيت عريتنات » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان وذوهاش وعريتنات : أرضان ، وميث — بكسر الميم — جمع ميثاء ، وهى مسيل الماء مثل نصف الوادى أو ثلثه

فلما أنْ تَحمَّلَ آلُ ليلَى ... جرَتْ بيني وبينهمُ ظباء

جرَتْ سنُحًا فقلتُ لها أجيزِى ... نوًى مشمولة فمتى اللقاء (١)

كأنَّ أوابدَ الثيران فيهَا ... هجائنُ فى مَغابنها الطلاء (٢)

لقدْ طالبتها ولكل شىء ... إذا طالتْ لحاجته انتهاء

وقد أغدُو على شَرْبٍ كرَامٍ ... نَشَاوَى وَاجدِينَ لما نشاء

لهمْ رَاحٌ وَرَاوُوقٌ وَمسكٌ ... تعلُ به جُلودُهم وماء

أمشِّى بينَ قتلَى قدأصيبتْ ... دِماؤهمُ ولمْ تقطرْ دِماء (٣)

يجرُّونَ البرُودَ وَقد تمَشَّتْ ... حُميّا الكأسِ فيهمْ والغناء

و بعده البيت ، و بعده :

فإنْ تكنِ النساءُ مُخبآتٍ ... فَحُقٌّ لكل محصنةٍ هدَاءُ

وكان زهير يقول : ما خرَجت قط فى ليلةٍ ظلماء إلا خفتُ أن يصيبنى الله عز وجل بعقوبة لهجائى قوماً ظلمتهم .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف للمبالغة فى الذم ، وفيه دلالة على أن لفظ « القوم » لا يطلق إلا على الرجال خاصة .

---

(١) فى الأصول « جرت سحا فقلت لها اخبرينى » والسنح : جمع سنيح وهو ماولاك ميامنه من ظبى أو طائر أو غيرهما ، والعرب تتيامن به ، ولكن زهيرا تشاءم به . وأجيزى : انفذى

(٢) فى الأصل « فى مغانيها الطلاء » محرفا عما أثبتناه ، والمغابن : جمع مغبن - بزنة مجلس - وهى الابط وأصل الفخذ ، وكل ما خبىء من الانسان ، والطلاء : القطران

(٣) فى الديوان « قد أصيبت نفوسهم »

من شواهد تجاهل العارف للتدله فى الحب

١٥٨ — بالله ياَ ظبيات القاعِ قلنَ لناَ
لَيلاَىَ منكنَّ أمْ ليلى مِنَ البشَر

البيت من قصيدة من البسيط ، واختلف فى نسبته : فنسب للمجنون ، ولذى الرمة ، وللعَرجىّ ، وللحسين بن عبد الله الغزى ، ونسبه الباخرزى ، فى دمية القصر ، لبدوىّ اسمه : كامل الثقفى [1] ، والأكثرون على أنه للعرجى ، وأول قصيدة كامل الثقفى[1] :

إنسَانةُ الحىّ أم أدماءة السمُرِ   يا للنهى رقصها لحنٌ منَ الوتر
ياماَ أميلح غزلاَناً شدَنّ لنَاَ   من هؤُليَّاء بينَ الضال والسمُرِ [2]

وقال ابن داود فى الزهرَة : قال بعض الأعراب :

ياَسَرحةَ الحىّ أينَ الرُّوحُوا كبدِى   لهفاً تذوبُ و بيتِ الله من حسرِ
ما أنتِ عجماء عما قد سئلتِ فماَ   بالُ المنازِلِ لم تنطق ولم تحرِ
يا قاتلَ الله غادات قرَعْنَ لنا   حبَّ القلوب بمااستودعنَ من حوَرِ
عنت لنا وعيونٌ من براقعها   مكنونةٌ مُقَلُ الغزلان والبقَرِ

و بعده * ياما أميلح . . . . . . البيت * .

والقاع : أرض سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، وتجمع على قيع وقيعة ، وأقواع ، وأقْوُع . والبشر : الإنسان ، ذكراً كان أو أنثى ، واحداً أو جمعا . وقد يثنى ، وقد يجمع .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف ، للتدله فى الحبّ ، وهو : التحير والدهش .

---

(١) وقع فى الأصول «كامل المنتقى» فى الموضعين ، وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الدمية

(٢) فى الدمية وشواهد النحاة «من هؤليا ئكن الضال والسمر»

ومنه قول ذى الرمة [من الطويل] :

أيا ظبيةَ الوعساء بينَ جلاَجلٍ وبينَ النقا آأنت أم أمُّ سالمِ

وما ألطف قول المتنبى [من الخفيف] :

أتَرَاها لكثرَةِ العشاقِ تحسبُ الدمعَ خِلقَةً فى المآقى

وقول القاضى الفاضل ، يمدح الملك العادل ، أبا بكر بن أيوب ، رحمه الله تعالى ! [من البسيط] :

أهذهِ سِيرٌ فى المجد أمْ سوَرُ وهذهِ أنجمٌ فى السعد أم غررُ ؟

وأنملٌ أم بحارٌ والسيوفُ لها موجٌ وإفرِنْدُها فى لجها دُرَرُ

وأنت فى الأرض أم فوق السماء وفى يمينكَ البحرُ أم فى وجهكَ القمرُ

وقوله فيه أيضاً وأجاد [من الوافر] :

أهذِى كفه أم غوثُ غيثٍ ولا بلغَ السحابَ ولا كرامهْ

وَهذَا بشرُهُ أمْ لمعُ برْقٍ وَمنْ لِلبرْقِ فينَا بالإقامهْ

وهذَا الجيشُ أم صَرْفُ الليالى ولاَ بلغَتْ حوَادثها زِحامَهْ

وَهَذَا الدهرُ أمْ عبدٌ لديهِ يُصرِّفُ عَنْ عزيمتهِ زمامهْ

وهذا نَصْلُ غمدٍ أم هِلالٌ إذا أمسَى كَنُونٍ أم قُلاَمَهْ

وَهذَا الترْبُ أم خدٌّ لثمناَ وآثار الشفاهِ عليهِ شامهْ

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

وإذا قلتُ أينَ دَارى وقالوا هِيَ هذِى أقولُ أينَ زَمانِى

وقول مهيار الديلمى [من الطويل] :

سلاَ ظبيةَ الوادِى وما الظبىُ مثلها وإن كان مصقولَ التَّرَائِبِ أكحلا

أأنتَ أمرْتَ البدْرَ أنْ يَصدَعَ الدُّجى وَعلَّمْتَ غُصنَ البَانِ أنْ يتميَّلاَ

وقول ابن نباتة السعدى [من الطويل] :

فوالله ما أدرى أكانتْ مُدَامةً　　من الكَرْمِ تُجنى أم من الشمس تُعصرُ

ومن البديع فى هذا الباب قول ابن هانىء الأندلسى فى المعز لدين الله بأنى القاهرة [من الكامل] :

ابنى العوالى السَّمهريَّةِ والموا　　ضى المشرفيَّةِ والعديد الأكثرِ

منْ منكمُ الملكُ المطاع كأنهُ　　تحتَ السوابغِ تُبَّعٌ فى حِمْيَرِ

يحكى أنه لما أنشدهما تَرَجَّلَ العسكر كله ، ولم يبق راكب سوى المعز ، فلا يعلم بيت شعر كان جوابه نزول عسكر جرار غيره .

وما أجود قول التهامي يشكو السهر [من الكامل] :

قصُرَتْ جفونى أم تباعدَ بينها　　أمْ مقْلتى خُلقتْ بلا أشْفار ؟

وماأبدع قول الشيخ شرف الدين بن الفارض قدس الله سره [من الكامل] :

أوميضُ برْقٍ بالأبيرق لاحا　　أم فى رُبا نجدٍ أرَى مِصباحا

أمْ تلكَ ليلى العامريَّة أسفرتْ　　ليلاً فصيرتِ المساء صَباحا

وما أحسن قول الباخرزى [من الكامل] :

قالتْ وقدْ فتّشتُ عنها كلّ منْ　　لاقيتهُ منْ حاضرٍ أوْ بادى

أنا فى فؤادِكَ فارْمِ لَحْظَكَ نحوهُ　　تَرَنِي فقلتُ لها وأين فؤادِي

وفى معناه قول المولى الفاضل بن مليك يرثى ولده [من الخفيف] :

يا مكانَ الفؤادِ أينَ فؤادِي　　أتراهُ منهمْ على ميعادِ

وقول العميد أبي سهل محمد بن الحسن [من البسيط] :

يا دَهرَنا أيُّنا أشجي ببينهمُ　　أأنتَ أمْ أنا أمْ ريّا أم الدارُ

يا ليتَ شعرِيَ ما ألوَى بجدّتها　　هوجُ الرِّياحِ وصوْبُ الغيثِ مدْرارُ

أم صوْبُ دَمعى وأنفاسِي فهنّ لها　　بعدَ الأحبةِ أرْواحٌ وأمطارُ

وقول ابن المنير الطرابلسي [من البسيط] :

مَنْ رَكَّبَ البدرَ في صدرِ الرُّدينيِّ ومَوَّهَ السحرَ في حدِّ اليمانيِّ
وأنزلَ النيِّرَ الأعلى إلى فلكٍ مدارُه في القَبَاءِ الخُسرُوَانيِّ
طرفٌ رنا أمْ قرابٌ سُلَّ صارمُهُ وأغيدٌ ماس أم أعطافُ خطِّيٍّ

وقول أبي نصر سعيد بن الشه [من البسيط] :

أظاعنٌ أم مقيمٌ أنتَ ياخلَدِي فإنني أوّلُ الغادِينَ بعدَ غدِ

وما أحسن ما قال بعده أيضاً :

غداً أودِّعُ قوماً أودعوا كبدِي ناراً، وعهدِي بهمْ برداً على الكبدِ
أبدِي التجلُّدَ أحياناً فيَنهزُني ريقٌ يجفُّ وخدٌّ بالدُّموعِ ندِي
لاأنسَ يومَ تنازَعنا حديثَ نوىً وقَوْلَها وهْيَ تبكي : خانني جلدِي
فدمعُها بَرَدٌ فوقَ العقيقِ جرَى وريقُها ضَرَبٌ قدْ شِيبَ بالبرَدِ
كُنَّا إلى الوَصلِ قدْ مِلْنا فنغصَّهُ هذا الرحيلُ الذي مادارَ في خلدِي

وقول الوزير أبي سعد منصور بن الحسين الأبي [من المتقارب] :

أيا ربعَ علوةَ بالمنحنَى أأنتَ بها مغرمٌ أمْ أنا
ويا طللَ الحيِّ مابالُنا لبستَ البلى ولبستُ الضنى

وما أحسن قوله بعدهما أيضاً :

أناشدُكَ اللهَ في قُرْبنا وأنّى ومنْ أينَ لي قرْبُنا
بشرْقيِّ سَلْمَى لنا منزِلٌ رفيعُ القواعدِ عالى البنا[1]
أتتنى فقالتْ لأترابها لنعمَ الفتى إنْ ثوَى عِندنا
فقلتُ لها أينَ مَغنَاكُمُ ونحنُ بُحزْوَى فقالتْ هنا
ولكنْ منْ دُوننا باسلاً يغارُ علينا إذا زُرْتَنَا

---

(١) سلمى : أحد جبلى طيء ، والثانى أجأ

فشاوِرْ إذا جئتَ جُنحَ الظلامِ فإما علينا وإما لنا
فلما امتطيْتُ إليها الدُّجى دُفِعْتُ إلى تِرْبِها مَوْهِنَا
فقامتْ تَجُرُّ فُضولَ الرِّداءِ وتَسْفِرُ للوَصلِ ما بيننا
تَبِعْتُ إلى خِدْرِهَا تِرْبَها فصدَّت وقدَ رابها أمرُنا
وقالتْ أترْضَى بغير الرضى بِكونِكَ يا ضيفَنا ضيفَنا

ومن المعجب هنا قول بعضهم [من الوافر]:

أقولُ له علامَ تميلُ عُجْباً على ضَعفي وقدُّكَ مستقيمُ
فقالَ تقولُ عني فيَّ ميلٌ فقلتُ له كذَا نقلَ النَّسيمُ

ومن ظريف ما سمع فيه قول الصورى [من مجزوء الرمل]:

بالذِي أَلْهَمَ تعذِيـــبي ثناياكَ العذَابا
والذِي صيَّر حظِّي منكَ هَجراً واجْتنابا
والذِي ألبسَ خدَّيْـــكَ منَ الوَرْدِ نِقابا
ما الذِي قالتهُ عينْا كَ لقَلبي فأجابا

ولأحمد بن حمديس [من الخفيف]:

أبروقٌ تلألأتْ أم ثغورُ وليالٍ دَجتْ لنا أمْ شعورُ
وغصونٌ تأوّدتْ أم قُدودٌ حاملاتٌ رمانَهنَّ الصُّدُورُ

ولابن شمس الخلافة [من الطويل]:

أشعرُكَ أم ليلٌ وَوجهُكَ أم قمَرْ ونَشْرُكَ أمِسكٌ وثغرُكَ أم دُرَرْ
وخدُّكَ أم وردٌ وريقكَ أم طلًى وجِسمُكَ أم ماءٌ وقلبكَ أم حجَرْ
شككْنا على عِلمٍ وَمنْ غلبَ الهوى على قلبهِ غطّى على السمعِ والبصرِ

ولمؤلفه رحمه الله تعالى فيه [من البسيط]:

ألؤلؤٌ نظمُ هذا الثَّغْرِ أم حبَبُ وقرْقفٌ طعمُ ذاكَ الرِّيقِ أم ضَرَبُ
وما أراهُ برَوْضِ الخدِّ وَرْدُ رُبًا أم جنةٌ بدَمِ العُشّاقِ تختضبُ

وفى لحاظك سحر يستطال به على القلوب أم المسنونة القضب

ومن مجونه فيه قول بعضهم [من الطويل] :

ولم أدر إذ رق النسيم وعيشنا وصوت مغنينا وصهباء قرقف

أعيشى أم صوت المغنى أم الصبا أم الكاس أم دينى أرق وأضعف

وهو من قول الآخر [من الخفيف] :

إسقنى خمرة كرقة دينى أو كعقلى ولا تقل كحالى

خيفة من توهم الناس أنى قلت هذا فى معرض لسؤال

ولطيف قول الشيخ صلاح الدين الصفدى [من الطويل] :

أقول لهم قد رق عيشى والصبا وعقلى وكاسأتى وصوت الذى غنى

فقال الذى أهوى: وخصرى نسيته، فقلت له : والله قد جئت فى المعنى

ترجمة العرجى

والعرجى [1] هو عبد الله بن [عمر بن [2]] عمرو بن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس .

وإنما لقب بالعرجى لأنه كان يسكن عرج الطائف ، وقيل : بل سمى بذلك لماء كان له ومال كان عليه بالعرج .

وكان من شعراء قريش ، وممن شهر بالغزل منهم ، ونحا نحو عمر بن أبى ربيعة فى ذلك ، وتشبه به ، وأجاد ، وكان مشغوفا باللهو والصيد حريصاً عليهما قليل المبالاة بأحد [3] فيهما ، ولم تكن له نباهة فى أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه ، وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان بأرض الروم

---

(١) للعرجى ترجمة فى الأغانى (١-١٥٣) وفى مهذب الأغانى (٧-٢٩) وفى بعض نسخ الأغانى « هو عبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان »

(٢) الزيادة عن الأغانى

(٣) فى الأغانى مكان هذه الجملة « قليل المحاشاة لأحد منهما »

وكان له معه بلاء حسن ونفقة كثيرة ، وباع أموالا عظيمة وأطعم[1] منها فى سبيل الله تعالى حتى نفد كل ذلك ، وكان قد اتخذ غلامين فاذا جاء الليل نصب قدوره وقام الغلامان يوقدان ، فاذا نام أحدهما قام الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يصبحا يقول : لعل طارقا يطرق .

وحدث مصعب قال : كانت حَبَشِيَّةٌ من مولَّدات مكة المشرفة ظريفة صارت إلى المدينة المنورة ، فلما بلغها موت عمر بن أبى ربيعة اشتد جزعها وجعلت تقول: مَنْ لمكة وشعابها وأباطحها ونُزَهها ووصف نسائها وحسنهن وجمالهن ؟ فقيل لها: خَفِّضى عليك فقد نشأ فتًى من ولد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه ، فقالت : أنشدونى من شعره شيئا ، فأنشدوها ، فقالت : الحمد لله الذى لم يُضَيِّع حَرَمه ، ومسحت عينيها .

وقال سلمة بن إبراهيم بن هشام : كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب ، فذكرنا قول العرجى [من الخفيف] :

أينَ ما قلتِ مُتُّ قبلكَ أينا ... أينَ تَصديقُ ما عهدتِ إلينا

فلقدْ خفتُ منكِ أنْ تصرمى الحبـ ... ـلَ وأن تجمعى معَ الصُّرْمِ بَيْنَا

ما تقولينَ فى فَتًى هامَ إذْ ها ... مَ بمنْ لا يبالِ جهْلاً ومينا[2]

فاجعلى بيننا وبينكِ عدْلاً ... لا تحيفى ولا يَحيفُ علينا

واعلمى أنَّ فى القضاءِ شُهوداً ... ويميناً فأحضِرى شاهدينا

خُلَّتى لوْ قدرتُ منكِ على ما ... قلت لى فى الخلاءِ حينَ التقينْا

ما تحرَّجتُ منْ دَمى علمَ اللهُ ولو كنتُ قدْ شهدْتُ حُنينا

---

(١) فى الأغانى « وأطعم ثمنها فى سبيل الله » .

(٢) كذا ، والذى فى الأغانى ومهذبه « بمن لاينال جهدا وحينا » ، وهو ارق مما هنا

قال : فقال أيوب لأشعب : ما تظن أنها وعدته ؟ قال : أخبرك يقيناً لا ظناً وعدته أن تأتيه فى شِعْبٍ من شعاب العَرْج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصلاة ، فعرض لها عارض شُغْلٍ فقطعها عن موعده ، قال : فمن كان الشاهدان ؟ قال : كسير وعوير ، وكلٌّ غيرُ خيرٍ : فِنْدٌ أبو زيد مولى عائشة بنت سعد ، ووزر المنق [1] مولى الأنصار ، قال : فمن الحكم العدل ؟ قال : حصين بن غُرَير [2] الحميرى ، قال : فما حكم به ؟ قال : أدَّتْ إليه حقه فسقطت المؤنة عنه ، قال : يا أشعب ، لقد أحكمت صناعتك ، قال : سل علامة عن علمه .

وحدث محمد بن مخارق قال : واعد العرجى ذات هوى له إلى شعب من شعاب عَرْج الطائف إذا نزل رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف ، فجاءت على أتان لها معها جارية لها ، وجاء هو على حمار له ومعه غلام له ، فواقع هو المرأة ، وواقع الغلام الجارية ، ونزا الحمار على الأتان ، فقال العرجى : هذا يوم قد غاب عُذَّاله .

وحدث الزهرى [3] وغيره أن العرجى خرج إلى جنبات الطائف [4] يوما متنزها ، فمر ببطن النقيع [5] فنظر إلى أم الأوقص — وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومى القاضى — وكان يتعرض لها ، فاذا رآها زمت نفسها [6] وتسترت منه ، وهى امرأة من بنى تميم ، فبصر بها فى نسوة جالسة وهن يتحدثن ، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب ، فعدل عنها ، ولقى أعرابيا من بنى نصر على بكر له ومعه

---

(١) فى الأغانى « وزور الفرق » ، وفى بعض نسخه « وزر الفرق »

(٢) فى الأغانى « حصين بن عرير » بالمهملة ، ولكنه ذكر فيه فى الأخبار الآتية بالمعجمة كما هنا

(٣) فى الأغاني « الزبيرى وغيره » وهو الصواب

(٤) فى الأصل « جنبان الطائف » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغاني

(٥) فى الأغانى « ببطن النقيع » .

(٦) [illegible]

وَطْبَانِ من لبن ، فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قَعُوده ولبنه ولبس ثيابه ، ثم أقبل فمر على النسوة ، فصحن به : يا أعرابى ، أمعك لبن ؟ قال : نعم ، فمال إليهن ، وجعل يتأمل أم الأوقص ، وتواثب من معها إلى اللبن ، وجعل العرجى يلحظها وينظر أحيانا إلى الأرض كأنه يطلب شيئا ، وهن يشربن اللبن ، فقالت امرأة منهن : أى شىء تطلب يا أعرابى فى الأرض ؟ أضاع منك شىء ؟ قال : نعم ، قلبى ، فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه ، وكان أزرق ، فعرفته فقالت: العرجى ورب الكعبة ، ووثبت وسترها نساؤها ، وقلن له : انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك ، فمضى منصرفا ، وقال فى ذلك [من الوافر] :

أقولُ لصاحبىَّ ومثلُ مابى ... شكاهُ المرءُ ذُو الوجدِ الأليمِ
إلى الأخوينِ مثلهما إذا ما ... تـأوّبهُ مؤرِّقـةُ الهمومِ
لحينى والبلاءِ لقيتُ ظُهْراً ... بأعلى النقعِ أختَ بنى تميمِ
فلما أنْ رأتْ عيناىَ منها ... أسيلَ الخدِّ فى خلقٍ عظيمِ[1]
وعَيْنَىْ جؤذرٍ خشفٍ وثغراً ... كلونِ الأقحوانِ وجيدَ رِيمِ[2]
حنا أترابها دُونى عليها ... حُنوَّ العائداتِ على السقيمِ

وحدث مصعب بن عبدالله عن أبيه ، قال : أتانى أبوالسائب المخزومى ليلة بعد ما رقد الناس[3] فأشرفت عليه ، فقال : سهرت وذكرت أخا لى أستمتع به فلم أجد سواك ، فلو مضينا إلى العقيق وتناشدنا وتحدثنا ، فمضينا فأنشدته فى بعض ذلك بيتين للعرجى ، وهما [من الكامل] :

بَاتا بأنعمِ ليلةٍ حتى بدا ... صُبْحٌ تلوّح كالأغرِّ الأشقرِ

---

(١) فى الأغانى « في خلق عميم »

(٢) فى الأغانى « وعينى جؤذر خرق » ويقال : خرق الظبى فهو خرق ... فرح فهو فرح ... إذا [illegible] من فزع

(٣) فى الأغانى [illegible]

فتلازَما عندَ الفراقِ صبابةً أخذَ الغريمِ بفضلِ ثوبِ المعسِرِ

فقال : أعـده علي ، فأعدته ، فقال : أحسن والله ، امرأته طالق إن نطق بحرف غيره حتى يرجع إلى بيته ، قال : فلقينا عبد الله بن حسن [بن حسن][1] ، فلما صرنا إليه وقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة المنورة ، فسلم ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال له :

فتلازَما عِندَ الفِراقِ صبابةً أخذَ الغَريمِ بفضلِ ثوبِ المُعسِرِ

فالتفت إلى وقال : متى أنـكرت صاحبك ؟ فقلت : منذ الليلة ، فقال : إنا لله ، وأى كهل أصيبت به قريش ؟ ثم مضينا فلقيه محمد بن عمران التيمى[2] قاضى المدينة يريد مالا على بغلة له ومعه غلامه على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة ، فسلم عليه ثم قال له : كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال : * فتَلَازَما عندالفِرَاقِ صبَابَةً * وذكر البيت ، فالتفت إلى وقال : متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت كما قلت آنفاً ، فلما أراد المضى قلت : أفتدعه هكذا ؟ والله لا آمن أن يتهور فى بعض آبار العقيق ، قال : صدقت . ياغلام قيده بقيد البغلة ، فوضعه فى رجليه ، وهو ينشد البيت و يشير بيده إليه ، يرى أنه يفهم عنه قصته ، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه : احمـله على بغلتى وألحقه بأهله ، فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته بخبره ، فقال : قبحك الله ماجناً ! فضحت شيخاً من شيوخ قريش وغرَرْتَنِى .

وكان العرجى يشبب بجيداء ـ وهى أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومى ـ ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما ، فـكان محمد بن هشام يقول لأمه : أنت غضضت منى لأنك أمى ، وأهلـكتنى وقتلتنى ، فتقول له : و يحك ! وكيف ذلك ؟ فيقول : لو كانت أمى من قريش ما ولى الخلافة غيرى .

---

(١) الزيادة عن الأغانى .

(٢) فى الأصل « التميمي » محرفا عما أثبتناه وهو موافق لما فى الأغانى

وكان العرجى فى خلال ذلك يهجو محمد بن هشام ، فلم يزل مضطغنا عليه متطلباً سبيلا إليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقيده وضربه وأقامه للناس على البُلُسِ ثم حبسه وأقسم أن لا يخرج من السجن ما دام له سلطان ، فمكث فى حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه .

وروى أن السبب فى حبس محمد بن هشام العرجى أنه لاحى مولى لأمية فأمضه[١] العرجى ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له ، فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده ، فهجم عليه فى منزله فأخذه فأوثقه كتافا ، ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا ، ثم قتله وأحرقه بالنار ، فاستعدت إمرأة المولى عليه محمد بن هشام ، فحبسه .

وقيل : إن العرجى كان قد وكل بحُرَمه مولى له يقوم مقامه بأمورهن ، فبلغه أنه يختلف إليهن[٢] ، فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهن ، فقتله وأحرقه بالنار ، فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومى ، وكان والياً على مكة المشرفة فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان ، فضربه ، وأقامه على البُلُسِ ، وسجنه .

وروى أن أشعب كان حاضرا العرجى وهو يشتم مولاه هذا ، وأنه طال شتمه إياه ، فلما أكثر ردَّ المولى عليه ، فاختلط العرجى[٣] من ذلك وقال لأشعب : اشهد على ماسمعت ، فقال أشعب : وعلى م أشهد وقد شتمته ألفاً وشتمك واحدة؟ والله لو أن أمك أم الكتاب وأمه حمالة الحطب ما زاد على هذا شيئاً

ولما أخذ العرجى أخذ معه الحصين بن غرير الحميرى ، وكان صديقا له ، وخليطاً فجلدا وصب الزيت على رؤوسهما ، وأقيما على البُلُسِ بمكة ، فجعل العرجى ينشد [من الوافر] :

---

(١) أمضه : آلمه وأوجعه

(٢) فى الأغانى « يخالف إليهن »

(٣) اختلط : أراد أنه غضب غضبا شديدا ، حتى لكأنما فسد عقله

سَيَنصرُنا الخليفَةُ بَعْدَ رَبِّى وَيَغضبُ حينَ يُخبَرُ عن مَسَاقى
علَىَّ عبَاءَةٌ بَلْقَاء ليست مع البَلوَى تغيِّبُ نصفَ سَاقِى
وتَغْضَبُ لى بأجمعهَا قُصَىٌّ قطينُ البيت والدَّمْثِ الرقاقِ

ثم يصيح : ياغُرير أجيد يا غرير أجياد ، يعنى به الحصين بن غرير المجلود معه ، فيقول له : ألا تدعنا ، ألا ترى ما نحن فيه من البلاء ؟

ومر رجل على العرجى وهو واقف على البُلُسِ هو ورفيقه ، والناس مجتمعون ينظرون إليهما ، وكان الرجل صديقاً للعرجى ، وكان فأفاء ، فوقف عليه وأراد أن يتوجع لما ناله و يدعو له ، فلجلج لما كان فى لسانه كما يفعل الفأفاء ، فقال ابن غرير : لا فرجت من فيك أبدا ، فقال له الرجل : فكأنك إذا لا برجت منه أبدا .

ومر به صبيان يلتقطون النوى ، فوقفوا ينظرون إليه ، فالتفت ابن غرير إلى العرجى وقال له : ما أعرف فى الدنيا شيخين أشأم منى ومنك ، إن هؤلاء الصبيان لأهليهم عليهم فى كل يوم على كل واحد منهم مُدُّ نوًى ، فقد تركوا لقطهم للنوى ووقفوا ينظرون إلى وإليك ، وينصرفون بغير شىء فيضربون فيكون شؤمنا قد لحقهم .

وكانت وفاة العرجى سنة [1]

ولما ولى الوليد بن يزيد الخلافة كان مضطغنا على محمد بن هشام المخزومى لأشياء كانت تبلغه عنه فى حياة هشام ، فقبض عليه ، وعلى أخيه إبراهيم بن هشام ، وأشخصا إليه إلى الشام ، ثم دعا لهما بالسياط ، فقال له محمد : أسألك

---

(١) كتب مصحح نسخة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه :
« هكذا فى الأصول التى بأيدينا ولم نقف له على تاريخ وفاة بعد مراجعة بعض المظان » .

بالقرابة ، قال : وأى قرابة بينى و بينك ، وهل أنت إلا من أشجع ، قال : فأسألك بصهر عبد الملك ، قال : لم تحفظه ، قال : يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشى بالسياط إلا فى حدّ ، قال : فنى حدّ أضربك وَقَوَدٍ ، أنت أول من سن ذلك على العرجى ، وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه ، فما رَعَيْتَ حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر ، وأنا ولى ثأره ، اضرب ياغلام ، فضربهما ضرباً مبرحا وأثقلا بالحديد ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة ، وأمره باستصفائهما (١) وتعذيبهما حتى يتلفا ، وكتب إليه : احبسهما مع ابن النصرانية ، يعنى خالدا القسرى ، ونَفْسَكَ نفسك إن عاش أحد منهم ، فعذبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالا عظيما ، حتى لم يبق فيهم موضع للضرب ، وكان محمد بن هشام مطروحاً فاذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته وجذبوه منها ، ولما اشتدت عليهما الحال تحامل إبراهيم لينظر وجه أخيه محمد فوقع عليه فماتا جميعاً ، ومات خالد القَسْرِىُّ معهما فى يوم واحد ، وقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر هذه الأبيات [من المنسرح] :

قد راحَ نحوَ العراق مَشْخَلَبَهْ ... قُصارهُ السِّجْنُ بعدهُ الخَشَبَهْ
يركَبُها صاغراً بلا قَتَبٍ ... ولا خطامٍ وحوْلهُ جَلَبَهْ
فقل لدعجاء إن مَرَرْتَ بها ... لن يُعْجِزَ اللهَ هاربٌ طلبه
قد جعلَ الله بعد غَلْبَتِكم ... لنا عليكم بأمره الغلبَهْ
لستِ لهاشمٍ ولا إلى أسدٍ ... ولا إلى نوْفَلٍ ولا الحَجَبَهْ
لكنما أشجعٌ أبوكِ سَلِ الـــكلبى لا ما تُزَوِّقُ الكذبه

(١) فى الأصل « باستصفائهما » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى ويؤيده قوله فيما بعد « وأخذ منهم مالا عظيما » وهو معنى الاستصفاء

وحدث إسحاق قال : غنيت الرشيد يوماً فى عُرْضِ الغناء «أضاعونى وأى فتى أضاعوا» فقال لى : ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجى؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى أن مات ، فرأيته يتغيظ كلما مر منه شيء ، فأتبعته بحديث قتل ابنى هشام ، فجعل وجهه يُسْفِر وغيظه يَسْكن ، فلما انقضى الحديث قال لى: يا إسحاق لولا ما حدثتنى به من فعل الوليد لما تركتُ أحداً من أماثل بنى مخزوم إلا قتلته بالعرجى ، وسيأتى خبر هذا الشعر فى التضمين، إن شاء الله تعالى .

* * *

شاهد القول بالموجب أسلوب الحكيم

١٥٩ — قُلْتُ ثقَّلْتُ إذ أتيتُ مِرَاراً قال ثقَّلْتَ كاهلى بالأيادى

البيت من الخفيف، وبعده :

قلتُ طَوَّلت قال لا بل تَطَوَّلْـــت وأبرمتُ قال حَبلَ ودادى

والبيتان منسوبان لابن حجاج ، ولم أرهما فى ديوانه، ونسبهما سبط ابن الجوزى صاحب مرآة الزمان لمحمد بن إبراهيم الأسدى .

والكاهل : الحارك ، أو مُقدَّم أعلى الظهر مما يلى العنق ، وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقر ، أو هو ما بين الكتفين وموصل العنق فى الصلب ، والأيادى : جمع يد، وهى النعمة .

وفى معنى البيتين قول ابن الخازن [من الوافر] :

لئن سَمَّيت إبراماً وثقلاً زيارات بهنَّ رفعتَ قَدْرى
فما أبرَمْتَ إلا حبْلَ ودى وما أثقلت إلا ظَهْرَ شكرى

وقول ابن البغدادى [من الطويل] :

حَجَبت إليهِ والعَذُول يحجنى عليه فكان العَذْلُ رنةَ حادى
فأحرمتُ لكن مُقْلتى سِنةَ الكرَى وطفتُ ولكن حولهُ بودادى

والشاهد فيهما : القول بالموجب ، و يسمى أسلوب الحكيم ، وهو على ضربين :
أحدهما أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء أثبتَ له حكم فتثبت تلك الصفة
لغير ذلك الشىء من غير تعرض لثبوته له أو نفيه عنه ، والثانى : حمل لفظ وقع فى
كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ، وهذا هو القسم المستعمل
بين الناس ونظمه الشعراء ، ومما يستشهد به عليه قول الأرجانى [من الرمل] :

غالَطَتنى إذ كست جسمى ضنىً كسوةً أعرَتْ من اللحم العِظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوَى مثل عينى ، صدَقَتْ لكن سقَاما

وقد أخذه ابن نقادة أخذاً قبيحاً فقال [من الرمل] :

غالطتنى حين حاكى خَصْرُها جسمىَ المرْضَ وَجْداً وغَراما
ثم قالت أنتَ عندى ناظرِى ولعَمْرِى صدَقَتْ لكن سقاما

وقد أخذه آخر أيضاً فقال [من الوافر] :

شكوْت صبابتى يوماً إليها وما قاسَيتُ من ألم الغرام
فقالت أنت عندى مثلُ عينى لقد صدَقت ولكن فى السُّقَام

وقد وقع لمؤلفه رحمه الله هذا المعنى فى عروض قصير فقال [من الرمل] :

غالطتنى حينَ قالَتْ والجوَى يبْدِى العظَاما
أنْتَ عندى مثلُ عينى صدَقتْ لكن سقَاما

ووقع له فى هذا النوع أيضاً وهى واقعة حال فقال [من مخلع البسيط] :

طلبت خصماً فلاذ منِّى بظالم سِفْلَةٍ معاب
وقال ذا فى حِمَى كلَيْبِ يَصْدُق لكن من الكلابِ

وما أصدق قول ابن حجلة [من الكامل] :

رؤساؤنا مَنْ جاءهم بقَصيدَةٍ كانَتْ بجوائزُهُمْ عليها شُكْرَهُ

وإذا طلبت وظيفة من حاكم ... فابشر فقد ولاك لكن ظهره

وقوله أيضاً [من الوافر] :

شكوت إلى الحبيبة سوء حظى ... وما ألقاه من ألم البعاد

فقالت أنت حظك مثل عينى ... فقلت نعم ولكن فى السواد

ولأبى عامر الجرجانى فيه [من المتقارب] :

عذيرى من شاطر أغضبوه ... فجرد لى مرهفاً فاتكا

وقال أنا لك يا ابن الحسين ... وهل لى رجاء سوى ذلكا

ومثله قول صدر الدين بن الوكيل [من الطويل] :

وبى من قسا قلباً ولان معاطفاً ... إذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى

أقر برق إذ أقول أناله ... وكم قالها يوماً ولكن لتهديدى

وللسراج الوراق أيضاً [من الكامل] :

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى ... لهموم دهرى ليت لا حملتها

قد كان عندك يا فلان صريمة ... فأجبتهم بعت الحمار وبعتها

وله أيضا رحمه الله [من مجزوء الكامل] :

متمارض جعل التغا ... شى من خبائثه سبب

ويقول ما أنا طيب ... صدق اللعين وما كذب

وله أيضا [من السريع] :

وسائل يسأل منى وقد ... أنشدت شعراً يشبه الشعرى

يقول إن كنت لدى معشر ... قد عبدوا البيضاء والصفرا

ما حصلت دائرة بينهم ... وانت نعم بطيخة خضرا

وله أيضا [من المجتث] :

لقَنته العذْرَ عن ترْ ك حاجتى لو تصوّرْ
فقلتُ أُنسيتَهَا والنِّسيانُ أمرٌ مُقَدّرْ
فقال لستُ بناس فقلتُ مولاى أخبرْ

وله أيضا [من البسيط] :

وقائلٍ قال لى لما رأى قَلَقى لطول وعدٍ وآمالٍ تمنّينا
عوَاقبُ الصبرفياقال أكثرهم محمودةٌ قلت أخشى أن تخرينا

وله أيضا [من الكامل] :

قالت جَمعْتَ لفاقةٍ كَسَلاً فانهض وقم وادأب لهمٍّ العائلهْ
فأجبتُ هل تدرى لهم سَبَباً قالت ولا وتداً وهذى الفاصلهْ

ولابن سناءِ الملك رحمه الله [من السريع] :

لهفى على عشّاقِك الطُّرْشِ العُمْىِ فى عشقِك لا العُمْشِ
عاشقك القش ولا غرو أن تلتهب النيران فى القش
قالوا لقد أحدث من بعدنا ما لا يرى قلت على الفرش

ولشمس الدين محمد التلمسانى [من مخلع البسيط] :

اسمُ حبيبى وما يعانى قد شَغَلاَ خاطرى ولُبِّى
قالوا علىٌّ فقلت قدراً قالوا كوافى فقلت قلبى

وما أحسن قول بعضهم [من الخفيف] :

قُلتُ للأهْيفِ الّذِى فَضحَ الغُصْنَ كلامُ الوُشاةِ ما يَنبَغى لك
قالَ قَوْلُ الوُشاةِ عِندِىَ ريحٌ قلتأُخشَى ياغُصنأن يَستَميلك

ولبعضهم فى معناه و إن لم يكن من هذا الباب [من الوافر] :

تُثْنَى عِطْفَهُ خَطَرَاتُ دَلٍّ إذا لم تَثْنه نَشَوَاتُ رَاحِ
يَميلُ معَ الوُشاةِ وأىُّ غُصْنٍ رَطيبٍ لا يميلُ معَ الرِّياحِ

وقد ألمّ به ابن سناء الملك فقال [من البسيط] :

يا عاطِلَ الجيدِ إلا مِنْ مَحاسِنهِ عَطِلَتْ فيكَ الحَشَى إلا مِن الحَزَنِ
فى سِلْكِ جِسمى دُرُّ الدمْعِ مُنْتظِمٌ فَهَلْ لِجيدِكَ فى عِقْدٍ بِلاَ ثَمَنِ
لا تَخْشَ منى فإنى كالنَّسيمِ ضَنًى وَماَ النَّسيمُ بِمخشِيٍّ على الغُصُنِ

وقولُ ابن نباتة هنا غايةٌ ، وهو [من الكامل] :

ومَلُولةٍ فى الحُبِّ لمّا أنْ رأتْ أثَرَ السقَامِ بِعَظْمِىَ المُنْهَاضِ
قالَتْ تغيَّرْنا فقُلْتُ لَهَا نَعَمْ أنا بالسّقَامِ وأنْتَ بالأعْرَاضِ

ولعله من قول السراج الورّاق [من مخلع البسيط] :

قالَ صديقى ولَمْ يَعُدْنى وعارضُ السُّقمِ فِىَّ أثَرْ
لَقَدْ تغيرْتَ يا صديقى ويَعْلَم اللهُ مَنْ تغيرْ

وما أبدع قول ابن نباتة أيضا [من الطويل] :

أتارِكَةٌ بالحُزْنِ قلبى مُقيداً ودَمْعى على الخَدَّيْنِ وهو طَليقُ
يقولونَ قَدْ أخلَقْتَ جفنَكَ بالبُكى نَعَمْ إنَّ جفْنى بالبكاءِ خَليقُ
دعُوا الدَّمْعَ لِلجفْنِ القَريحِ مؤاخياً فانى فَقَدْتُ الخدَّ وهْوَ شقيقُ

وقوله أيضاً [من السريع] :

مُقبّلُ الوَجهِ أدارَ الطّلاَ وقالَ لى فى شُرْبِهَا عاتِبى
عَنْ أحْمَرِ المشْرُوبِ ماتنتهى قلتُ ولا عَنْ أخضَرِ الشاربِ(١)

---

(١) فى الأصل « فقلت ولا عن أخضر الشارب » ولا يستقيم وزن البيت إلا مع حذف الفاء من « فقلت » كما أثبتناه .

ولابن الصائغ أيضا [من السريع]:

عارضنى المُذَالُ فى عارضٍ قالوا بلُطفٍ بَعْدَ ما أطنبُوا

ما آنَ بالعَارض أنْ تَنْتهى قُلْتُ ولا بالشَّيْبِ لا تتعبُوا

وللشهاب محمود [من المتقارب]:

رأتنى وقَدْ نالَ منى النحُولُ وفاضَتْ دُمُوعى على الخَدِّ فيضا

فَقَالت بعَينىَ هــذَا السّقَامُ فقُلْتُ صدَقْتِ وبالخَصْر أيضا

ولمحاسن الشواء، وهو من أحسن ما وقع فى هذا النوع [من الطويل]:

ولما أتانى العَاذِلونَ عَدِمتُهُمْ وما فِيهمُ إلا لِلَحْمِىَ قارضُ

وقَدْ بُهِتُوا لمّا رأونىَ شاحبــاً وقالوا به عَيْنٌ فقلتُ وعارضُ

ومن هنا أخذ ابن النقيب قوله [من الطويل]:

ومابى سِوَى عينٍ نَظَرتُ لحُسنها وذاكَ لجهلى بالعُيُونِ وغرّتى

وقالوا بهِ فى الحُبِّ عينٌ ونَظْرةٌ نعمْ صدَقُوا عينُ الحَبيب ونظرتى

وأصله من قول الأول [من الطويل]:

وجاؤا إليهِ بالتَّمَاويذِ والرُّقَى وصبُّوا عليهِ الماءَ مِنْ ألم النكس

وقالوا بهِ مِن أعيُن الجنِّ نَظْرةٌ ولو صدقُوا قالوا بهِ نظرَةُ الانس

ولابن الدويدة المعرى من أبيات يخاطب بها من أودع قاضيا مالا فادعى ضياعه فقال [من الكامل]:

إن قالَ قَدْ ضاعَتْ فيصدُقُ أنها ضاعَتْ ولكنْ منكَ يَعنى لوْتعى

أو قالَ قد وقعَتْ فيصدُقُ أنها وقَعَتْ ولكنْ مِنهُ أحسَنَ موقع

ومثله قول على بن فضالة، أو ابن الرومى [من الوافر]:

وإخوَان حسبتُهُمُ دُرُوعا فكانُوها ولكنْ للأعادى

وخلتهم سهاما صائبات فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن من ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى لقد صدقوا ولكن فى فسادى

وما ألطف قول السراج الوراق [من الوافر] :

شكى رمداً فقلت عساه كانت لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى فقلت نعم لقتل العاشقينا

وللصلاح الصفدى فى القول بالموجب [من الكامل] :

ولقد أتيت لصاحبى وسألته فى قرض دينار لأمر كانا
فأجابنى والله دارى ما حوت عيناً فقلت له ولا إنسانا

وله أيضا رحمه الله [من السريع] :

وصاحب لما أتاه الغنى تاه ونفس المرء طماحه
وقيل هل أبصرت منه يداً تشكرها قلت ولا راحه

وللنور الاسعردى أيضا [من المتقارب] :

سألت الوزير أتهوى النساء أم المرد جاروا على مهجتك
فقال وأبدى الخلاعات لى كذا وكذا قلت من زوجتك

وله عندما عمى فى آخر عمره [من الوافر] :

سألت الله يختم لى بخير فعجله ولكن فى عيونى

وعلى ذكر عماه فما أعذب قوله [من السريع] :

يا سائلى لما رأى حالتى والطرف منى ليس بالمبصر
لست أحاشيك ولكننى سمحت بالعينين للأعور

وهو يشبه قول الجمال بن نباتة [من الطويل] :

يقولون مَنْ وطْءِ النّساءِ خفّ العَمى فقلْتُ دعُوا قَصدِى فما فيه مِنْ شين
إذا كان شفْرُ العين دون مَحلّها فعندِى أنا الأشفارُ خيرٌ من العين

وقال الصلاح الصفدى [من السريع] :

صدّقَ خِلّى نسَماتِ الصَّبا فيما رَوت عنكُمْ وما شَكّا
وقالَ لا أخبرَ مِنْها بما جاءت بهِ قُلتُ ولا أزكَى

وله أيضا رحمه الله [من الوافر] :

بَدَا فى الخَدِّ عارضُهُ فأضحى عليهِ مُعنِّفى باللَّوْم يُغْرِى
وحاولَ أن يَرَى منى سُلوًّا وقالَ لقدْ تعذّرَ قُلتُ صبرِى

وله أيضاً [من السريع] :

تقول صحبى إذ أتى منكم مشرف بالفَتُ فى شكره
هل يلتقى أكرم من طيبه قلت ولا أطيب من نَشْرِه

وَللنور الاسعردى مماجنا للزين الاسعردى [من الخفيف]:

قلتُ يوماً للزّيْنِ هَلْ تُثْبِتُ البعثَ وتنفى إنكارَهُمْ لِلْحشر
قالَ أثبت فقُلْتُ ذقنك فى استى قال أننى فقلت فى وسطِ جُحْرى

وهو مأخوذ من قول الآخر [من السريع] :

جاء فلان الدين فى وجْهِهِ أنفٌ لهُ كادَ يُوَاريهِ
قلت له : ماذا الفضا؟ قال لى ذا مَنْخِرِى ، قلت: أنا فيه

ومثله قول الوداعى [من السريع] :

وذى دَلالٍ أحْوَرٍ أغيدٍ أصبحَ فى عقدِ الهَوَى شَرْطى
طافَ على القَوْم بكاساتِهِ وقالَ ساقى قُلْتُ فى وَسطى

وحذاق البديع أخلوا هذا النوع من لفظة لكن ، وخصوا بها نوع الاستدراك ليحصل الفرق بينهما .

ولنذكر طرفا من ترجمة من نُسب البيت إليه

ترجمة ابن حجاج

أما ابن الحجاج فهو[١] أبو عبد الله الحسن بن أحمد البغدادى

قال الثعالبى فى حقه : هو من سحرة الشعراء[٢] وعجائب العصر، وفرد الزمان فى فنه الذى شهر به ، ولم يُسْبَق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه فى نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يريد من المعانى التى تقع فى طَرْزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبة المعانى ، وانتظامها فى سلك الملاحة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مَشُوبة بلغات المحدثين والمولدين[٣] وأهل الشطارة ، لكنه على علاته يتفكه الفضلاء بثمار شعره ، ويستملح الكبراء بينات فكره ، ويستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه[٤] ومنهم من يغلو فى الميل إلى مايضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء [والوزراء][٥] والرؤساء فلم يخل قصيدة فيهم عن سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام موفور الحظ من الاكرام والانعام ، مُجَاب إلى مقترحه من الصِّلات الجسام ، والأعمال المجدية التى ينقلب منها إلى خير حال ، وكان طولَ عمره يعيش فى أكنافهم عيشة راضيةً ، ويستثمر نعمة صافية ضافية[٦]

فمن نظمه قوله يصف نفسه [من الخفيف] :

---

(١) اقرأ هذه الترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٣-٢٥ - ٨٧ مصر)
(٢) فى اليتيمة « سحرة الشعر » وهو أنسب بطريقة الثعالبى المبنية على السجع .
(٣) فى اليتيمة مكان هذه الكلمة « مشوبة بلغات الخلديين والمكديين »
(٤) فى الأصل « وفدغه » وقد أثبتنا لفظ اليتيمة إذ كان هو المنقول عنه
(٥) الزيادة عن اليتيمة .
(٦) وقع فى الأصل « نعمة طافية صافية » وأثبتنا لفظ اليتيمة

حَدَثُ السِّنِّ لم يزَلْ يَتَلَهَّى علمُهُ بالمشـايخ العُلَمَاءِ
خاطرٌ يصفَعُ الفرَزْدَقَ بالشِّعْرِ ونَحْوٌ ينيكُ أُمَّ الـكسائى

وقوله [من الوافر] :

تَرانى ساكناً حانوتَ عطرٍ فإنْ أنشدتُ ثارلكَ الـكنيف

وقوله [من مجزوء الكامل] :

شعرى الذِى أصْبَحْتُ فيهِ فضيحةً بَينَ الملاَ
لا يستَجيبُ لخَاطرى إلا إذا دخـل الخَلاَ

ومن ملحه أنه دعا يوماً مغنية ، وكانت قبيحة المنظر ، فلما دارت الـكؤوس تساكرت عليه وتناومت وهوجالس فقال [من مجزوء الرمل] :

خطَتِ البظرَاءُ لما عَاينتْ مِفتاحَ دبرى[1]
ورَجتْ منى خيراً قُلتُ لا تَرْجين خيرى
اقعُدِى عنى وهذا فافعليهِ معَ غـيرى
أنتِ فى دعوَةِ أُذنى لستِ فى دعوةِ أَيْرى

وحضر يوماً مع صَديق له يكنى أبا الحسين فى دار رجل بخيل فالتمس أبو الحسين العشاء بعد الغداء فقال [من مخلع البسيط] :

يا سيدِى يا أبا الحُسين أنتَ رَفيعٌ بنقطتين
يا كَلَبَ الضَّرْس لَنْ يُدَاوى ضِرْسُكَ إلا بِـكلبتين[2]

---

(١) فى اليتيمة « عطت البظراء»
(٢) فى اليتيمة « ما يداوى » .

ويحك قُلْ لى جننتَ حتى تلتمِسَ الخبز مرَّتين
فى دارِ مَنْ خبزُهُ عليهِ ألفُ رقيب بألفِ عين

وحضر فى دعوة رجل آخر فأخر الطعام إلى المساء فقال [من مجزوء الكامل]:

ياصاحبَ البَيْت الذى ضيفَانُهُ ماتوا جميعاً(١)
حصَّلْتَنَا حتى نمُو ت بدائنا عطَشاً وَجُوعا
مالى أرى فلكَ الرغيف لديكَ مشترفاً رفيعا
كالبَدْر لا نَرْجُو إلى وقتِ المَساء له طُلوعا

وصار صاحب الدعوة يجىء و يذهب فى داره فقال [من السريع]:

يا ذاهباً فى دَاره جائياً لغير ما معنى ولا فائِدَهْ
قد جُنَّ أضيافك من جُوعهم فاقرَأ عليْهم سُورةَ المَائِدَهْ

وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية قد كان وليها، فكتب إليه [من الوافر]:

أيامن وجهُهُ قمرٌ منيرٌ يُضىء لنا وَرَاحتُهُ سحابُ
إذا حَضَرَ الحساب أعدت ذكرى وتنسانى إذا حَضَرَ الشَّرَاب
أجبنى بالقـــانى والمَثَانى ووجهِـكَ إنهُ نِعْمَ الجوَابُ
وكِلْنِى فى الحسابِ إلى إلٰهٍ يسامِحُنى إذا وُضعَ الحسابُ

وكان له صديق له ابن يكنى أبا جعفر، وكان مشتهراً بالقحاب، فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج فكتب إليه [من السريع]:

إياكَ والعِفَّة إياكا إياكَ أنْ تفسد مَعناكا
أنتَ بخير يا أبا جعْفَر مادُمْتَ صُلبَ الأيرنَيَّا كا

---

(١) فى اليتيمة « أضيافه ماتوا جميعا »

فنيكْ ولوْ أُمَّكَ واصفَعْ ولو أباكَ إن لامكَ فى ذا كا

وكان الرئيس أبوالفضل والوزير أبو الفرج قد دخلا الديوان لمقاربة أصحاب الوزير المهلبي عقب موته ، وأمرا بأن تلوث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من الباب ، وكان المهلبي قد فعل مثل هذا ، فحضر ابن الحجاج فحُجِب وخاف من النفط فانصرف وقال [من مخلع البسيط] :

الصفعُ بالنِّفط فى الثياب مالم يكن قَطُّ فى حسابى(١)

ليْسَ يقُومُ الوُصول عِندى مقَام خيطين مِنْ ثيابى(٢)

يا ربِّ مَنْ كان سَنّ هذا فزده ضِعفًا منَ العَذاب

وكان ابن شيرزاد(٣) قد صارع السبع فقتله ، ثم عاد لمثله، فكتب إليه ابن الحجاج يقول [من مخلع البسيط] :

يامَنْ إلى مَجْدِهِ انقطاعى ومَنْ به أخصبَتْ رباعى

قد زاد خوفى عليكَ جدا وعظمَ الأمْرُ فى ارتياعى

فى كلِّ يَوْم سبع جديدٌ ينفُرُ مِنْ ذكرِهِ استماعى

تَغْدُو إليْهِ بلاَ احتشامٍ ولا انقباضٍ ولا امتناع

وليْسَ قتْلُ السباع مِما يُدْرك بالخَتْلِ والخداع

إنَّ صِراعَ السباع عندِى حاشاكَ ضَرْبٌ مِنَ الصُّدَاعِ(٤)

اعدلْ إلى الكأسِ والنَّدامَى والأكلِ والشُّربِ والسماعِ

---

(١) فى الأصل « الصفع بالنفط فى الحجاب » وقد أثبتنا ما فى اليتيمة ، وهو المتجه ، بدليل عجز البيت الثانى .

(٢) فى الأصل « مقام خطين » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

(٣) فى اليتيمة « ابن شيراز » .

(٤) فى الأصل « ضرب من الصراع » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

وأمردٍ جامعٍ لشرطِ الـــعناقِ والبوسِ والجماعِ
بلى أجعْ لى السباعَ واطرحْ خصمى فى بركة السباعِ

وقلده لوزير ناحيةً ، فخرج إليها يوم الخميس ، وتبعه كتابُ الصرف يوم الأحد ، فكتب إليه [من مجزوء الكامل] :

يا منْ إذا نظرَ الهلا لُ إلى محاسنهِ سجدْ
وإذا رأته الشمسُ كا دتْ أن تموتَ منَ الحسدْ
يومَ الخميس بعثتنى وصرفتنى يومَ الأحدْ
فالناسُ قدْ غنّوا علىّ كما رجعْتُ إلى البلدْ
ما قامَ عمرٌو فى الولا يةِ ساعةً حتى قعدْ

ومن شعره فى بواب أعور حجبه عن رئيس [من السريع] :

سمعتَ فيمنْ ماتَ أومن بقى بمقبل بوّابهُ أعورُ
واللوزَةُ المُرّة يا سيدى يفسدُ فى الطعمِ بها السكرُ

ومنه أيضاً [من البسيط] :

إنى ابتليتُ بأقوامٍ مواعدُهمْ تزيدُ فوقَ الذى ألقاه منْ محَنِ
ومنْ يذُقْ لسعةَ الأفعى و إن سلمتْ منها حشاشتهُ يفزعْ منَ الرّسنِ (١)

وقال [من السريع] :

فقرٌ وذلٌ وخمولٌ معاً أحسنتَ ياجامعَ سفيانِ (٢)

---

(١) فى هذا المعنى تقول العامة من أهل مصر « الذى تلدغه الحية يخاف من الحبل »

(٢) جامع سفيان : يضرب مثلا للشىء الجامع لكل شىء ، ومثله سفينة نوح ، وقبل البيت الذى رواه المؤلف قوله :

بالله قولوا لى ولا تغضبوا لست من الحق بغضبان

وكتب إلى أبى أحمد بن ثوابة ، وقد شرب دواء مسهلا [من الخفيف] :

يا أبا أحمد بنفسيَ أفديـك وأهلى من سائر الأسواءِ
كيفَ كان انحطاط جمسك فى طا عةِ شرب الدواءِ يوم الدواءِ
كيفَ أمسى مسالُ مبعرك النذْ ل خضيباً بالمِرّة الصفراء (١)
يا أبا أحمدٍ ونصحُكَ عندى واجبٌ للأخاء فاحفظْ إخائى (٢)
رُبَّ ريحٍ يومَ الدواءِ دبورٍ شوّشتْ فى عصاعصِ الأغنياءِ
قدّروها فساً وقد كنَ الجعـس لهمْ فى مهبّ ذاكَ الفساءِ
فاذا الفرشُ فى خليجٍ سُلاحٍ ذائبٍ فى قوامِ جسمِ الماء
فاتقِ الله أن تغرّكَ ريحٌ عَصَفَتْ فى جوانب الأحشاء
لاَ تنفس خناقَ سرمكَ عنها أوْ تخلى سَبيلَهُ فى الخلاءِ
والغداء الغداء فاحذرْ بأن تفـسو فوقَ الفراش بعدَ الغداءِ
احترسْ إنها نصيحة كهلٍ حنّكتهُ تجاربُ الآراءِ
غيرَ أنى أصبحت أضيعَ فى القوْ مِ من البدرِ فى ليالى الشتاءِ

وقال يعاتب أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن على قبوله دعوى من ادّعَى عنده أنه هجاه ، وأبو الفضل يومئذ بشيراز ، وابن الحجاج ببغداد ، [من السريع] :

يا سامعَ الزور وبهتانهِ ودافعَ الحق وبرهانهِ
عجبتُ من رأيك فىَّ الذى أنكرَنى من بعدِ عرفانهِ

---

(١) فى اليتيمة « سبال مبعرك » وفيه « فى المرة الصفراء »

(٢) فى اليتيمة « واجب فى الاخاء »

فكيف تحيى ذم من مدحه ... فيك يرى أول ديوانه
ومن له فى شعره مذهب ... ذكرك منه نور بستانه
تمضى لياليه وأيامه ... وسره فيك كاعلانه
وست بالساكن فى منزل ... ينبو ولو يوما بسكانه
ولا الذى يرهب فى الحق من ... سلطان ذى عز لسلطانه
قل للذى جهز فى السعى بى ... تجارة عادت بخسرانه
ياذا الذى لابد من صفعه ... ألفا ومن تعريك آذانه
لا تغترر أنك من فارس ... فى معدن الملك وأوطانه
لو حدثت كسرى بذا نفسه ... صفعته فى جوف إيوانه(١)

وقال يهجو بخيلا [من المتقارب] :

وذى همة فى حضيض الكنيف ... وقرنين فى فلك المشترى
دخلت عليه انتصاف النهار ... على غفلة حين لم يشعر
وبين يديه رغيفان مع ... سكرجة كان فيها مرى
فلما قعدت فسا فسوة ... فلم تخط عصفتها منخرى
وأقبل يضرط فى إثرها ... فقلت أقوم ، وإلا خرى

وقريب منه قول الآخر [من المتقارب] :

تغير إذ جئته للسلام ... وأرعد لما رآنى دخلت
فقلت له لا يرعك الدخول ... فما جئت والله حتى أكلت

وقال فى صديق عاتبه على هفوة فاستدركها بشر منها [من مجزوء الخفيف] :

لى صديق جنى على ... مراراً فأكثرا

(١) فى الاصل « فى جوف ديوانه » محرفا عما أثبتناه

ثمّ لما عتبته غسلَ البولَ بالخرا

وقال فى إنسان مات بالقولنج [من مجزوء الرجز] :

يا أيها الثاوى الذى أفلحَ لو كانَ خرا

لمثل ذا اليوم يقا لُ من خرى فقد برا

ومن مجونه الحسن أيضا قوله [من السريع] :

قالتْ وقد قلت اعبثى لى به يوماً وقد قامت وقد ناماَ

لو كانَ إسرافيلُ فى راحتى ينفخُ فى أيركَ ما قاماَ

ومثله قوله أيضاً فى المجون [من البسيط] :

تقولُ لى وهىَ غضبى من تدللها وقد دعتنى لشىء رُبما كانا

إن لم تنكنى نيكَ المرء زوجتهُ فلا تلمنى إذا أصبحتَ قرنانا

كأنَ أيركَ شمعٌ فى رخاوته فكلما عركْتهُ راحتى لانا

وقد تبعه السراج الوراق ، فقال [من مجزوء الكامل] :

طوتِ الزيارةَ إذ رأتْ عصرَ المشيب طوى الزيارهْ

ثمّ انثنتْ لما انثنىَ بعدَ الصلابة كالحجارهْ

وبقيتُ أهربُ وهىَ تسألُ جارةً من بعد جارهْ

وتقولُ يا ستى استرحنا لاَ سراجَ ولاَ منارهْ

وقال أيضا [من المتقارب] :

إذا يئسَ المرءُ من أيره رأت عرْسهُ اليأس من خيره

ومن كان فى سنه طاعناً فقد عدمَ الطعنَ فى غيره

وقال أيضا [من المجتث] :

ياقوم عالجتُ أيرى بالحشو لما تكمكْ

ولمْ يصحَ ودَادِى   منْ غادةٍ مُذْ تَوَعَّلكْ

وقال أيضا [من مخلع البسيط] :

قَامَ ، فلما دَنوْتُ منهَا   نامَ وما مثلُ ذاكَ خجلهْ

وكلّ كفى لفرط جَذْبى   لهُ وَما للجبانِ حملهْ

وَأصبعى لاَ تزالُ جنباً   لهُ وَلاَ هِمَّةَ اسفَلهْ

فزَحزَحتْ وانثنَتْ وقالتْ   قومُوا انظرُوا عاشقاً بوصلهْ

فقلتُ هذَا لفرط حُبي   قالت دع الترّهاتِ باللهْ

قلتُ أقيمُ الدليلَ قالتْ   لو قامَ ما احتجتَ للأدلَّهْ

وقال الشهاب ابن جلنك [من الوافر] :

وعلقٍ منْ بنى الأتراك ألمَى   لهُ عينانِ وُكلْتَا بهتْكِي

ظَفِرْتُ بِهِ عَلَى رَغْمِ اللَّيَالى   فَلَمْ يَدْخُلْ وأكثرَ فى التشكِّى

يقولُ عميرةُ ادفعنى عليهِ   وَلاَ تجزعْ وهانَ علىّ صكى

فلم أدفعْ عليهِ فظَلّ أيرى   يُقبلُ باب مفساهُ وَيبكى

وقال آخر [من السريع] :

وَرُبَّ علقٍ قال لى مرّةً   يريدُ توبيخى علَى ظنهِ

أيركَ هذامات قلتُ انحنِ   كرَامةُ الميت فى دفنهِ

وعكس ذلك ملغزاً فيه [من السريع] :

وصاحبٍ مازلتُ دهْرِى لهُ   بكلّ مليحٍ أتمناهْ

يعجبنى الشيء فأختارهُ   لهُ بجهدٍ علمَ اللهُ

إن ماتَ لاَ يمكننى دَفنهُ .   وإنْ يعشْ يوماً دَفَنَّاهُ

وقال الصلاح الصفدى مضمناً [من الخفيف] :

لىَ أيرٌ ينامُ لؤماً وشؤماً   إنْ أنانلتُ من حبيبٍ وصالاَ

وإذا ماغدَوتُ فى البيت فرداً طلب الطعن وحدهُ والنزالاً

وللسراج الوراق مضمنا أيضا [من الكامل] :

عهدى بأيرِى وهو فيه تيقظٌ كم قام منتصباً إذَا نبهتهُ

والآن كالطفل الصغير بمهدهِ يزدادُ نوماً كلما حركتهُ

وقال غيره أيضا [من الطويل] :

تعقف فوقَ الخصيتين كأنهُ رِشاءٌ على رأس الركيّةِ ملتفُّ

كفرْخٍ لهُ يومانِ يرفعُ رأسهُ إلى أبويه ثمّ يسقطهُ الضعفُ

ولنرجع إلى شعر ابن الحجاج ، ومنه وهو من هذه المادة [من الكامل] :

أسفى عليهِ ممدّداً فوْقَ الخصى شبهُ العليل فديتهُ من نائمِ

طمعُ الغوانى فى انتظارِ قيامهِ طمعُ الرّوافض فى انتظار القائمِ

وقال وهو فى غاية الحكمة [من السريع] :

لما رأتهُ قائما صفقتْ كذلكَ الناسُ معَ القائمِ

وقال من قصيدة ، وقد راوده بعض الوزراء على الخروج للقتال ، [من المنسرح] :

أهوَى انحدارى والحزمُ يكرههُ وتاركُ الحزم يركَبُ الغَرَرَا

لأننى عاقلٌ ويعجبنى لزُومُ بيتى وأكرهُ السفرَا

الخَيْشُ نصفَ النهار يعجبنى والماءُ فى الكوز بارداً خصرَا (١)

والشربُ فى روشنى أقولُ به كما أرَى الشمس منهُ والقمرَا (٢)

---

(١) فى اليتيمة « والخيش وسط النهار » وهو تحريف مما هنا ، وفيه فى عجز البيت * والماء بالثلج باردا خصرا *

(٢) فى اليتيمة « كما أرى الماء منه والقمرا »

ولا أقودُ الخيلَ العتاقَ ، بلَ أسوقُ وسط الأزقة البقرَا

من كلّ جاموسةٍ يقبلها رأسٌ بقرنيه يفلقُ الحَجرَا (١)

قد نفخ الشحمُ بطنَها فغدَا كأنهُ بطنُ ناقةٍ عُشَرَا (٢)

أحسنُ في الحربِ من صفوفكمُ عندي قعودي أصَفِّفُ الطُّرَرَا (٣)

هيهاتَ أن أحضر القتال وأنْ ترى بعينيك فيه لي أثرَا

بل الذي لا يزال يعجبني الـدّبيبُ في الليل خائفا حذرَا

آتي إلى تلك وهي نائمةٌ وذا إلى ذاك بعد ما سكرا

وضجةُ النيك كلما ضرطتْ واحدةٌ تحت واحدٍ نَخرَا

وقولُ بَعضِ المبزينِ وَقدْ شمّ فسانا بأنفه سَحرَا (٤)

في جحرِ هذا فطوره وَأرى أنّ خرا ذاك بعد ما اختمرا

الدّفُّ يومَ الصبوحِ يعجبني والبوقُ والنّايُ كلما زَمَرَا (٥)

وَحربتي كلماَ رَميتُ بهاَ مقتلَ سُرْمٍ خَضبتها بخرَا (٦)

هذا اعتقادي وهكذا أبدا أرَى لنفسي فأنتَ كيفَ ترَى

---

(١) في اليتيمة « من كل جاموسة لعنبلها » والعنبل - بضم العين والباء - البظر

(٢) في اليتيمة « قد نفخ الشحم جوفها فغدا »

(٣) في اليتيمة « غدا قعودي أصفف الطررا »

(٤) في الأصل « خش فسانا » وقد أثبتنا ما في اليتيمة

(٥) روى هذا البيت في اليتيمة هكذا :

الدف يوم الصبوح دبدبتي . وبوقي النـاي كلما زمرا

(٦) روى هذا البيت في اليتيمة هكذا :

وخربتي كلما رميت بها مقتـل ذقن خضبتها بخرا

ومن شعره أيضا قوله [من السريع] :

قدْ وقع الصلحُ على غلمتى فاقتسموهُ كارةً كارهْ
لاَ يدبرُ البقالُ إلا إذا تصالح السِّنَّوْرُ والفارهْ

وهذا مثل للعوامّ يقولون : في مصالحة السنور والغار خراب بيت العطار ،

وقال من أخرى [من السريع] :

فُديتَ لى يا سيدى وَحدِى وعشت ألفى سنةٍ بعدى
قد رحل النرجس فاشرب على محاسن المنثور وَالورد
من لى بها عندك مشمولةً قد أصبحَتْ معدومةً عندى
يمزجها لى رشأ أغيدٌ بريقهِ أحلىَ منَ الشهدِ
نهاية الحرّ بجسّ أسته وَريقهُ في غاية البرْدِ
جنىَ من البستان لى وَرْدَةً أحسن من إنجازه وَعدى
فقال والوردة في كفهِ مع قدحٍ أذكى من الندّ
اشرَبْ هنيئاً لكَ يا عاشقى ريقى من كفى على خدّى

وقال أيضا [من الوافر] :

فتاةٌ ما عرفنا قطّ منها بحمد الله إلا كلّ خير
فما تهوى سوى آيار شهراً وليس إمامها غير الزبير

وقال من أخرى [من مخلع البسيط] :

صبيةٌ بَظْرُها بجنبى يبيت مثل الصبى المخضَّبْ
مفعول باب استها بأير الفـــاعل فوق الفراش يُنْصَبْ
وسُرْمُها أمس كان غراً لم يتفقهْ ولا تأدّبْ
فاليوْم قد صار منذ قاسى أيورَ أهل الزنى وَجرَّبْ
إذا رأى الأير من بعيدٍ بوّق في وجهه ودَبْدَبْ

وديوان شعره كبير جدا ، وفيما أوردناه منه مقنع ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الأخيرة عام إحدى وتسعين وثلاثمائة ، بالنيل، وهو نهر وبلد معروف بأرض العراق مخرجه من الفرات وعليه قرى كثيرة حفره الحجاج ابن يوسف وسماه باسم نيل مصر ، ثم حمل ابن الحجاج إلى بغداد ودفن عند مشهد موسى بن جعفر الصادق ، وأوصى بأن يدفن عند رجليه وأن يكتب على قبره (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) وكان من كبار الشيعة المغالين فى حب أهل البيت .

قال أبو الفضل بن الخازن رأيت أبا عبدالله بن حجاج فى المنام بعد موته فسألته عن حاله فأنشدنى [من مشطور الرجز] :

أفسَدَ حُسْنَ مذهبى فى الشعرِ سوء المذهَبِ
وحملِىَ الجِدَّ على ظَهْرِ حصان اللَّعِبِ
لم يرْض مولاىَ على سبِّى لأصحابِ النبي
وقال لى ويلَكَ يا أحمــق لِمْ لمْ تَتُبِ
مِنْ سبِّ قومٍ مَنْ رجا ولاءهم لم يَخِــبِ
رُمْتَ الرِّضا جهلاً بما أصــلاكَ نارَ اللهــبِ

قال هبة الله بن الدباس : أنشدنا ابن الخازن هذه الأبيات بمحضر جماعة من أهل الأدب ، فقالوا : والله إنها لنفَس ابن حجاج ، وكتبوها عنه .

ولما مات رثاه الشريف الرضى الموسوى بقصيدة منها [من المتقارب] :

نَعَوْهُ على حُسْنِ ظنى به فلله ماذا نَعَى النَّاعيــانِ
رضيعُ ولاء له شُعْبَةٌ من القلبِ مثلُ رَضيعِ اللِّبانِ

وما كنتُ أحسَبُ أن الزمانَ يَفلُّ مضاربَ ذاك اللسانِ[1]

بكينك للشُّرَّدِ السائرا ت تعنق ألفاظها بالمعانى

لِيَبْكِ الزمانُ طويلاً عليكَ فقد كنتَ خِفّةَ روحِ الزمانِ

ترجمة محمد ابن ابراهيم الأسدى

وأما محمد بن إبراهيم الأسدى فقد ذكره العماد الكاتب فقال : هو من أهل مكة ، لقى أبا الحسن التهامى فى صباه ، ومولده بمكة المشرفة ، ومنشأه بالحجاز وتوجه إلى العراق ، وخدم الوزير أبا القاسم المغربى ، ثم بلغ خراسان وعُمِّرَ إلى أن بلغ حد المائة ، ولقى القرن بعد القرن والفئة بعد الفئة ، وتوفى بغزنة سنة خمسمائة ، ومن شعره [من الطويل] :

كفى حزَناً أنى خدَمتكَ برْهَةً وأنفقتُ فى مَدْحيكَ شرْخَ شبابى

فلم يُرَ لى شكرٌ بغير شكايةٍ ولم يُرَ لى مدحٌ بغير عِتابِ

***

١٦٠ — إن يَقتلوكَ فقدْ ثَلَلْتَ عُروشَهُمْ بعُتَيبةَ بنِ الحارثِ بنِ شهابِ شاهد الاطراد

البيت من الكامل ، وهو لربيعة من بنى نصر بن قُعَين يرثى ذؤاباً ابنه ، ويقال : قائله داود بن ربيعة الأسدى ، وبعد البيت :

بأحَبِّهِمْ فقداً إلى أعدائِهِ وأشَدِّهم فقداً على الأصحاب

والثَّلُّ : الهدم ، يقال : ثل الله عروشهم ، أى هدم ملكهم ، ويقال للقوم إذا ذهب عزهم وتضعضع حالهم : قد ثُلَّ عرشهم ، والمعنى : إن تبجحوا بقتلك وصاروا يفخرون به فقد أثرت فى عزهم وهدمت أساس مجدهم بقتلك رئيسهم عتيبة بن الحارث ، وكان من خبر قتله ما حكاه أبو عبيدة .

---

(١) فى الأصل « يفل مضارب ذاك اللسان » محرفا عما أثبتناه .

والشاهد فيه : الاطراد ، وهو أن يأتى الشاعر باسم الممدوح أو غيره وأسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم »

ومن شواهده الشعرية قول دريد بن الصِّمَّة يرثى أخاه عبد الله [من الطويل] :

من أمثلة الاطراد

قتلنا بعبد الله خيرَ لِداتِهِ ذؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارب

يروى أن سبرة بن عياض الجُشَمى أنشد عبد الملك بن مروان قصيدة دريد التى منها هذا البيت ، فلما وصل إليه قال : كاد يبلغ به آدم ، ولما وصل إلى قوله منها :

ولولا سَوَادُ الليل أدركَ رَهْطُنَا بذى الرمث والأرْطَى عياضَ بن ناشب

قال عبد الملك : ليت الليل أمهله ساعة ، أو قال : وددت أنه كان بقى عليه فُوَاق من النهار

ومنه قول الأعشى [من الطويل] :

أقيْسُ بن مسعود بن قيس بن خالدٍ وأنت امرؤٌ ترْجو بقَاءكَ وائلُ

وقول الحارث بن دوس الايادى [من الرمل] :

وشبابٍ حَسَنٍ أوجُهُهم من إياد بن نزار بن مَعَدّ

وقول أبى تمام الطائى [من السريع] :

مناسبٌ تحسَبُ من مَرْدِها منازلاً للقمر الطالعِ

كالدَّلو والحوت وأشْرَاطِهِ والبطن والنجمِ إلى التَّالِمِ

نوح بن عمرو بن حوى بن عمـــرو بن حوى بن الفتى المانِـعِ

فأتى بستة وقابلها بستة لولا أنه نغص بذكر الفتى فى سادس جد، ولم يرد فتى السن ، وإنما أراد الفتوة ، ولكنه موهم . والتالع : الدبران ، كأنه تلع جيده : أى مده ، وقوله أيضا وهو ظاهر التكلف الذى يأباه الاطراد [من الكامل] :

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سمكهم لا يفهم

وقال الآخر [من الخفيف] :

من يكُنْ رَامَ حاجَةً بعُدَتْ عنـــهُ وأعْيَتْ عليه كلَّ العياءِ

فَلها أحمد المرَجّى بن يحيى بن معاذِ بن مسلم بن رجاء

وقال ابن دريد وجمع ثمانية أسماء فى بيت واحد [من الطويل] :

فنِعْمَ أخو الجلى ومستنبطُ النَّدَا وملجأ محزونٍ ومَفْزَعُ لاهِثِ

عياذ بن عمرو بن الحُلَيْس بن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارثِ

وقول بعضهم فى تهنئة الصاحب بن عباد [من الكامل] :

تهْنِى ابنَ عبادِ بن عباس بن عبـــد الله نُعْمَى بالكرامةِ ترْدفُ

وقول الأديب يعقوب بن أحمد النيسابورى فى السيد أبى القاسم على بن موسى الموسوى [من الطويل]:

يقولون لى هل المكارم والعُلاَ قِوَامٌ ففيه لو علمت دَوامُهَا

فقلت لهم والصدق خُلْقٌ ألِفْتُهُ علىُّ بن موسى الموسَوِىُّ قوامُهَا

وقوله فيه أيضاً [من المتقارب] :

يقولُ صديقى ألا دُلَّنِى على برْمكِ الجودِ أو حاتِمِ

فقلت وأقْسمت : ربُّ العلا على بن موسى أبو القاسِمِ

وقول الباخرزى من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن الحسين بن طلحة [من المتقارب] :

أبا الحسَنِ السيد الأريحىَّ محمد بن الحسين بن طلحهْ

وقول أمية فى القاضى منصور بن محمد الأزدى [من الكامل] :

قالت تُفَتّشُ عن أولى المجدِ مَنْ فى الأنامِ لطالبِ الرِّفْدِ

فَأَجَبْتُ قاضينا وسيّدنا منصور بن محمد الأزدى

وقول الأديب أبى الحكم مالك بن المرحل يمدح الفقيه الفاضل أبا عبد الله ابن يربوع [من البسيط] :

صحبتُ فى عمرنا ناساً أولى حَسَبٍ حازوا الثناء بموْروثٍ ومَطْبوع (١)

فلم أجد فاضلا فيما صحبت سوى محمد بن أبى العيش بن يربوعِ

وقول ابن باتلين من أبيات [من الكامل] :

لاموا على ظمئى إليك فما دَرَوْا فى ماء خدّكَ ما حلاوةُ مَوردِى

طوراً أُحيى بالأقاحِ وتارةً فى الخدّ بالريحان والوردِ النّدِى

وجهٌ كما سَفَرَ الصباحُ وحولهُ حسنى بقايا جنحِ ليلٍ أسودِ

وكأنما خافَ العيونَ فألبستْ وجناتهُ زرداً مخافةَ معتدِى

أنّى يخاف من استجار محبةً بمحمد بن على بن محمدِ

وقول السراج الوراق فى ولد هذا الممدوح، وهو أكمل مما قبله [من الكامل]:

فله الجمالُ غدا بغير منازعٍ ولىَ الجوَى فيه بغير قَسيمِ

وكذا العلاَ لمحمد بن محمد بن على بن محمد بن سليمِ

وقول ابن أبى الأصبع [من البسيط] :

أجلُّ مَلْكٍ إلى العلْيَاء مَنسُوب محمد بن أبى بكر بن أيوب

ولمؤلفه فيمن ألف الكتاب باسمه الكريم [من مجزوء الرجز] :

فاق جميعَ الأقرانْ وساد كلَّ الأعيانْ

ولم يفتهُ فضلٌ بل زادفوق الاحسان

---

(١) فى الأصل « صحبت فى عمرى » ولا يستقيم به وزن البيت

أبو البقا يحيى بـــن شاكر بن الجيعانْ [١]

ومنه ما كتبه مجد الدين بن الظهير الحنفى على إجازة [من مجزوء الرجز]

أجازَ ما قد سألوا بشَرْطِ أهل السَّنَدِ

محمد بن أحمد بـــن عمرو بن أحمد

ولأبى جعفر الأندلسى فى مثله أيضاً [من الرجز] :

أذنت أن يَرْوُوا جميعَ ما به حدَّثنى كلُّ إمامٍ سالكِ

يقول ذا متبعاً لشَرْطِهِ أحمد بن يوسف بن مالك

ومن البديع فيه قول ابن معايا الشاعر يمدح الخليفة بالأندلس إدريس بن حمود من أبيات [من الرمل] :

وكأن الشمسَ لما أشْرَقَتْ فانثنت عنها عيونُ الناظرين

وجه إدريس بن يحيى بن على بن حمود أمير المؤمنين

وكان وهو فى حالة الانشاد وراء الحجاب على عادة خلفائهم فى ذلك ، فلما بلغ إلى قوله :

انظرونا نقتبس من نوركم إنهُ من نورِ رَبّ العالمين

أمر برفع الحجاب حتى نظر إليه .

ومن المجون فيه قول ابن مهدى الكسروى فى ضرطة وهب بن سليمان [من مجزوء الرمل] :

إن وهب بن سليما ن بن وهب بن سعيد

حمل الضَرْطَةَ للرَّىَّ على ظهرِ البريدِ

فى مهماتِ أمورٍ منهُ بالركض الشديد

---

(١) فى الأصل « أبو البقاء بن يحي بن شاكر » ولا يستقيم معه وزن البيت .

استهُ تَنطقُ يومَ الجحفـــلِ بالأمرِ الرشيدِ
لم يُجِدْ فى القول فاحتا ج إلى دُبْرٍ مُجيدِ

وضرطة وهب هذا ذاع أمرها، وشاع ذكرها، وأكثر شعراء عصره من النظم فيها بما الاعراض عن ذكره أليق، والاضراب عن نشره أنسب. ذكر على ابن يحيى قال: ما رأيت أظرف من سليمان بن وهب، ولا أحسن أدبا، خرجنا نتلقاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بغاء فقال: هات الآن حدثنى يا أبا الحسن بعجائبكم، وما أظنك تحدثنى بأعجب من خبر ضرطة وهب بحضرة القاضى، وما سير من خبرها، وما قيل فيها، ومن العجائب أنها بشهادة القاضى فليس يزيلها الانكار، وجعل يضحك، وسليمان بن وهب هذا تنقلت به الأحوال إلى أن استوزره المهتدى، ثم قبض عليه الموفق أخو المعتمد، وعلى ابنه عبيد الله بعد أن استكتبهما، فنكبهما، ومات سليمان فى محبسه، ورثاه الشعراء بمراث كثيرة، والله أعلم.

***

١٦١ — ما ماتَ مِنْ كَرَمِ الزمانِ فإنهُ يحيا لدى يحيى بن عبد اللهِ

شاهد الجناس المستوفى

البيت لأبى تمام من قصيدة من الكامل [١] يمدح بها أبا الغريب يحيى بن عبد الله أولها:

إحدَى بنى عمرو بنِ عبدِ مَنَاهِ بين الكَثيبِ الفَرْدِ فالأمْواهِ
ألقى النَّصيفَ فأنتِ خاذلةُ المَوى أُمنيةُ الخالى ولهوُ اللاهى [٢]

---

(١) اقرأها فى ديوان أبى تمام (٣٤١ بيروت) وانظر نقدا لصدر المطلع وعجز البيت السادس فى الموازنة للآمدى (٢٤ بتحقيقنا)

(٢) فى الديوان «فأنت خاذلة المها»

رَيّا يعارضُ خَصْرُها أردافَهَا وتطيبُ نكهتُهَا بلا استنكاهِ [1]

عَرَضَتْ لنا يومَ اللوَى فى خُرَّدٍ كالسِّرْبِ حُوِّ إنّىً وأُمْسِ شفاهِ [2]

بيضٌ يلوحُ الحسن فى وجناتها والملحُ بين نظائرٍ أشباهِ [3]

لم تجتمع أمثالها فى موطنٍ لولا صفاتٌ فى كتاب الباهِ [4]

ومُفَنِّدٍ لوَّامة نَهْنَهْتُهُ عن مُغْلِظٍ لعدُوِّهِ نجَّاهِ [5]

ومؤنب لى كى أفيق وإننى لأصم عن ياه وعن ييهاه [6]

دعنى أقم أوَدَ الشباب بوصلها إن السَّفاه بها لغير سَفاهِ [7]

فاذا انقضت أيام تشييع الصبا أظهرت توبة خاشعٍ أواهِ

ومعاودٍ للبيد لا يهفُو به هافٍ ولا يزهاه فيها زاه

مُهْدٍ لألطَافِ الثَّنَاء إلى فتىً كالبدرِ لا صَلِفٍ ولا تيَّاهِ

لأبى الغريب غرائباً من مدحتى فى غير تعقيدٍ ولا استكراه [8]

---

(١) فى الديوان « ريا يجاذب خصرها أردافها » وفيه «على استنكاه»

(٢) فى الديوان « عرضت لنا يوم الحي »

(٣) فى الديوان « بيض يجول الحسن »

(٤) فى الأصل « لولا صفات فى الكتاب الناهي » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان ، وفى الموازنة (ص ٢٤ بتحقيقنا)

(٥) فى الأصل « عن ملفظ » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان . والمفند : المخطىء . ونهنهته : زجرته أو كففته ، والنجاه : الذى يستقبل الناس بما يكرهون ، وهو من صفات المفند

(٦) فى الديوان « ومؤيه بى كى أفيق » والمؤيه : المنادى .

(٧) فى الأصل « إن الشفاه بها لغير شفاه » وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان .

(٨) فى الديوان « لأبى الغريب غرائبا من مدحه »

و بعده البيت ، و بعده :

كالسيف ليس بزُمّلٍ شِهْدارَةٍ يوماً ولا بعَضُبَّةٍ جَبّـاهِ (١)

وهى طويلة ، والزمل — بضم الزاى وتشديد الميم — الجبان الضعيف ، والشهدارة — بالكسر — الفاحش والنمام المفسد بين الناس والقصير والغليظ .

والشاهد فيه : الجناس المستوفى ، وهو : أن يكون اللفظان المتفقان من نوعين كاسم وفعل .

ومن الشواهد الشعرية عليه قول محمد بن عبد الله بن كناسة الأسدى الكوفى وهو ابن أخت إبراهيم بن أدهم رحمهما الله [من الطويل] :

وسميتهُ يحيي ليحيا فلم يكن إلى رَدّ أمر الله فيه سبيل

تفاءلت لو يغنى التفاؤل باسمه وما خلت فألا قبل ذاك يفيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومى [من البسيط] :

للسودِ فى السود آثار تركْنَ بها وَقعاً منَ البيض يثنى أعين البيضِ

وقول أبى الفتح البستى فى السلطان عين الدولة [من الوافر] :

بسيف الدولةِ اتسقتْ أمورٌ رَأيناها مبـدّدةَ النظامِ

سَمَا وحَمَى بنى سامٍ وحامٍ فليسَ كمثلهِ سامٍ وحامِ

وقوله أيضا [من السريع] :

قلت لطَرْف الطبع لما ونَى ولم يطع أمرى ولا زَجرِى

مالكَ لا تجرى وأنت الذى تجرى مدى العلياء إذ تجرى

فقالَ لى دَعنى ولاَ تؤذنى إلى متىَ أجرى بلاَ أجرِ

---

(١) فى الأصل « ولا معضوبة جباه » وقد أثبتنا ما فى الديوان . والعضبة : كثير العضب ، والجباه : الذى يلقى الناس بما يكرهون .

وقول على بن أحمد الحليمى البديهى الملقب بنقيب الشعراء من أبيات وهى [من البسيط] :

فماطلنى قهوةً صهباء صافيةً ... بها تطايرَ عنْ قلبى الجوَى شفقا
منْ كفِّ ساقٍ إذا ماجاءنا فسقَى ... دَعا إلى حبِّهِ أهواءَ مَنْ فَسقَا

وقول النزى أيضاً [من البسيط] :

لمْ نلقَ غيرَكَ إنساناً نلوذُ بهِ ... فلا برحتَ لعينِ الدَّهر إنسانا

وقول الصفى الحلى فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الناصر حسن وهو [من الكامل] :

أسْبَلْنَ منْ فوْقِ النُّهودِ ذوائِبًا ... فتركْنَ حبّاتِ القُلوبِ ذوائِبا

ومثله قول الامام أبى الحسن نصر المرغينانى [من الطويل] :

ذوائبُ سودٌ كالعناقيدِ أسبلتْ ... فمنْ أجلها مِنّا النُّفوسُ ذوائبُ

وقول ابن نباتة فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الأفضل صاحب حماة [من الكامل] :

مابتُّ فيكَ بِدمعِ عينى أشرَقُ ... إلاَّ وأنتِ منَ الغزَالةِ أشرَقُ

ولمؤلفه رحمه الله تعالى فى مطلع قصيدة مهنئا بالشفاء لمن ألف هذا الكتاب باسمه الكريم [من الكامل] :

بدْرُ الهنا بشفاء ذَاتكَ أشرَقا ... وأغصَّ مَنْ يَجفُو علاكَ وأشرَقا

وما ألطف قول بعضهم [من المجتث] :

القلْبُ مِنّى صَبٌّ ... والدَّمعُ مِنّى صَبٌّ

وقد أخذه ابن نباتة وحصر المعنيين فى ركن واحد فقال [من الكامل] :

دمعى عليكَ مُجانسٌ قلبى ... فانظرْ على الحالينِ فى الصَّبِّ

ومثله قول مجير الدولة بن عبد الظاهر ملازانى كوز [من مجزوء الوافر] :

وذِى أُذُنٍ بِلا سَمْعٍ لهُ قَلْبٌ بِلا قَلْبِ
إذَا استولَى على صبٍ فقلْ ما شئْتَ فى الصَّبِّ

وما أحسن قول ابن شرف [من مجزوء الرجز] :

يا ناوِياً فى معشرٍ قد اصطلى بنارِهمْ
إنْ تبلكِ منْ شِرارهمْ على يَدَىْ شِرارهمْ
أو تُرْمَ منْ أحجارهمْ وأنت فى أحجارهمْ
فما بقيتَ جارَهمْ ففى هواهُمْ جارِهمْ
وأرْضهمْ فى أرْضهمْ ودارِهمْ فى دارِهمْ

وقول ابن فضالة المجاشعى القيروانى ، وقيل : ابن شرف [من السريع] :

إنْ تُلْقكَ الغُرْبةُ فى معشرٍ قدْ أجمعوا فيكَ على بغضهمْ
فدارِهمْ ما دُمتَ فى دارِهمْ وأرْضِهِمْ مادُمتَ فى أرْضهمْ

* * *

شاهد جناس التركيب

١٦٢ — إذَا مَلكٌ لمْ يكُنْ ذَاهِبهْ فدَعْهُ فدَوْلتهُ ذَاهِبهْ

البيت لأبى الفتح البستى، من المتقارب .

والشاهد فيه: جناس التركيب، وهو : المتفق لفظاً وخطا .

وما أحسن قول الشاعر فيه [من مجزوء الرمل] :

عضنَّا الدهرُ بِنابهْ ليْتَ ما حلَّ بِنابهْ

وقول شمسويه المصرى فى غلام يبيع الفرانى [من الخفيف]

قلتُ للقلبِ مادَهاكَ أجبنى قال لى بائعُ الفرَانِى فرَانِى

ناظـراهُ فيما جنىَ ناظرَاهُ أو دَعانى أمُتْ بما أودَعانِي

وقول أبى الحسن المرغينانى [من مجزوءِ الرمل] :

صَارَ مَتْنى مثلَ قوْسٍ نزعتْ مُذْ صارَمتنِي

وقول الحاكم أبى حفص عمر المطوعى [من الوافر] :

ألاَ يا سـيداً خُلقَتْ يداهُ لنزْوَةِ مُعـدمٍ أوْ يُسْرِعَانِى

مَضى العسرُ الذى قاسيْت فاعدلْ إلىَ يُسرَيْنِ نحوكَ يُسرعَانِ

وقول بعض المغاربة ، وأجاد [من الخفيف] :

لَبسَ البرْنسَ المليحُ فباهَى ودَرَى أننى محبٌّ فتَاهَا

لوْ رأتهُ زليخةٌ حينَ وافَى لتمنتـهُ أنْ يكونَ فتَاها

ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

رَبِّ سَهِّلْ على فتَاتى فتَاتِى لترَى هلْ سَلاَ فتَاها فتاهَا

علمتهُ جفونهَا آىَ سحْرٍ ماتلاهَى عنْ حبهَا مُذْ تلاَهَا

وقول الباخرزى أيضا [من السريع] :

قدْ مُلئتْ زَوْزَنُ من سادةٍ لهمْ نفوسٌ بالعلى عارفَاتْ

ما أغتدى إلا وَمن عندهمْ عارفةٌ عندىَ أو عَارفَاتْ

قدْ بقىَ الفخرُ بهمْ والندَى والبأسُ والبخلُ مع العارفَاتْ

ومثله قول أبى بكر اليوسفى [من السريع] :

وَرَدتُ مالـينَ فألفيتُهَا رُمانَةً حَبّاتُهـا المكرُمات

أصبحَ من ظرفِ سـجاياهمُ عَاشَ الوفاءُ المحضُ والمكرُمَاتْ

وقول أبى الفضل الميكالى [من البسيط] :

تفرق الناسُ فى أرْزَاقهمْ فِرَقاً فلاَبسٌ مِنْ ثراءِ المالِ أوْ عَارِى

كم نعشٍ في الدنيا وكم ... خصومةٍ بين نعشٍ ونعاشِ

من مَنَّ بعقدٍ جوزٍ في قصبٍ ... فقد عزَّ متنه في العين وعثارِ

وقوله أيضاً [من المتقارب]:

لئن أنت غبت عن الأعينِ ... ومذ غبت شمس الضحى أوجه

فإن كنت تقصد في حاجةٍ ... من الكتب عندي ولا أوجه

وقول شمس الدين محمد بن عبد الوهاب [من الرمل]:

حار في تفسيرِ من يبدعه ... كلُّ من في حيِّ دارٍ وورق

بدمٍ لا غلَّ وكان للحق ... وكذا بين حمى لا أورق

وقول الشمس الخجندي بباب المسجد الشريف النبوي [من الكامل]:

حسبي جوارك يا محمد وكفى به ... دفعت أنه من أوصابي

إن أخش ضيماً في حماه ولا أذى ... أنَّى وجيرانيَّ قد أوصلني

وقول الصلاح الصفدي فيه [من المجتث]:

يا من إذا ما أتمه ... أهل المودة أمّه

أنا محبك حقاً ... إن كنت في القوم لمّه

ترجمة أبي الفتح البستي

والبستي(1) هو: أبو الفتح علي بن محمد، الكاتب.

قال الثعالبي، رحمه الله تعالى، في حقه: هو صاحب الطريقة الأنيقة، في التجنيس الأنيس، البديع التأسيس، وكان يسميه المتشابه، ويأتي فيه بكل طريفة ولطيفة. وقد كان يلقب شعره العجيب الصنعة، البديع الصبغة.

من كل معنى يكاد الميت يفهمه ... حسناً ويعبده القرطاس والقلم

(1) تقرأ هذه الترجمة في يتيمة الدهر للثعالبي (٤ – ٢٨٤ مصر) ولأبي الفتح البستي ترجمة قصيرة في ابن خلكان (٢–٥٦٤)

[illegible] وفروه، ونحته فحته، وتلك قد تلونت، حتى [illegible]
[illegible] لم تكن جنة، ولهذه تتصف لزقة، حتى وقت [illegible]
[illegible] من غير طرح الصدر، وقد لبث على الأرض، بالاختيار على
[illegible] يتعرف في الأثر من البحر، وكأنه يجري له في [illegible]
[illegible] في [illegible] لهو يلبسه [illegible]، وتحته منه [illegible]
[illegible] أنه لم [illegible] من قرية القصب، في [illegible] وقصة [illegible]
[illegible] بين [illegible] في [illegible]، من حسن [illegible]
بحضرة في [illegible]، حتى [illegible] من قوله، [illegible]
[illegible] في عينه. بلا [illegible] من [illegible]
[illegible].

ومن خبره: أنه كان في عنفوان أمره [illegible] البيزرة، [illegible] فلما
قدم الأمير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين، [illegible]
[illegible] لمكاتبته، ثبت أبو الفتح [illegible] بحضرة الأمير
[illegible] فحضره [illegible]، و [illegible]
[illegible] وكتابه ومعرفته، وصنايعه وحكمه [illegible].

قال: فحدثني أبو [illegible] قال: حدثني أبو الفتح قال: [illegible]
الأمير سبكتكين: [illegible]، [illegible] في جهات شتى، [illegible]
دونه. وكان بالبزاة [illegible]، [illegible] بجميع [illegible] والطرح
[illegible]، فشققت [illegible] بالاختيار من أن يلحق [illegible] من
تلك الأمور، ويعرض [illegible] بعض تلك الخيل، فحضرته ذات يوم
وقلت: إن همة مثلي من أولئك هذه الصناعة لا ترتقي إلى أكثر مما رآني
الأمير أعلاه من اختصاصه واستخلاصه، وتقريبه واختياره لمهمات أموره
و[illegible]، غير أن حداثة عهدي بخدمته [illegible] كنت به موسوما، و[illegible] الأمور

بنقض ما بقى من شأنه، يقتضيان أن أسأله الاعتزال فى بعض أطراف مملكته ، ريثما يستقر هذا الأمر فى نصابه ، فيكون ما آليه من هذه الصناعة ، أسلم من التهمة ، وأقرب إلى السداد ، وأبعد من كيد الحساد ، فارتاح لما سمعه ، وأوقعه من الاحماد موقعه ، فأشار علىَّ بناحية الرخج ، وحكمنى فى أرضها أتبوأ منها حيث أشاء ، إلى أن يأتينى الاستدعاء ، فتوجهت نحوها فارغ البال ، رافه العيش والحال ، سليم اللسان والقلم ، بعيد القدم من مخاضات التهم . وكنت أدلجت ذات ليلة - وذلك فى فصل الربيع - أؤم منزلا أمامى ، فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ، ففتح ضياء الشروق طرفى علىَ قرية ذات يمنة محفوفة بالخضر ، معمومة بالنور والزهر ، وأمامها أرض كأنها بطون الحيات فى صفاء ماء الحياة ، وقد فغمنى من نسيم هوائها عَرْفُ المسك السحيق ، بالعنبر الفتيق ، فاستطبت المكان ، وتصورت منه الجنان ، وفزعت إلى كتاب أدب كنت أستصحبه لأخذ الفال على المقام والارتحال ، فكشف أول سطر من الصفحة عن بيت شعر ، وهو [من مجزوء الكامل] :

وإذا انتهيتَ إلى السلا مة فى مداكَ فلا تجاوزْ

فقلت : والله هذا هو الوحى الناطق ، والفأل الصادق ، وتقدمت بعطف ضِبنى إليها ، وعشت ستة أشهر بها فى أنعم عيش وأرخاه، وأهنأ شرب وأمراه، إلى أن أتانى كتاب الأمير فى استدعائى إلى حضرته بتبجيل وتأهيل ، وترتيب وترحيب ، فنهضت إليها ، وحظيت بما حظيت منها إلى يومى هذا .

قال : فكان اختياره ذلك أحد ما استدل به الأمير على عقله وجودة رأيه ، وتدبيره ورزانته ، ودرج به إلى محله ومكانته ، وصار من بعده ينظم بأقلام منثور الآثار عن حسابه ، وينسج بعباراته وشى فتوحه ومقاماته . وهلم جرا إلى زمن السلطان المعظم يمين الدولة ، وأمين الملة محمود بن سبكتكينَ ، فقد كتب له عدة فتوح ، قال فى أحد كتبه « كتبت وقد هبت ريح النصرة من مهبها ،

والأرض مشرقة بنور ربها - إلخ » واستمر إلى أن زحزحه القضاء عن خدمته ، ونبذه إلى ديار الترك عن غير قصده وإرادته ، فانتقل بها إلى جوار ربه عز وجل فى سنة أربعمائة من الهجرة النبوية .

ولنذكر من مليح نثره ونظمه ما رقّ له وراق ، وحلا فى الأذواق .

فمن فصوله القصار ، وأمثاله التى انتشر فضلها وسار : من أصلح فاسده أرغم حاسده ، من أطاع غضبه أضاع أربَه . عادات السادات سادات العادات. من سعادة جدك وقوفك عند حدك . أفحش الاضاعة الاذاعة . الرشوة رشاء الحاجة . اشتغل عن لذاتك بعمارة ذاتك . إذا بقى ماقاتك فلا تأس على مافاتك. ربما كانت الفطنة فتنة ، والمحنة منحة . من حصن أطرافه حسن أوصافه . أحصن من الجنة لزوم السنة . الرد الهائل خير من الوعد الحائل . طلوع العقوق أفول الحقوق . الحدة والندامة فرسا رهان ، والجود والشجاعة شريكا عنانٍ . والتوانى والخيبة رضيعا لبان . الفكر رائد العقل . نعمَ الشفيع إلى عدوك عقله . مسلك الحزن حَزْن . الخلاف غلاف الشر . المراء يهدم المروءة . رضى المرء عن نفسه دليل تخلفه ونقصه . عسى تحظى فى نمدك برغدك . ربما أغنت المداراة عن المباراة . لا ضمان على الزمان . من لزم السلم سلم . ليكن قرينك من يزينك إفراط السخاوة رخاوة . ربما كانت العطية خطية . لا يعدم السرعة ذو السرعة لكل حادث حديث . البشر نور الأصحاب . ما كل خاطر بعاطر . ما لخرق الرقيع مرقع . إن يكن لنا مطامع فى دَرَك درْك ، فأعفنا من شَرَك شرك . الغيث لا يخلو من العَيث .

ومن شعره فى الغزل وغيره [من البسيط] :

يايوسفَ الحسنِ ليلى بعدَ فرقتكمْ يحكى سِنِى يوسفٍ طولاً وتعذيبا
والشأنُ فى أننى أرمى لأجلكمُ بمثلِ ما قد رَمى إخوانُكَ الذيبا

ومنه [من الكامل] :

قالتْ وقد رَاودتها عن قبلةٍ تشفى بها قلباً كئيباً مغرَمَا
قَدّمْ يداً من قبل أن تدنى يَداً ومبرّةً من قبل أن تُدنى فمَا
إنّ الغرَام غرَامةٌ فمتى تكنْ بى مُغْرَماً فلتَحملن لى مَغْرَمَا

ومنه [من الكامل] :

أرأيتَ ماقد قال لى بدر الدُّجى لما رَأى طرفى يُديمُ سُهودَا
حتّى مَ ترمقنى بطرفٍ ساهرٍ أقْصِرْ فلستُ حبيبكَ المفقودَا

ومنه [من الخفيف] :

رُبَّ يومٍ للأُنس فيهِ فراغٌ ولكأسِ السرورِ فيهِ مساغُ
بيْننا للبخور غيمٌ ، وللما وَرْدِ طش ، وَللنوالى رداغُ

ومنه [من الكامل] :

يومٌ له فضلٌ علىَ الأيامِ مزَجَ السحابُ ضياءهُ بظلامِ
فالبرْقُ يخفقُ مثلَ قلبِ هائمٍ وَالغيمُ يبكى مثلَ طرفِ هامى
وكأنّ وجهَ الأرضِ خَدُّ متيمٍ وُصلتْ دموعُ سحابهِ بسجَامِ
فاطلب ليومك أربعاً هُنّ المنى وبهنَّ تصفو لذّةُ الأيامِ
وجهَ الحبيبِ ومنظراً مُستشرفا ومُغَنّيًا غرداً وكأسَ مُدامِ

ومنه فى وصف الكتب والخط وَالبلاغة [من الوافر] :

كتابك سيدى جَلّى همومى وجلّ به اغتباطى وابتهاجِى
كتابٌ فى سرائرهِ سرُورٌ مُناجيهِ منَ الأحزَان ناجِى
فكمْ معنى لطيفٍ درجَ لفظ هُنَاكَ تزاوجَا أىّ ازدواجِ (١)

(١) فى اليتيمة * فكم معنى لطيف ضمن لفظ *

كراحٍ في زجاجٍ بل كروحٍ سرى في جسم معتدل المزاجِ

ومنه أيضا [من الطويل] :

بنفسيَ من أهدَى إليَّ كتابهُ فأهدى ليَ الدُّنيا مع الدين في درجِ
كتابٌ معَانيهِ خلالَ سطورهِ لآلىءُ في دَرْجٍ كواكبُ في بُرْجِ

ومنه [من البسيط] :

لما أتانى كتابٌ منك مبتسمٌ عن كل برٍّ وفضلٍ غير محدودِ
حكتْ معانيهِ في أثناء أسطرهِ آثارَكَ البيض في أحوالي السودِ

ومنه [من البسيط] :

ما إنْ سمعت بنوّارٍ لهُ ثمرٌ في الوقت يمتعُ سمعَ المرء وَالبصرَا
حتى أتانى كتابُ منكَ مبتسمٌ عن كل لفظٍ ومعنى يشبهُ الدرَرَا
فكانَ لفظك من لألائهِ زَهراً وكانَ معناهُ في أثنائه ثمرَا
تسابقا فأصاباَ القصدَ في طَلَقٍ لله مِنْ ثمرٍ قد سابَقَ الزّهرَا

ومنه [من الوافر] :

إذَا أحببتَ أن تحظى بسحرٍ فلاَ تخترْ على لفظي وشعري
فأحسنُ من نظام الدرّ نظمي وآنَقُ من نِثَارِ الوردِ نثري

وَمنه فِي الفقهيات [من الطويل] :

عليكَ بمطبوخِ النبيذ فانهُ حلالٌ إذا لم يخطف العقلَ وَالفهمَا
ودَعْ قولَ من قد قالَ إنّ قليلهُ يُعينُ على الاسكار فاستويَا حكمَا[1]
فليسَ لمـا دون النصاب قضية النصاب وإن كان النصابُ به تمّا

---

(١) في اليتيمة « معين على الاسكار »

ومنه فى معناه [من البسيط] :

معاشرَ الناس أصغوا قد نصحتُ لكمْ فى الراحِ حكمٌ مليحٌ غيرُ ممقوتِ
قليلها مُستباحٌ والكثيرُ عمًى كغرفةٍ فردةٍ منْ نهرِ طالوتِ (١)

ومنه فى الطبيات والفلسفيات [من الخفيف] :

لاَ يغرَّنك أننى أليَنُ اللمس فعزمى إذَا انتضيتُ حُسَامُ (٢)
أناَ كالوَرْدِ فيهِ رَاحةُ قومٍ ثمَّ فيهِ لآخرينَ زكامُ

ومنه [من المتقارب] :

خَفِ اللهَ وَاطلبْ هُدَى دينهِ وبعدَهماَ فاطلب الفلسفَهْ
لئلاَّ يغرَّكَ قومٌ رَضوا منَ الدين بالزورِ والسفسفَهْ
ودعْ عنكَ قوماً يعيبونهاَ ففلسفة المرء كلُّ السفَهْ

ومنه فى النجوميات [من البسيط] :

قد غضَّ من أملى أنّى أرَى عملى أقوى من المشترى فى أول الحمَلِ
وأننى راحلٌ عما أُحاوِلهُ كأننى أستدرُّ الحظ منْ زُحَلِ

ومنه [من البسيط] :

إذَا غدا ملكٌ باللهو مشتغلاً فاحكم على ملكه بالويلِ وَالحربِ
أماترى الشمس فى الميزان هابطةً لما غدا برج نجم اللهو وَالطربِ

وَمنه [من البسيط] :

لاَ تعجبنَّ لدهرٍ ظَلَّ فى صَبَبِ أشرافهُ وعلاَ فى أوْجِهِ السَّفِلُ

---

(١) فى اليتيمة « والكثير حمى » وهو الصواب ، والحمى : الذى حماه الله ومنع من أن تقربه . وفى الحديث « ألا وإن لكل ملك حمي ، ألا وإن حمى الله محارمه »

(٢) فى الأصل « ألين المس » وقد أثبتنا مافى اليتيمة ؛ وفى اليتيمة « فغر بى إذا انتضيت حسام »

وانظرْ لأحكامِهِ أنى تقادُ بِها فالمشترى السّعد عالٍ فوقهُ زُحلُ(١)

ومنه [من الوافر] :

سلِ اللهَ الغنى تسألْ جوادا أمِنتَ على خزائنه النَّفادا(٢)

وإنْ أدناكَ سلطانٌ لفضلٍ فلاَ تغفلْ ترَقُّبكَ البعادَا

فقدْ تُدنِى الملوكُ لدَى رِضاها وتُبعدُ حِينَ تحتقدُ احتقادَا

كما المرِّيخُ فى التَّثْليثِ يُعطى وفى التربيع يَسلبُ ما أفادا

ومنه [من الرمل] :

شرفُ الوَغدِ بِوغدٍ مِثلِهِ مثلٌ ما فيهِ زَيغٌ وزَللْ(٣)

ودليلُ الصدْق فِيما قُلتهُ شرَفُ المرّيخ فى بيتِ زُحلْ

ومنه فى الإخوانيات [من المتقارب] :

لِقاؤُكَ يُدْنى مُنَى المُرْتجى ويفتحُ بابَ الهوَى المرْتجِ

فأسرِعْ إلينا ولا تُبطئَنْ فإنا صِيامٌ إلى أنْ تجى

ومنه [من الكامل] :

عِندى فديْتكَ سادةٌ أحرَارُ وقلوبُهمْ شوقاً إليكَ حِرارُ

وشرَابُنَا شُربُ العلومِ ورَوْضُنَا نُزهُ الحديثِ ونَقْلنا الأشعارُ

فامنُنْ علينا بِالبدَارِ فإنما أعمارُ أوْقاتِ السُّرُورِ قِصارُ

ومنه [من الخفيف] :

لا تظُنَنّ بِى وبِرُّكَ حىٌّ أنّ شُكرِى كشكرِ غيرى موَاتُ

---

(١) فى اليتيمة « أنى تقاربها »

(٢) فى اليتيمة * سل الله العظيم تسل جوادا *

(٣) فى اليتيمة « الوعد » فى الموضعين ، بعين مهملة .

أنا أرضٌ وراحتاكَ سماءٌ والأيادِي وبلٌ وشكرى نبَاتُ

ومنه [من البسيط] :

منْ شاء عيشاً رخيًّا يستفيدُ بهِ في دِينهِ ثمّ فى دُنياه إقبالاَ

فلينظُرنَّ إلى منْ فوقَهُ أدباً ولينظرنّ إلى منْ دُونه مالاَ

ومنه [من الطويل] :

أفِدْ طبعكَ المكْدودَ بالجدّ راحةً قليلاً وعلّلهُ بشيء من المزْحِ

ولكنْ إذا أعطيته ذاكَ فليكنْ بمقدارِ مايعطى الطعامُ منَ المِلحِ

ومنه [من المتقارب] :

إذَا ما اصطفيتَ امرأً فليكنْ شريفَ النِّجارِ زَكِىَّ الحسبْ

فنذلُ الرِّجالِ كنذْلِ النَّباتِ فلاَ لِلثمارِ ولا لِلحطبْ

ومنه [من الطويل] :

عفاء على هذَا الزّمانِ فإنهُ زَمانُ عقوقٍ لا زَمانُ حُقوقِ

فكلُّ رفيقٍ فيهِ غيرُ موافقٍ وكلُّ صديقٍ فيهِ غيرُ صدُوقِ

ومنه [من البسيط] :

كأننى فرَسُ الشطْرنج ليسَ لهُ فى ظلّ رابطهِ ماءٌ ولا علَفُ

ومنه قوله فى المشاورة [من الوافر] :

خصائصُ منْ تشاوِره ثلاثٌ فخذْ مِنها جَميعاً بالوَثيقهْ

ودادٌ خالصٌ ووُفورُ عقلٍ ومعرِفة بحالكَ فى الحقيقهْ

فمنْ حصلتْ لهُ هذِى المعانِى فتابعْ رأيهُ والْزمْ طريقهْ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

إنْ كنتَ تطلبُ رُتبةَ الأحرَارِ فاعمدْ لِحلمٍ راجحٍ ووقَارِ

وحذارِ من سفهٍ يَشينُكَ وصفهُ ... إنَّ السَّفاهَ بذي المروءةِ زاري
إنَّ السَّفيهَ إذا تصدّى لامرئٍ ... متحلم ونهاه بالأضرار
فالماء يُطفى وهو ليِّنٌ مسُّهُ ... عذبٌ مذاقتهُ لهيبَ النَّار

ومنه [من الوافر] :

وما استوفى شُروطَ الحزْمِ إلاّ ... فتى فى خلقهِ سهلٌ وحزْنُ

ومثله قول ابن شمس الخلافة [من الطويل] :

فليسَ كمالُ المرْءِ بالخيرِ وحدَهَ ... إذا لم يكنْ فى المرْء شىءٌ من الشَّرِّ

ومحاسن أبى الفتح البستى كثيرة ، رحمه الله تعالى ! وفيما أوردناه كفاية .

* * *

١٦٣ — كلُّكمْ قدْ أخذَ الجا ... مَ ولاَ جامَ لنَا
ما الَّذي ضرَّ مُديرَ الـ ... ـجامِ لوْ جاملَنَا

شاهد الجناس المفروق

البيتان من مجزوء الرمل ، وهما لأبى الفتح البستى أيضاً .

والشاهد فيهما: الجناس المفروق، وهو : المتفق لفظا لاخطا ، كقول المعتمد ابن عباد يحكى قول جارية له فى محنته [من مجزوء الرجز] :

قالتْ لقدْ هِنَّا هُنَا ... موْلاىَ أينَ جاهنَا
قلتُ لها إلهنا ... صيَّرَنا إلى هُنا

وقول المطوعى [من الوافر] :

أميرٌ كلُّهُ كرمٌ سَعِدْنَا ... بأخذِ المجدِ عنهُ واقتباسِهْ
يُحاكِى النِّيلَ حينَ يَرُومُ نَيْلاً ... ويحكى باسلاً فى وقتِ باسِهِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

لاتعرضنْ على الرُّواةِ قصيدةً مالم تبالغْ قبلُ فى تهذيبها

فمتى عرضْتَ الشعْرَ غيرَ مهذبٍ عدُّوهُ منكَ وساوِساً تَهذِى بها

وقول ابن أسد الفارقى [من الطويل] :

غدَوْنا بآمالٍ ورُحنا بخيبةٍ أماتتْ لنا أفهامَنا والقرائحا

فلاَ تلقَ منّا غادياً نحوَ حاجةٍ لتسألهُ عن حالهِ والقَ رائحا

وقول أبى الفتح البستى (١) [من البسيط] :

إنْ سلَّ أقْلاَمهُ يوماً ليُعْملها أنساكَ كلَّ كمىٍّ هزَّ عاملهُ

وإنْ أقرَّ على رَقٍّ أناملهُ أقرَّ بالرِّقِّ كتَّابُ الأنام لهُ

وقوله أيضاً (٢) [من مجزوء الوافر] :

إلى حتفى سعى قدَمى أرَى قدَمى أراقَ دَمِى (٣)

فكم أنفدُ منْ ندَمٍ وليسَ بنافعٍ ندَمى

وقوله (٤) [من الكامل] :

كم منْ أخٍ قدْ هدَّمتْ أخلاَقهُ فى آخرِ ما قدْ بنى فى الأوَّل

نسىَ الوَفاء ولستُ أنسى عهدَما شاهدْتُ منهُ فى الزّمانِ الأطوَلِ

يرْمى سهاماً إنْ أسرَّ المقتَ لى بالكيدِ لا يقصدْنَ غيرَ المقتل

وقوله (٥) [من الهزج] :

---

(١) البيتان فى يتيمة الدهر للثعالبى (٤-٢٩١) كما هنا ، وفى تاريخ ابن خلكان (٢-٥٢) وفيه فى أولها « إن هز أقلامه »

(٢) البيتان فى اليتيمة (٤-٣٠٤)

(٣) فى اليتيمة « مشى قدمى »

(٤) الأبيات فى يتيمة الدهر (٤ - ٣٠١)

(٥) الأبيات فى يتيمة الدهر (٤ - ٣٠٣)

جُعلنا أجنبيَّين ... بِلا جُرْم ولا تبلِ
وأقصينا وما خنَّا ... وما زُغنا عن العدْلِ
فقلْ لى ياأخا السُّودَ ... دِوَ الهمَّةِ والفضلِ
إلى كم نحن فى ضيقٍ ... وفى عزلٍ وفى أزْلِ
أما تَنْشَطُ أنْ تُملى ... على الكُتَّاب أنْتمْلى

وقوله (١) [من مجزوء الخفيف]:

لايسوُأنَّكَ إنْ برًا ... نِىَ دَهرٌ فَلَمْ يَرِشْ
أنتَ عِشْ سالماً فإنَّـ ... ـكَ إنْ عِشتَ أنتعشْ

وقول العميد بن سهل [من الطويل]:

عجبتُ منَ الأقلام لم تنْدَ خُضْرةً ... وباشرْنَ منهْ كفَّهُ والأناملا
لو انَّ الورَى كانوا كلاماً وأحرُفاً ... لكانَ نعمْ منها وكانَ الأنامُ لاَ

وقول أبى بشر المأمونى بن على الخوارزمى مهنئاً بعض أصحابه بزفاف [من المنسرح]:

بدْرُدُجى أصحبوهُشمسَ ضُحى ... بارَكَ ربُّ السماء فيها لَهْ
ضمَّتهما هالةُ الوِصال معا ... منْ ذا رَأى النيِّرَيْنِ فى هالَهْ

وقول أبى بكر اليومنى يصف أقلاماً، وهى [من الكامل]:

قصباتُ فضلٍ قدْ جرَتْ قصباتُها ... مجْرَى موافى كبْوةٍ وعِثارِ
يكتبْنَ فى القرْطاسِ أخبارَ النُّهى ... بلُعابِ منقارٍ لها منْ قارِ

وقول صدر الدين الخجندى [من السريع]:

---

(١) البيتان فى يتيمة الدهر للثعالبى (٤ - ٢٩٩).

أنفق حبوراً واسترق العلا ولا تخف خشية إملاق
الناس أكفاء إذا قوبلوا إن فاق شخص فبالانفاق

وما ألطف قول ابن نباتة [من الكامل] :

قمراً نراه أم مليحاً أمردا ولحاظه بين الجوانح أم ردى

وسبقه إلى ذلك الأمير أبو الفضل الميكالى فقال [من الرجز] :

يا من دهاه شعره وكان غضاً أمردا
سيان فاجا أمردا فى الخد شعر أم ردى

ولأبى الفضل فى هذا أيضا قوله [من مخلع البسيط] :

لنا صديق تجيد لقماً راحتنا فى أذى قفاه
ماذاق من كسبه ولكن أذى قفاه أذاق فاه

وله أيضا [من مجزوء الرجز] :

لنا صديق إن رأى مهفهفاً لا طفه
وإن يكن فى دهرنا ذو أبنة لاط فهو

وله أيضا [من الطويل] :

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده ووكل أجفانى برعى كواكبه
فياجزعى مهلاً عساه يعود لى ويا كبدى صبراً على ما كواك به

وللشهاب محمود فيه [من الوافر] :

ولم أر مثل نشر الروض لما تلاقينا وبنت العامرى
جرى دمعى وأومض برق فيها فقال الروض فى ذا العام ربى

ولابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

قد سبى قلبى غزال فاتن سل به كيف اعتدى فى سلبه

أنا لا أعتبهُ فيما جرَى صَفَحَ اللهُ لهُ عَنْ ذَنْبِهِ

وقوله أيضاً [من الرمل] :

أيها العـاذلُ فى حبِّ لها خَلِّ نفسى فى هوَاها تحترِقْ

ما الذى ضرَّكَ منِّى بعدَ مَا صارَ قلبى من هواها تحتَ رقّْ

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من مخلع البسيط] :

أسرعْ وسِرْ طالبَ المعالى بـكلِّ وادٍ وكلِّ مَهْمَهْ

وإنْ لحَىَ عاذلٌ جهولٌ فقلْ لهُ : يا عَذولُ مَهْ مَهْ

وقوله رحمه الله تعالى [من مجزوء الرجز] :

إنَّ الذى منزلهُ من سُحْبِ عينى أمرَعَا

لم أدرِ منْ بَعدِىَ هلْ ضيَّعَ عهدى أمْ رَعَى

وقول قاضى القضاة بهاء الدين السبكى [من الكامل] :

كنْ كيفَ شئتَ ، عن الهوَى لا أنتهِى

حتَّى تعودَ لى الحياةُ وأنتَ هِى

ومثله قول أبى نصر القشيرى [من مجزوء الكامل] :

تقبيلَ خدِّكَ أشتهِى أملٌ إليهِ أنتهِى

إن نلتُ ذلكَ لم أُبَلْ بالرُّوح منِّى أن تَهِى

دُنياىَ لذَّةُ ساعةٍ وعلى الحقيقة أنتِ هِى

* * *

شاهد الجناس المطرف

١٦٤ — * يمُدُّونَ منْ أيدٍ عوَاصٍ عوَاصِمِ *

هو صدر بيت من الطويل ، وتمامه :

* تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ *

وقائله أبو تمام ، من قصيدة [١] يمدح بها أبا دلف العجلى ، أولها :

عَلى مثلها من أربعٍ وملاعبِ
أُهينتْ مصوناتُ الدموعِ السواكبِ [٢]

وهى طويلة ، وما أحسن قوله فى مخلصها :

إذا العيسُ قدلاقت أبادلفٍ فقدْ تَقَطَّعَ ما بينى وبين النوائب [٣]
هنالك تلقىَ الجودَ فى حيث قُطِّعَتْ تمائمهُ والمجد وافى الذوائبِ [٤]
تكادُ عطاياهُ تجنُّ جنونها إذا لم يُعَوِّذْهَا بنغمة طالبِ [٥]

وهذا البيت مما انتقد به على أبى تمام حتى قال بعضهم : [٦] وما باله ينسبها إلى الجنون ويلتمس لها العوذ والرقى ؟ هلافك إسارها وعجل خلاصها ولم ينتظر بها نغمة الطالب ففعل كما قال أبو الطيب المتنبي [من الكامل] :

وعطاء مالٍ لو عَدَاهُ طالبٌ أنفقتهُ فى أن تلاقى طالبا

وقد تداول الناس هذا المعنى ، فقال مسلم [من الطويل] :

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (٤٠)

(٢) فى الديوان « أذيلت مصونات الدموع » والمعنى واحد ، وانظر هذا المطلع فى الموازنة (٤١٦ بتحقيقنا)

(٣) فى الديوان « إذا العيس لاقت بى » وهى أظرف

(٤) فى الديوان « هنالك تلقى المجد » وفيه « والجود مرخي الذوائب »

(٥) فى الأصل « بنعمة طالب » بعين مهملة ، وهو تحريف لايتفق مع ماوجه إلى البيت من النقد ، والذى أثبتناه موافق لما فى الديوان ، ومافى الوساطة (٧٤ طبع مطبعة الحلبى)

(٦) هذا الكلام بنصه فى « الوساطة بين أبى الطيب المتنبي وخصومه » إلى آخر الشواهد التى ذكرها على تداول الشعراء هذا المعنى .

أخٌ لىَ يعطينى إذا ما سألتهُ وإن لم أُعَرِّضْ بالسؤال ابتدانيا

وقال أبو العتاهية [من المتقارب] :

وإنا إذا ما تركنا السؤالَ فمعروفهُ أبداً يبتدينا(١)

وإن نحنْ لم نبغِ معروفهُ فمعروفهُ أبداً يبتغينا

وقال أبو تمـام الطائى [من الطويل] :

فأضحتْ عطاياهُ نوازعَ شُرَّدا تسائلُ فى الآفاق عن كلِّ سائلِ

وقال أيضا [من الكامل] :

ورأيتنى فسألت نفسكَ سَيْبَهَا لى ثم جُدْت وما انتظرتَ سؤالى

وقد زاد أبو الطيب عليهم بقوله المتقدم :

* أنفقتهُ فى أن تلاقى طالبا *

ولنرجع إلى شعر أبى تمـام — ومن محاسن قصيدته هذه قولُه :

يرى أقبح الأشياء أَوْبَةَ آملٍ كستهُ يدُ المأمول حُلَّةَ خائبِ

وأحسن من نَوْرٍ يُفَتِّحُهُ الندَى بياضُ العطايا فى سواد المطالبِ

وهذا البيت من أحسن الشواهد على المقابلة ، وهو مأخوذ من قول الأخطل [من الطويل] :

رأينا بياضاً فى سوادٍ كأنهُ بياض العطايا فى سواد المطالبِ

ويحكى أن أبا تمام لما أنشد أبا دلف قوله :

* على مثلها من أَرْبُعٍ وملاعبِ *

قال : من أراد يُبَكِّتهُ : لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

---

(١) عجز هذا البيت فى الوساطة « فلم نبغ نائله يبتدينا »

التوليد نوع من البديع

وهذا نوع من البديع يسمى التوليد ، فان هذا القائل وَلَّدَ من الكلامين كلاما يناقض غرض أبى تمام من وجهين . أحدهما : خروج الكلام عن النسيب إلى الهجاء بسبب ما انضم إليه من الدعاء ، والثانى خروج الكلام من أن يكون بيتا من الشعر إلى أن صار قطعة من النثر .

ومن لطيف التوليد قول بعض العجم ، وهو توليد المتكلم مايريد من لفظ نفسه [من الوافر] :

كأنَّ عِذَارهُ فى الخدِّ لامٌ ومبسمهُ الشهى العذب صادْ
وطرَّةُ شَعْره ليلٌ بهيمٌ فلا عجب إذا سُرِقَ الرُّقادُ

فانه ولد من تشبيه العذار باللام ، وتشبيه الفم بالصاد ، لفظة لص ؛ وولد من معناها ، ومعنى تشبيه الطرة بالليل ، ذكر سرقة النوم ؛ وهذا من أغرب توليد سمع .

رجع إلى الكلام على البيت : عواص : جمع عاصية ، من عصاه : ضربه بالسيف ، أو العصا ، وعواصم : من عصمه حفظه وحماه ، وقَوَاض: من قضى عليه حكم ، وقواضب : من قضبه قطعه .

والشاهد فيه : الجناس الناقص المطرف

من شواهد الجناس المطرف

ومن الشواهد عليه قول البحترى [من الطويل] :

فانْ صدَفَتْ عنا فَرُبَّةَ أنفسٍ صَوَادٍ إلى تلك الوجوه الصوادفِ

وما أنشده الشيخ عبد القاهر ، وهو [من الطويل] :

وكم سَبَقَتْ منهُ إلىَّ عوارفٌ ثنأى على تلك العوارف وارفُ
وكم غررٍ مِنْ برِّهِ ولطائف فشكرى على تلك اللطائف طائفُ

وقول الآخر [من الطويل] :

عذيرىَ مِنْ دهر مُوارٍ موارب لهُ حسناتٌ كلهنَّ ذنوبُ

وقول البهاء زهير (١) [من مجزوء الكامل] :

---

(١) تنسب هذه الأبيات لأبى حفص سلطان العاشقين ابن الفارض ، ولكنها بشعر البهاء زهير أشبه

أشكو وأشكرُ فعلهُ فاعجبْ لشاكٍ منهُ شاكرْ

ومنها :

طَرْفى وطَرْفُ النجم فيـــكَ كلاهما ساه وساهرْ
يَهْنِيكَ بَدْرُكَ حاضرٌ ياليت بدرى كان حاضرْ
حتى يَبِينَ لناظرى مَنْ منهُما زاهٍ وَزاهرْ

وقول المعتمد بن عباد ، وقد كتب به إلى صاحب له يدعوه إلى مجلس أُنس ، وهو [من الخفيف] :

أيها الصاحب الذى قارنت عيـــنى ونفسى منهُ السنا والسناء
نحنُ فى المجلس الذى يهبُ الرا حة والمسمع الغنَى وَالغناء
نتعاطى التى تُنَسِّى من اللذَّةِ والرِّقةِ الهَوى وَالهواء
فأتهِ تلقَ راحَةً ومُحَيًّا قَدْ أعدّا لكَ الحيا والحياء

وقول ابن جابر الأندلسى [من الطويل] :

منازلُ قلبى ليسَ فيهنَّ نازلُ سواكَ ، ولى شوقٌ للقياكَ دائمُ
فيا راكبَ الوَجْناءِ هل أنتَ عالمٌ فِدَاؤكَ نفسى كيف تلك المعالمُ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من السريع] :

أرى أُناساً مَنْ أراد الرِّضى منهمْ رجا ما ليسَ بالممكنِ
سيانِ أنْ يُعْطُوا وأنْ يمنعوا قدْ ضاعَ منهمْ كرمُ المحسنِ

وما أحسنَ قول ابن شرف الماردينى من قصيدة [من الوافر] :

هلالٌ فى برُوجِ السعدِ سارٍ غزَالٌ فى مُرُوجِ العزِّ سارحْ

* * *

شاهد الجناس المذيل

١٦٥ — إنَّ البكاءَ هُوَ الشفَا ء منَ الجوَى بينَ الجوَانِحْ

البيت من مجزوء الكامل المرفل ، وقائلته الخنساء من قصيدة(١) ترثى بها أخاها صخراً ، أولها :

يا عينُ جُودِى بالدُّمُو عِ المستهلاَّتِ السوَافحْ
فَيْضاً كما فاضتْ غرُو بُ المُتْرَعَاتِ منَ النوَاضحْ(٢)

و بعده البيت ، وَ بعده :

وابكى لصَخرٍ إذ ثوَى بينَ الضريحةِ والصفائحْ(٣)
أمسىَ لدَى جَدَثٍ تُذيعُ بتربهِ هُوجُ النوافحْ(٤)
والسيدُ الجَحْجَاحُ وابْنُ السادةِ الشمِّ الجحاجحْ

والشاهد فيه : الجناس المذيل ، وهو : ما كان بأكثر من حرف .

ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه [من الطويل] :

وكُنا متىَ يغزو النبيّ قبيلةً نَصِلْ جانبيهِ بالقنَا والقنَابِلِ

---

(١) اقرأها فى أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء (٢٥ بيروت)
(٢) فى أنيس الجلساء :

فيضا كما فاض الغرو ب المترعات من النواضح

(٣) وفيه « فابكى لصخر » والضريحة والضريح : الشق فى وسط القبر ، والصفائح : الحجارة العراض .
(٤) فى أصل هذا الكتاب « رمسا لدى جدث » وهى رواية فى البيت ، وقد تخيرنا رواية الديوان . والرمس والجدث كلاهما القبر ، وتذيع بتربه : تذهب به وتنسفه ، والهوج : جمع هوجاء ، وأصلها الناقة التى تركب رأسها ، وقد استعارتها للريح ، والنوافح : أرا الباردة .

وقول النابغة أيضاً [من الطويل] :

لها نارُ جنّ بعدَ إنسٍ تحـوّلوا وزال بهم صرفُ النوى والنوائبِ

وقول الآخر فى رثاء [من الطويل] :

فيالكَ مِنْ حزْم وعـزمٍ طوَاهمَا جديدُ الردَى تحت الصفا والصفائحِ

ولابن جابر الأندلسى فيه [من الـكامل] :

بين الجوَانحِ لو علمتَ من الجوَى نارٌ عليها سكبُ دَمعى يصنعُ

فدَعِ المدَامعَ فى مدَى جرَيانها فالدَمعُ بعـدَ فراقهمْ لا يمنعْ

تتمة — قد ذكر المصنف رحمه الله تعالى بقية أقسام الجناس ، ولم يذكر لها شواهد شعرية ، فلنذكر منها شيئا تتميما للفائدة .

من شواهد الجناس المشتق

فمن شواهد الجناس المشتق قول أبى تمام [من الطويل] :

وأنجدتُمُ من بعدَ إتهام داركمْ فيا دمع أنجدنى على ساكنى نجدِ

وقول محمد بن وهيب [من الطويل] :

قَسمتَ صُرُوفَ الدّهرِ بأساً وَنائلاً

فَمَالُكَ مَوْتور وَسيفكَ وَاترُ(١)

وقول الصاحب بن عباد [من المتقارب] :

وَقائلةٍ لِمْ عرَتكَ الهمومُ وأمرُكَ ممتَثَلٌ فى الأممْ

فقلتُ ذَرِينى على غُصتىِ فإنّ الهمُومَ بقدْرِ الهِمَمْ

ولابن جابر الأندلسى فيه [من الخفيف] :

قدْ نعمنا بِسفحِ نعمانَ لـكنْ عقَّنى البعدُ والعقوقُ قبيحُ

قلْ لأهلِ الخيامِ أما فؤادِى فجريحٌ لـكنْ حبى صحيحُ

---

(١) موتور : أراد به أنه هالك فى الجود ، وواتر : أراد به أنه ماض فى رقاب الأعداء

ولبعضهم وهو بالجناس المطلق أشبه [من المتقارب] :

إذا أعطشتْكَ أكفُّ اللئامِ كفتْكَ القناعةُ شِبْعاً ورِيّا
فكنْ رَجُلاً رِجلُهُ في الثرَى وهامةُ همّتِه في الثريّا

وما أحسن قول كشاجم في خادم أسود مشهور بالظلم [من السريع] :

يا مُشبهاً في لونِه فعلَهُ لم تُخطِ ما أوْجبت القسمهْ
فعلُكَ منْ لونكَ مُستخرجٌ والظلمُ مُشتقٌّ منَ الظلمهْ

ولطيف قول بعضهم أيضاً [من الطويل] :

على بابكَ المعمورِ لا زالَ عالياً مَطيّاتُ آمالِ البريةِ واقفهْ
لجودُكَ موجودٌ وطَوْلُك طائلٌ وعُرفكَ معروفٌ وكفُّكَ واكفهْ

وما أحسن قول بعض المتأخرين في هذا النوع أيضاً [من البسيط] :

عاتبتُ طيفَ الذي أهوَى وقلتُ لهُ
كيفَ اهتدَيتَ وجنحُ الليلِ مسدولُ
فقالَ آنستُ ناراً مِنْ جَوانحكمْ يُضيءُ مِنها لدَى السّارِين قنديل
فقلتُ نارُ الجوَى معنى وليسَ لها نور يُضيءُ فما ذَا القوْلُ مَقبولُ
فقالَ نِسبتُنا في الأمرِ واحدةٌ أنا الخيالُ ونارُ الشوقْ تخييلُ

وقد نبه على الاشتقاق في قوله « نسبتنا في الأمر واحدة »

من شواهد الجناس المطلق

ومن الجناس المطلق، ويفرق بينه وبين المشتق بأن معنى المشتق يرجع إلى أصل واحد، والمطلق كل ركن منه يباين الآخر، قولُ الشاعر [من الكامل] :

عربٌ تَرَامَوْا أجمعينَ عنِ القِرَى متنزّلينَ عنِ الضيوفِ النُّزّلِ
فأقمتُ بينَ الأزْدِ غيرَ مزوَّدِ ورحلتُ عن خَوْلانَ غيرَ مُخوَّلِ

وقول الآخر أيضاً [من البسيط] :

بجانبِ الكَرْخِ من بغدادَ عَنَّ لنا ظَبيٌ يُنفِّرُهُ عنْ وصلنا نَفرُ
ظفيرْناه على قَتْلِي تظافرْنا يا منْ رأى شاعراً أوْدَى بهِ الشِّعرُ(١)

وقال أبو فراس الحمدانى [من البسيط] :

فما السُّلافُ أزْدَهتني بلْ سوالِفهُ ولا الشَّمولُ دهتنى بلْ شمائلهُ

ومثله قول البهاء زهير

يا منْ لعبت به شمولٌ ما ألطفَ هذهِ الشمائل

وللبحترى فيه أيضاً [من الخفيف] :

وإذا ما رياحُ جودكَ هبَّتْ صارَ قولُ الوُشاةِ فيها هباء

وظريف قول ابن العفيف [من الوافر] :

أراكَ فيمتلى قلبى سروراً وأخشى أنْ تشطَّ بكَ الدِّيارُ
فجرْ واهجرْ وصُدَّ ولا تَصِلْني رَضيتُ بأنْ تجورَ وأنتَ جارُ

ولشيخ شيوخ حماة [من المتقارب] :

تولَّى شبابى فولَّى الغرامُ ولازَمَ شيبى لزُومَ الغريمِ
ولوْ لم يصدِّقْنِيَ بازيُّهُ لما صارَ منِّى مهابَ الصَّريمِ

ومن شواهد الجناس المحرف قول أبى تمام [من الكامل] :

هنَّ الحمامُ فإن كسرْتَ عيافةً منْ حائهنَّ فإنهنَّ حِمَامُ

من شواهد الجناس المحرف

وقول أبى العلا المعرى [من الطويل] :

---

(١) كتب مصحح نسخة بولاق على هامش النسخة هنا مانصه « قوله ظفيرناه ، كذا فى النسخ ، والشاهد فيه ، والمعروف بالضاد » قلت: والمغاربة ينطقون الضاد ظاء ، فلعله جاء به على منطقهم .

لغيرى زكاة من جمال فإن تكن زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

وقول الحريرى [من السريع] :

لله من ألبسني فروة أضحت من الرعدة لى جنه
ألبسنيها واقياً مهجتى وقى شر الانس والجنه
سيكتسى اليوم ثنائى وفى غد سيكسى سندس الجنه

وقول الآخر [من مجزوء الكامل] :

قلب وقلب فى يديك معذب ومنعم
ظمآن يطلب قطرة تشفى صداه وينعم

وبديع قول سلطان بلنسية أبى عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز وهو يعالج سكرات الموت وقد أشرف على الفوت [من الوافر] :

إله الخلق هب لى منك عفواً تحط به وتغفر من ذنوبى
وسعت الخلق إجمالاً ولطفاً فهل لى فى نوالك من ذنوب

وما أبدع قول ابن الفارض [من الكامل] :

هلاّ نهاك نهاك عن لوم امرىء لم يلف غير منعم بشقاء

وقول شيخ شيوخ حماة [من الوافر] :

لعينى كل يوم فيك عبره تصيرنى لأهل العشق عبره

وقول ابن النقيب [من الخفيف] :

لا أجازى حبيب قلبى بظلمه أنا أحنى عليه من قلب أمه
جوره مثل عدله عند من يهـواه مثلى وظلمه ظلمه

وقول البهاء زهير [من المتقارب] :

زهى ورد خديك لكنه بغير النواظر لم يقطف

وقدْ زَعموا أنهُ مُضعف   وما عَلموا أنهُ مُضْعِفِي

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

حلَّ عقدَ الصبرِ مِنِّى عقدُها   إذْ سبَتْ قَلْبى بما فى قُلْبِهَا

تحسبُ الدُّرَّ على لبَّتهـــا   أنجماً قـدْ حُلِّيَ البدْرُ بها

من شواهد الجناس المضارع

ومن شواهد الجناس المضارع ـ وهو : ما أبدل من أحد ركنيه حرف من مخرجه أو قريب منه ـ قولُ الشريف الرضى [من البسيط] :

لا يذكرُ الرمْلَ إلاَّ حنَّ مغتربٌ   لهُ إلى الرَّملِ أوْطارٌ وأوْطانُ

وقول ابن نباتة [من الكامل] :

رقَّ النسيمُ كرِقَّتِي منْ بعدكمْ   فكأننا منْ حبكمْ نتغايرُ

ووعدْتُ بالسلوَانِ واشٍ عابكمْ   فكأننا فى كذْبنا نتخايرُ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

سلبَ القلبَ غزالٌ قدُّهُ   قدْ حَكى البَانَ لنا والسَّلَمَا

نونُ صُدْغيهِ إذَا أبصرَهُ   كاتبٌ ألْقى إليهِ القَلَمَا

وقوله أيضاً [من الكامل] :

أمرَ الشبابُ قضيبَ معطفها   فَهفا فنالتْ منْ دُمى أملا

أسرَ الهوَى مُهَجَ الأنامِ لها   إذْ هزَّ منْ أعطافِها أسَلاَ

من شواهد الجناس اللاحق

ومن شواهد الجناس اللاحق ـ وهو عكس المضارع ـ قولُ البحترى فى مطلع قصيدة [من الخفيف] :

هلْ لما فاتَ منْ تلاَفٍ تلافِى   أمْ لِشاكٍ منَ الصبابةِ شافِى

يقول فيها ، وهو من المستشهد به على هذا النوع

عجبَ الناسُ لاعتزَالى وفى الأطـــرافِ تُلْفَى منازلُ الأشرَافِ

وقعودى عن التقلُّبِ والأرْ ضُ لمثلى رحيبةُ الأكنافِ
لستُ عنْ ثروةٍ بلغتُ مدَاها غيرَ أنى أمرُؤ كفانى كفافِى

وقول أبى هلال العسكرى [من الوافر] :

أراعى تحتَ حاشيةِ الدّياجى شقائقَ وجنةٍ سقِيتْ مُدَاما
وإنْ ذُكرَتْ لواحظُ مقلتيهِ حسبتُ قلوبنا مطرتْ سِهاما
وإن مالت بِعِطفيهِ شمُول سقانا منْ شمائلهِ سَقاما

وقول الآخر [من الطويل] :

نظرتُ الكثيبَ الأجرَعَ الفرْدَ مرَّةً
فردَّ إلىَّ الطَّرْفَ يَدْمَى ويدْمعُ

وقول ابن جابر [من المديد] :

بادِر الحسنَ الذِى منحتْ فاسترِقْ منْ خدِّها نظرَا
قهرَ الأغصانَ معطَفُهَا حينَ وافى حاملاً قمَرَا

الجناس اللفظى

ومن شواهد الجناس اللفظى — وهو : ما تماثل ركناه وتجانسا خطا ، وخالف أحدهما الآخر فى حرف فيه مناسبة لفظية ، كما يكتب بالضاد والظاء ، ويلحق به ما يكتب بالتاء والهاء ، أو بالنون والتنوين ، وهذا نوع قليل جداً — قال الأرجانى [من الوافر] :

وبيضُ الهندِ منْ وجدٍ هوازٍ باحدَى البيض منْ عُلْيا هوازِنْ

وقال ابن العفيف [من الرجز] :

أحسنُ خلقِ اللهِ وجهاً وفَمَا إنْ لم يكنْ أحقَّ بالحسنِ فمَنْ

الجناس المقلوب

ومن شواهد الجناس المقلوب — ويسمى جناس العكس ، وهو : الذى يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ، ويخالف

أحدهما الآخر فى الترتيب — قولُ العباس بن الأحنف [من الوافر] :

حُسامكَ فيهِ للأحبابِ فتحٌ ورمحكَ فيهِ للأعداء حتفُ

وقول القاضى أبى بكر البستى [من الطويل] :

حكانى بَهارُ الرَّوْض لما أَلِفتهُ وكلُّ مشوقٍ للبهارِ مُصاحبُ

فقلتُ لهُ ما بالُ لوْنكَ شاحباً فقالَ لأنى حينَ أقلبُ راهبُ

وزاد على هذا المعنى ابن عبد الله النواص [1] [من الرمل] :

مَنْ عذيرِى مِنْ عذولى فى قمرْ قامرَ القلبَ هواهُ فقمرْ

قمـــر لم يُبقِ منى حبُّهُ وهواهُ غيرَ مقلوبِ قمرْ [2]

ومثله قول قمر الدولة بن دواس [من مجزوء الرمل] :

أجملى يا جُملُ إنى رجلٌ ما فيهِ قَلْبُهْ

أو يكنْ ذاكَ فإنى قمرٌ ما فيهِ قلبهْ [2]

وقول بعضهم [من المتقارب] :

وتحتَ البراقعِ مَقلوبُها تدِب على صحْنِ خدٍّ ندِى [3]

تُسالم مَنْ وطئتْ خدَّهُ وتسلُبُ قلبَ الشجى الأبعدِ

وقول الآخر [من الطويل] :

فقالتْ تُرى ماذَا الذِى أنتَ قانعٌ بهِ منْ هوَ انا قلتُ مقلوبُ قانعِ [4]

---

(١) البيتان فى يتيمة الدهر (٤ / ٤٤٢ بتحقيقنا) منسوبين له أيضاً .

(٢) مقلوب قمر هو « رمق » والرمق: بقية الحياة ، يعنى أن حبه وهواه لم يبقيا منه غير ذلك .

(٣) مقلوب البراقع هو « عقارب »

(٤) مقلوب قانع هو « عناق »

وقول ابن العفيف مع زيادة التورية [من السريع] :

أسكرنى باللحظِ والمقلةِ الـــكحلاء والوَجنــةِ والــكاسِ
ساقٍ يُرينى قلبــهُ قسوَةً وكلُّ ساقٍ قلبــهُ قاسِ

ومثله قول الصلاح الصفدى [من الخفيف] :

قلبَ الدَّنَّ منْ أحبُّ فأضحتْ نفحةُ النَّدّ من مُحيّاهُ تُهدَى
قال لى اعجبْ فقلتُ ماذا عجيبٌ كلُّ دنٍّ قلبتهُ صارَ نَدَّا

وقول أبى نصر أحمد بن الحسين الباخرزى [من السريع] :

مَنْ عاذِرى منْ عاذِلٍ قال لى وَيحكَ كم تعشقُ يا مُغرَمُ
وآلم القلبَ ولا غرْو إذْ كلُّ مــلومٍ قلبهُ مولمُ

وقول النيلى [من مخلع البسيط] :

إذا رأيتَ الوَداع فاصبرْ ولا يهمنْكَ البعـــادُ
وانتظرِ العودَ عنْ قريبٍ فإن قلبَ الوَداع عادُو

وما أحسن قول الوداعى فى مليح ينتف [من الطويل] :

تعشقتُ ظبياً ناعسَ الطرفِ ناعماً إلى أنْ تبدَّى الشعرُ والعشقُ ألوانُ
وقالوا أفِقْ منْ حبهِ فهوَ ناتفٌ فقلتُ عكستمْ إنما هوَ فتَّانُ

وما أبدع قول ابن نباتة فى الأمير بهرام [من مجزوء الخفيف] :

قيلَ كلُّ القلوبِ منْ رَهب الحبِّ تضطربْ
قلتُ هذا تخرُّصٌ قلبُ بَهرام ما رَهبْ

ومن الغايات فيه قول عبد الله بن رواحة يمدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إنه أمدح بيت قالته العرب ، وهو [من البسيط] :

تحملهُ الناقةُ الأدْماء معتجراً بالبردِ كالبدرِ جلَّى نورهُ الظلما

وقال ابن أبى الأصبع : رأيت فى بعض الكتب : أن هذا البيت ، أحد بيتين مجرورين لكعب بن زهير ، وهما :

تحمله الناقة الأدماء معتجراً بالبُرْدِ كالبدر جلى ليلةَ الظلمِ

وفى عطافيهِ أوْ أثناء بُرْدتهِ مايعلمُ اللهُ من دينٍ ومنْ كرَمِ

أقول : وَرأيت فى حماسة أبى تمام ، نسبة البيت الذى ذكره ابن أبى الأصبع ، لأبى دهبل الجمحى ، فى الأزرق المخزومى ، يرثيه فى أبيات أخر .

وما ألطف قول القائل [من الطويل] :

وألفيتهمْ يستعرضونَ حوَائجاً إليهم ولوكانتْ عليهمْ جوَائحا

ومثله قول الآخر [من الخفيف] :

إن بين الضلوع مِنّىَ ناراً تتلظّى فكيف لى أن أطيقا

فبحقى عليكَ يا منْ سقانى أرَحيقاً سقيتنى أمْ حريقاً

وقول الآخر [من مجزوء الرمل] :

قلتُ لما لاحَ لى منهـا شعاعٌ وبريقٌ

أشقيقٌ أمْ عقيقٌ أمحريقٌ أم رَحيقُ

وقول الآخر ، وهو من الغايات هنا [من الرمل] :

لبقٌ أقبل فيهِ هيَفٌ كلُّ ما أملك إنْ غَنَّى هِبَهْ

وأحسن ما فى هـذا النوع : أن يكون أول البيت كلمة مقلوبها قافيته ، كقول الشاعر [من مجزوء الكامل] :

رقتْ شمائلُ قاتلى فلذاك رُوحى لا تقرْ

ردٌّ الحبيبُ جوابهُ فكأنهُ فى اللفظ دُر

ومثله قول الصلاح الصفدى [من الكامل] :

رضَّتْ فؤادى غدوةً ما كنتُ أحسبها تضرْ
ردَّتْ رسولى خائباً فمدامعى أبداً تمرْ

وما ألطف قول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

بين نَعمانَ وسَلْعٍ ملأٌ ليسَ منهم لمحبٍّ ألمْ
كلٌّ منهمْ بدرٍ حلَّ فى فلكِ العلياءِ فاعرفْ من هُمْ

وقوله [من السريع] :

قد بانَ عذرى فى مليحٍ لهُ لحظُ رشاً يلحظُ عن ذُعرِ
إنى على الهجرِ مطيعٌ لهُ ممتثلٌ فى السرِّ والجهرِ

وقوله [من الرمل] :

أبداً أبسطُ خدّى أدباً لكمُ يا أهلَ ذاكَ العلَمِ
أملى أنّى أرى ربعكم فيهِ ينهبُ عنّى ألمى

من شواهد الجناس الملفق

ومن شواهد الجناس الملفق ، وهو : أن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين ، قولُ المطوعى [من الطويل] :

وكم لجباهِ الراغبينَ إليهِ منْ مجالِ سجودٍ فى مجالسِ جودِ

ومثله قول الصلاح الصفدى [من الطويل] :

وساقٍ غدا يسعى بكأسٍ وطرّةٌ يجرِّدُ أسيافاً لنحرِ كفاحِ
فما جرحَ العشاقِ قالوا أفتِ فى مكارمِ راحٍ أم مدارِ جراحِ

ولطيف قول القاضى أبى على عبد الباقى بن أبى حصين وقد ولى قضاء المعرة وهو ابن عشرين سنة ، وأقام فى الحكم خمس سنين ، وهو [من الوافر] :

وليتُ الحكمَ خمساً وهى خمسٌ لعمرى والصبا فى العنفوانِ
فلم تضعِ الأعادى قدرَ شانى ولا قالوا فلانٌ قد رشانى

وما أعذب قول ابن عنين هنا [من الخفيف] :

خبروها بأنه ما تصدى لسلو عنها ولو مات صدا

ومن أنواع التجنيس جناس الاشارة ، وهو : أن لا يظهر التجنيس باللفظ بل بالاشارة ، كقول الشاعر [من الرمل] :

حلقت لحية موسى باسمه وبهرون إذا ما قلبا[1]

جناس الاشارة

ومثله قول الأديب نصر بن أحمد الخبزأرزى [من الطويل] :

لقد عرت في وجه سحبان لحية وما عرت إلا وفي العقل تخريب

فليت اسم موسى فوقها متمكن وإن غلب موسى فاسم هرون متعوب

ومثله قول أبي روح الهروى [من الهزج] :

حقيق لك أن تصفع مقلوب عقص وهو معكوس[2]

وأن يلبس جنباك الذي مقلوبه طوس[3]

ثم التجنيس إنما يستحسن إذا كان سهلا لا أثر للكلفة عليه ، وأما إن خرج عن هذا الحد فانه معيب عند أهل النقد ، ويذهب ببهجة الشعر وحسنه ، وهذا وقع في أكثر شعر المتأخرين ، وقد حكى صاحب الحديقة أن ابن حديس أخبره أن عبد الله بن مالك القرطبي عمل قصيدة يقول فيها [من الكامل] :

من حسن التجنيس

حييت إذ حييت حاذى عيسهم فكأن عيسى من حداة العيس

فقال فيه بعض الشعراء [من الكامل] :

ثقلت بالتجنيس خفة روحها ما كان أغناها عن التجنيس

---

(١) مقلوب هرون هو « نوره » وهو مسحوق يزيل الشعر

(٢) مقلوب عقص هو « صفع » وهو الضرب على القفا .

(٣) الذي مقلوبه طوس هو « سوط » وهو ما يضرب به

ولحبكَ التجنيسَ جئتَ ببدعةٍ فجعلتَ عيسى من حُداةِ العيسِ

* * *

شاهد رد العجز على الصدر

١٦٥ — سريعٌ إلى ابن العمِّ يَلْطِمُ وجْهَهُ وليسَ إلى داعي النَّدَى بسَريعِ

البيت من الطويل ، و بعده :

حريصٌ على الدنيا مُضيعٌ لدينِهِ وليس لما في بيتِهِ بمُضِيعِ

وقائلهما الأقيشر الشاعر ، وكان شريباً للخمر ، متهتكا به ، لا يدخل فى يده شيء إلا أنفقه فيه ، وكان له ابن عم موسر ، فكان يسأله فيعطيه ، حتى كثر ذلك ، فمنعه وقال له : إلى كم أعطيك مالى وأنت تنفقه فى شرب الخمر ؟ والله لا أعطيك شيئاً أبدا ، فتركه حتى اجتمع قومه فى ناديهم ، وهو فيهم ، ثم جاء فوقف عليهم ، فشكاه إليهم وذمه ، فوثب إليه ابن عمه فلطمه ، فقالهما .

والشاهد فيه: رد العجز على الصدر، وسماه المتأخرون التصدير، وهو: أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما فى آخر البيت واللفظ الآخر فى صدر المصراع الأول ، أو حشوه ، أو آخره ، أو صدر المصراع الثانى .

ومن شواهده قول بعضهم [من الطويل] :

تمنَّتْ سُلَيْمَى أن أموتَ صبابَةً وأهْوَنُ شَيْءٍ عندنا ما تمنتِ

ومثله قول الآخر [من الكامل] :

سُكْرانِ سكرُ هوًى وسكرُ مُدَامَةٍ أنَّى يُفِيقُ فَتًى به سُكْرَانِ

وقول أبى نواس [من مجزوء الكامل] :

وحياةِ رأسِكَ لا أعو دُ لمثلها وحياةِ راسِكْ

وقول ابن جابر [من مخلع البسيط] :

جمالُ هذا الغزالِ سِحرٌ ... يا حبَّذا ذاكَ الجمالُ
هلالُ خدّيه لم يُغيَّبْ ... عنى وإن غُيِّبَ الهلالُ
غزالُ إنسٍ يَصيدُ أُسْداً ... فاعجب لما يصنعُ الغزالُ
دَلالُه دَلَّ كلَّ شَوْقٍ ... عليه إذ زانهُ الدلالُ
كمالُه لا يخافُ نقصا ... دامَ لهُ الحسنُ والكمالُ
نِبالُه قد رمتْ فؤادِى ... لا أخطأت تلكُمُ النِّبالُ
حلالُ وصلى لهُ حرامٌ ... وحكم قتْلى له حلالُ
زُلالُ ذاك اللَّمى حياتى ... وأين لى ذلك الزُّلالْ
قِتالُه لا يُطاقُ لكنْ ... يعجبنى ذلك القتالُ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من الطويل] :

منازلُ ليلى إن خلَتْ فلَطَالما ... بها عَمَرَتْ فى القلب منى منازلُ
وسائلُ شوْقى كلَّ يوم تزورُها ... وما ضُيِّعت عندَ الكرام الوسائلُ

وقول أبى الفتح البستى [من البسيط] :

سَحْبَانُ مِنْ غيرِ مالٍ باقلٌ حصِرٌ ... و باقلٌ من ثراء المال سَحْبَانُ

ترجمة الأقيشر

والأقيشر [1] اسمه المغيرة بن عبد الله ، ينتهى نسبه لمضر بن نزار ، و يكنى أبا معرض ، وعمر طويلا ، ولقب بالاقيشر لحمرة وجهه ، وكان يغضب من هذا اللقب . اجتاز يوما على مجلس لبنى عبس فناداه أحدهم يا أقيشر، فزجره الأشياخ ثم عاد الأقيشر ومعه رجل وقال له : قف معى ، فاذا أنشدت بيتا قل : ولم ذاك ؟ ثم أتى مجلس القوم وقد عرف الشاب ، فأقبل عليه وقال [من الوافر] :

---

(١) للأقيشر ترجمة فى الأغانى (١٠-٨٤ - ٩٧ بلاق)

أتدعونى الأقيشرَ ذاكَ إسمى وأدعوك ابنَ مُطْفِئة السراجِ

فقال له الرجل : ولِمَ ذاك ؟ فقال :

تُناحى خِدْنها فى الليلِ سِراً وربُّ الناس يعلم ما تُناجى

وقال محمد بن سلام : كان الأقيشر كوفياً خليعا ماجنا مدمنا للخمر، وهو الذى يقول لنفسه [من المتقارب] :

فإن أبا مُعْرِضٍ إذ حسا من الرّاح كأساً على المنبرِ

خطيبٌ لبيبٌ أبو معرض إذا ليمَ فى الخمر لم يَصبرِ

أحلَّ الحرامَ أبو معرض فصارَ خليعاً على المكبرِ

يحب اللئام ويلحى الكرام وإن أقْصروا عنه لم يُقْصرِ (١)

وكان الأقيشر عنينا لا يأتى النساء، وكان يصف ضد ذلك من نفسه، فجلس يوما رجل من قيس فأنشده الأقيشر [من الكامل] :

ولقد أروحُ بمُشرفٍ ذى مَيْعَةٍ عَسِرِ المكَرَّة ماؤهُ يتَفَصَّدُ (٢)

مرحٌ يطيرُ من المرَاح لعابهُ ويكادُ جلدُ إهابه يتَقَدّدُ

ثم قال للرجل: أتبصر الشعر ؟ قال: نعم ، قال : فما وصفت؟ قال: فرسا ، قال : أفكنت لو رأيته ركبته؟ فقال: إى والله، وأثنى عطفه، فكشف الأقيشر عن أيره وقال:

---

(١) فى الأغانى « يجل اللئام »

(٢) فى الأصل « ذى منعة » بالنون . وأراه تحريفا عما أثبته ، والميعة : النشاط ، وفى الأغانى « بمشرف ذى شعرة » وفى ديوان الحماسة (٤ ـ ٣٥٥ بتحقيقنا) بيتان مثل هذين إلا فى القافية ، وقد روى التبريزى فى شرحه (٤ـ٣٥٦ بتحقيقنا) ثلاثة أبيات منها هذان البيتان مع بعض تغيير ونسبها للأقيشر .

هذا وصفت ، فقم فاركبه ، فوثب الرجل عن مجلسه وهو يقول : قبحك الله من جليس ! .

وشرب الأقيشر يوما فى بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى ، وعندهم مخنث يغنيهم ، فطرب الأقيشر فسقاهم من شرابه ، فلما انتشوا قام الأعمى يسعى فى حوائجهم ، وقفز الخياط المقعد يرقص على ظلعه ويجهد فى ذلك جهده ، فقال الأقيشر [من الطويل] :

ومُقْعَدِ قوم قد مَشَى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثا فأبصَرَا

شراباً كريح العنبر الورد ريحهُ ومسحوق هنديٍّ من المسك أذفرا

وحدث رجل من بنى أسد قال : سمعت عمة الأقيشر تقول له يوماً : اتق الله فقم فصل ، فقال : لا أصلى ، فأكثرت عليه ، فقال : قد أبرمتنى فاختارى خصلة من خصلتين: إما أن أصلى ولا أتطهر ، و إما أن أتطهر ولا أصلى ، قالت: قبحك الله ! فان لم يكن غير هذا فصل بلا وضوء ، فقام فصلى بغير وضوء

وقال أبو أيوب المدائنى : حدثت أنه شرب يوماً فى بيت خمار بالحيرة فجاءه شرطى من شرط الأمير ليدخل عليه ، فأغلق الباب ، فناداه الشرطى : اسقنى نبيذا وأنت آمن ، فقال : والله أنت ما آمنك ، ولكن هذا ثقب فى الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه ، ثم وضع له أنبوباً من قصب فى الثقب وصب فيه نبيذا من داخل ، والشرطى يشرب من خارج حتى سكر فقال الأقيشر [من الرمل] :

سأل الشُّرْطيُّ أن نَسْقِيَهُ فسقيناهُ بأنبوب القصبْ[١]

إنما نشربُ من أموالنا فاسأل الشرطي ما هذا الغضبْ

وعن الهيثم بن عدى قال: كان قيس بن محمد بن الأشعث ضرير البصر ، وكان

---

(٢) فى الأغانى «فسلوا الشرطى».

يتنسك فأتاه الأقيشر ، فسأله ، فأمر قهرمانه فأعطاه ثلاثمائة درهم ، فقال : لا أريدها جملة ولكن مُر القهرمان أن يعطيني كل يوم ثلاثة دراهم حتى تنفد ، فأمره بذلك ، فكان يأخذها فيجعل درهما لطعامه ، ودرهما لشرابه ، ودرهما لدابة تحمله إلى بيوت الخمارين ، فلما نفدت الدراهم أتاه الثانية فسأله ، فأعطاه ، وفعل بها مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة فأعطاه وفعل بها مثل ذلك ، ثم أتاه الرابعة فسأله فقال له قيس : لا أبا لك كأنك قد جعلت هذا خراجا علينا ، فانصرف وهو يقول [من الطويل] :

ألم تَرَ قيْسَ الأكمَهَ ابنَ محمدٍ ... يقُولُ ولا تلْقَاهُ للخير يفْعَلُ

رأيتكَ أعمى العينِ والقلْبِ مُمسكا ... وماخيرُ أعمى القلبِ والعينِ يَبْخلُ(١)

فلوْ صمّ تمت لعنــةُ اللهِ كلُّهـا ... عليهِ وما فيهِ من الشرِّ أفضلُ

فقال قيس : لو نجا أحدٌ من الأقيشر لنجوت منه

واختصم قوم بالكوفة فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فقالوا : نجعل بيننا أول من يطلع علينا ، فطلع الأقيشر عليهم وهو سكران ، فقال بعضهم لبعض: انظروا مَنْ حكّمنا ، فقالوا : يا أبا مُعرض قد حكمناك ، قال : فيماذا ؟ فأخبروه ، فمكث ساعة ثم أنشأ يقول [من الوافر] :

إذا صليْت خمساً كلَّ يومٍ ... فإن الله يَغفرُ لى فُسوقى

ولم أُشرِك برَبِّ الناس شيئاً ... فقد أمسكتُ بالحَبلِ الوثيقِ

وهذا الحَقُّ لَيس به خفاء ... فَدَعنى من بُنيّاتِ الطريقِ

وقال ابن الكلبي : كان الأقيشر يأتى الحيرة ليشرب الخمر ، فلما دخل شهر رمضان منعه ابن عمه يقال له أسيد من الخروج إليها والشرب فيها ، فلقيه صاحب له وقد شحب لونه وهزِل فقال له : مالى أراك متغير اللون يا أبا معرض؟ فقال [من الكامل] :

---

(١) فى الأصل « ينحل » محرفا عما أثبتناه . موافقا لما فى الأغانى ، ولقوله « ممسكا » .

إما ترانى قد هلكتُ فإنما رمضانُ أهلكنى ودينُ أسيدِ
هذا يُصرِّدُنى فلستُ بشاربٍ وأخٌ يؤرِّقنى مع التصريدِ

قال : وشرب الأقيشر من حانوت خمارٍ حتى أنفد ما معه ، ثم شرب بثيابه حتى غلقت فلم يبق عليه شىء ، وجلس فى تبن فى جانب البيت إلى حلقه مستدفئاً به ، فمر عليه رجل ينشد ضالة فقال : اللهم ارددُ عليه واحفظ علينا ، فقال له الخمار : سَخِنَتْ عينك ! أى شىء يحفظ عليك ربك ؟ فقال : هذا التبن لا آمن أن تأخذه فأموت من البرد ، فضحك الخمار وردّ عليه ثيابه ، وقال له : اذهب فاطلب ماتشرب به ، ولا تجئنى بثيابك فإنى لا أسترهنها أبدا بعد هذا

وحكى عنه أنه أتى يوماً من الأيام بيت الخمار الذى كان يأتيه فلم يجده ، وانتظره ، فدخلت امرأة عبادية فقال لها : مافعل فلان ؟ قالت : مضى لحاجته وأنا امرأته ، وقيل : إن الخمار كان اسمه حنينا و إن المرأة قالت له : أنا أم حنين فما تريد ؟ قال : نبيذا ، قالت : بكم ؟ قال : بدرهمين ، فقالت له : هلم درهميك وانتظرنى ، قال : لا ، بل أكون معك ، قالت : أنت وذاك ، فمضت وتبعها فدخلت داراً لها بابان فخرجت من أحدهما ، وجلس هو ينتظر ، فلما طال جلوسه خرج بعض أهل الدار فقال : مايحبسك[1] ؟ فأخبره القصة ، فقال : تلك امرأة محتالة من العباديين يقال لها أم حنين ، فعلم أنه خدع فقال [من الخفيف] :

لاتغرَّنَّ ذاتُ خُفٍّ سِوانا بَعْدَ أختِ العبادِ أُم حُنينِ[2]
وعَدَتنا بدرهمين شِوَاءً وطِلاءً مُعجلا غيرَ دينِ[3]

---

(١) فى الأغانى « ما يجلسك » .

(٢) فى الأغانى « لم يغرر بذات خف سوانا »

(٣) فى الأغانى :

وعدتنا بدرهمين نبيذا أو طلاء معجلا غير دين

ثم نوّتْ بذا الدرهمين جميعاً ... بالتوى لصبيةِ المُرضعينِ

عطفتْ نحوه بقلبٍ تقيٍّ ... سوفَ تغدو خجلى ولهفى

ضربتْ كفها بنقضِ جفنةٍ ... ذو الأيرِ مرّتين عصيّتينِ

قالَ ما هذا قالت ... سوفَ أعطيكَ أجرهُ مرّتين

فهو الآنَ بالشرعِ ... سلفةً أرضتهُ بالأجرتينِ(١)

تلّها للجبينِ ثم امتطاها ... عمرو الأيرِ أفحجَ الحالبينِ

فيما غلا منهُ وهي تجري ... ظهرهُ بالبنانِ والمعصمينِ

جاءها زوجُها وقد رشحَ فيها ... ذو انتصابٍ موثّقُ الأخدعينِ

فتلقّى وقالَ ويلاً طويلاً ... لحُنينٍ من عُزمِ أمِّ حنينِ(٢)

قال: فجاءه حنين الحيرة فقال: يا هذا ما أردت إلا هجائي وهجاء أمي! قال: أخذت مني درهمين ولم تعطني شرابا، فقال: لا، والله لا تعرضت لأمي ولا أخذت منك شيئاً قط، فانظر إلى أي فلو كانت صحبتك غرمت لك الدرهمين، قال: لا والله لا أعرف غير أم حنين وما أهجو إلا أم حنين وابنها، فإن كانت أمك فإياها أعني، وإن كانت أم حنين أخرى فإياها أعني، قال: فإذاً لا يفرق الناس بينهما، قال: فما علي؟ أترى أن درهمي يضيعان علي؟ قال: هلم إذا أغرمهما لك، لا بارك الله لك فيهما!.

وحكي أنه تزوج بابنة عم له يقال لها الرباب على أربعة آلاف درهم، فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئاً، فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين، وكان مجوسيا فسأله فأعطاه الصداق كاملا فقال [من المتقارب]:

---

(١) في الأغاني « .. أرضته بالآخرين » ولعله محرف عما هنا.

(٢) في الأغاني « . . . وقال ويل طويل » بالرفع، وهو وجه حسن في العربية.

كمدى مجوسى من الرباب ... فداه المجوسى خال وعم

شهدت عليك بطيب المشاش ... وأنك بحر جواد خضم(١)

وأنك سيد أهل الجحيم ... إذا ما ترديت فيمن ظلم

تجاور هامان فى قعرها ... وفرعون والمكتنى بالحكم(٢)

قال المجوسى: ويحك! سألت قومك فلم يعطوك شيئا، وجئتنى فأعطيتك فجزيتنى هذا القول، ولم أفلت من شرك، قال: أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبى جهل؟ ثم جاء إلى عكرمة بن ربعى التيمى فسأله، فلم يعطه شيئا، فقال [من المتقارب]:

سألت ربيعة من شرها ... أبا ثم أما، فقالوا لمه

فقلت لأعلم من شركم ... وأجعل للسب فيكم سمه(٣)

فقالوا لعكرمة المخزيات ... وماذا يرى الناس فى عكرمه

فإن يك عبدا زكا ماله ... فما غير ذا فيه من مكرمه

ومن شعر الأقيشر قوله [من السريع]:

يا أيها السائل عما مضى ... من علم هذا الزمن الذاهب

إن كنت تبغى العلم أو أهله ... أو شاهدا يخبر عن غائب

فاختبر الأرض بأسمائها ... واعتبر الصاحب بالصاحب

وكان الأقيشر مولعا بهجاء عبد الله بن إسحق، ومدح أخيه زكريا،

---

(١) روى هذا البيت فى الأغانى هكذا:

شهدت بأنك رطب المشاش ... وأن أباك الجواد الخضم

(٢) فى الأغانى * مجاور قارون *

(٣) فى الأغانى * وأجعل للسب فيه سمه *

فقال عبد الله لغلمانه : ألا تريحونى[1] منه ، فجمعوا بعراً وقصباً ، بظهر الكوفة ، وجعلوه فى وسط إرَةٍ ، وأقبل الأقيشر ، وهو سكران من الحيرة ، على بغل أبى المضاء رَجل مُكارٍ ، فأنزلوه عن البغل ، فغاروا وأخذوا الأقيشر ، فشدُّوه رباطاً ، ثم وضعوه فى تلك الإرة ، وألهبوا النار فى ذلك القصب والبعر وجعلت الريح تَسفع وجهه وجسمه بتلك النار ، فأصبح ميتاً ، ولم يُدْرَ مَنْ قتله ، وكان ذلك فى حدود الثمانين من الهجرة المشرَّفة .

*
* *

من شواهد رد العجز على الصدر

١٦٦ — تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نجدٍ
فَمَا بَعْدَ العشيةِ مِنْ عَرَارِ

البيت للصمة القشيرى ، من أبيات من الوافر ، وهى :

أقولُ لصاحبي والعيسُ تَهْوِى بِنا بينَ المنيفةِ ، فالضمارِ

وبعده البيت ، وبعده :

ألاَ يا حبذا نفحاتُ نجدٍ وَرَيًّا رَوْضِهِ بعدَ القِطَارِ
وأهلكَ إذ يَحُلُّ الحيُّ نجداً وأنتَ على زمانكَ غيرُ زارِ
شهورٌ ينقضينَ وَمَا شعَرْنا بأنصافٍ لهنَّ ولا سرَارِ
فأما ليلهنَّ فخيرُ ليلٍ وأقصرُ ما يكونُ منَ النهارِ

وقيل : الأبيات لجعدة بن معاوية بن حزم العقيلى .

ومن ظريف ما يحكى هنا أن على بن عيسى الرَّبعى النحوى ـ وكان يرمى

---

(١) هكذا فى الأصل ، وقد حذف نون الرفع لما اجتمعت هى ونون الوقاية ، والأصل « تريحوننى » وذلك أحد ثلاثة أوجه فى مثل ذلك ؛ وهو أضعفها ، وثانيها بقاؤهما بحالهما ، وثالثها أن تدغم إحداهما فى الأخرى .

بالجنون - مرّ يوماً بسكران ملقى على قارعة الطريق ، فحل الربعي سَرَاوِيله ، وجلس على أنف السكران ، وجعل يضرط و يشمه ، ويقول :

تمتعْ مِنْ شميمِ عَرَارِ نجدٍ ... فما بعدَ العشيةِ مِنْ عَرَارِ

وعلى ذكره فانه كان مبتلى بالكلاب : سأل يوماً أولاد الأكابر، الذين كانوا يحضرون عنده أن يمضوا معه إلى كلواذا ، فظنوا ذلك لحاجة عرضت له ، فركبوا خيولا ، وخرجوا ، وجعل هو يمشي بين أيديهم ، فسألوه الركوب ، فأبى عليهم ، فلما صار بخرابها أوقفهم على ثلم ، وأخذ كساء وعصا ، وما زال يعدو إلى كلب هناك ، والكلب يثب عليه تارة ، و يهرب منه أخرى ، حتى أعياه ، فعاونوه عليه ، حتى أمسكوه له ، فأخذَ يعضُّ على الكلب بأسنانه عضاً شديدا والكلب يستغيث ويزعق ، فما تركه حتى استشفى ، وقال : هذا عضني منذ أيام ، وأردت أن أخالف قول الأول [من السريع] :

شاتمني كلبُ بنى مسمعٍ ... فصنتُ عنهُ النفسَ والعِرْضَا

ولَمْ أجبهُ لاحتقارى لهُ ... ومن يعضُّ الكلبَ إن عضّا ؟

وهذان البيتان ، أنشدهما أبو عمرو بن العلاء ، عن ثعلب فى المبرد ، ومنه أخذ الناجم [من الوافر] :

عذيرِى منْ أخى سفهٍ رَمانِى ... بما فيهِ فقلتُ لهُ سلامَا

أبى لى أنْ أجيبكَ أنّ قَدْرِى ... أبى لى أن أُنازعكَ الكلامَا

ومن عجيب ما يحكى فى التطير أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما خرج من القاهرة إلى جهة البلاد الشامية ، أقام ظاهر البلد لتجتمع العساكر وعنده الأعيان من [رجال] الدولة والعلماء والأدباء ، فأخذ كل واحد يقول شيئا فى الوداع والفراق ، وكانَ فى الحاضرين معلم أولاده ، فأخرج رأسه منْ بين الحاضرين ، وأشار إلى السلطان منشداً :

تمتعْ منْ شميم عَرَارِ نجدٍ   فما بعدَ العشيةِ منْ عَرَارِ

فانقبض السلطان والناس ، وتطيروا من ذلك ، وكان الأمر على ما قال ، فانه لم يعد إلى مصر بعدها ، واشتغل بالبلاد الشرقية ، وفتوح القدس والسواحل ، إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وهذه الواقعة لا يستغرب مثلها من معلم أطفال ، فان لهم نوادر يعجز جحا عن حدها ، ويقصر هَبَنَّقَةُ عن شأوها .

من نوادر معلمى الصبيان

فمن ذلك ماحكاه بعضهم ، قال : عبَرْتُ على معلم ، وهو يملى على غلام بين يديه (فريقٌ فى الحبة وفريقٌ فى السعير) فقلت له : يا هذا : إن الله لم يقل إلا (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) ، فقال : أنت تقرأ على حرف أبى عاصم بن العلاء الكسائى ، وأنا أقرأ على حرف أبى حمزة بن عاصم المدنى ، فقلت له : معرفتك بالقراء أعجب إلى من معرفتك بالقرآن ، وانصرفت .

وقال آخر : مررت بخربة ، وإذا معلم واقف على أربع ينبح نبيح الكلاب فجعلت أنظر إليه ، وإذا صبى قد رفع ستراً وخرج ، فقبض المعلم عليه ، فقلت للمعلم : عرفنى خبركَ ، قال : نعم هذا صبي أؤدّبه وهو يبغض التأديب ويفر منه فيدخل إلى داخل ، فلا يخرج ، فاذا طلبته بكى ويؤذيهم ، وله كلب يلعب به ، فأنبح له فيظن أنه كلبه فيخرج إلىّ ، فآخذه .

وقال آخر لبعض المعلمين : مالى لا أرى لك عصاً ، قال : لا أحتاج إليها . إنما أقول : من لم يرفع صوته بالهجاء فأمه زانية ، فيرفعون أصواتهم ، وهذا أبلغ من العصا وأسلم .

وآذى معلماً رائحة الفساء ، فصاح بالصبيان : ويلكم تخرجون الريح . فجحدوا جميعا ، فصاح واحد منهم : يا معلم فعله أخى ، فقال المعلم : أترانى لا أعلم أنها فسوته ، ولكن أعلل نفسى بالأباطيل .

وقال صبى للصبيان : هل لكم فى أن نغلب اليوم معلمنا ؟ قالوا : نعم ، قال : تعالوا حتى نشهد عليه أنه مريض ، فجاء واحد وقال : أراك ضعيفا ، وأظنك ستُحَمّ . فلو أتيت المنزل فاسترحت وقمت أنا مقامك ، فقال : يا فلان ، زعم فلان أنى عليل ، فقال : صدق والله ، وهل يخفى هذا على جميع الصبيان؟ إن سألتهم أخبروك ، فسألهم فشهدوا ، فقال : انصرفوا اليوم وتعالوا غداً .

وضرب معلم صبيا ، فقيل له : ما ذنبه ؟ قال : أنا أضربه قبل أن يذنب ، لئلا يذنب .

وقال بعضهم : رأيت صبيا تعلّق بآخر ، وأحضره بين يدى معلم ، وقال : يا أستاذى : هـذا عضّ أذنى ، فقال : والله ما عضضتها ، وإنما هو عضّ أذن نفسه ، فقال المعلم : يا ابن الخبيثة ، هو صار جملا حتى يعضّ أذن نفسه .

وقال الجاحظ : رأيتُ معلما يبكى ، فقلتُ لهُ : ما يبكيك ؟ قالَ : سَرَقَ الصبيان خبزى .

وقرأ صَبِىٌّ على معلم : (هُمُ الذينَ يقولُونَ لاَ تنفقوا إلاَّ مَنْ عندَ رسولِ الله) فقال المعلم : من عند أبيك القَرْنَان أولى ، فانه كثير المـال يا ابن الفاعلة ، أتلزم النبى صلى الله عليه وسلم نفقة لاتجبُ عليهِ ؟ أعجبك كثرة مالهِ ؟ .

وقال معلم لصبى : ما هِجَاء حمَار ؟ فقال : حاء راء ميم كاف . فقال المعلم : ياابن الفاعلة : أقول لك هجاء حِمَار وتقول هِجاء حرأمك .

ونوادرهم كثيرة فلاحاجة إلى الاطالة بها .

وما أحسن قول بعض المعلمين ببلخ ـ وقد جلس حديثَ عهدٍ بتعليم الصبيان ـ [من مجزوء الكامل] :

ما طَارَ بينَ الخافقيـنِ أقلُّ عقـلاً مِنْ معلّمْ
ولقدَ دَخلنا فى الصنا عةِ من قَريبٍ رَبِّ سلّمْ

عود إلى بيت الشاهد

وَنرجع إلى الكلام على البَيت المستشهد بِهِ على النّوع

وقد ضمنه أبوجعفر الأندلسى فقال [من الوافر] :

لقدْ كرّ العِذَارُ بوَجنتيهِ كمَا كرّ الظلامُ علىَ النهارِ

فغابَتْ شمسُ وَجنَتِهِ وجاءتْ علىَ مَهَلٍ عشيّاتُ العَرَارِ

فقلتُ لناظرِى لمـا رآها وقَدْ خلطَ السوادُ بالاحمِرَارِ

تمتعْ منْ شميم عَرَارِ نجدٍ فمـاَ بَعْدَ العشيةِ منْ عَرَارِ

والشميم: مَصدَر كالشم. والعرار — بفتح العين — بهار البر. واحدته بهاء. وهو ورد ناعمٌ أصفر، طيب الرائحة .

والشاهد فى البَيت : مجىء اللفظ الآخر فى حشو المصْراع الأول، ومنه قول جرَير [من الطويل] :.

سَقىَ الرّملَ جَوْنٌ مُستهلٌ غمامةٍ

وَما ذَاكَ إلا حُبّ منْ حلّ بالرّمـلِ

وقول زهير [من الوافر] :

كذلكَ خِيمُهُمْ ولكلّ قومٍ إذا مستهمُ الضرّاء خيمُ

وقول أبى تمام [من الوافر] :

ولمْ يحفظْ مُضاعَ المجدِ شىءٌ منَ الأشياء كالمـال المضاعِ

وقول الخليع الشامي(١) [من الـكامل] :

خُذْ ياغلامُ عنانَ طَرْفكَ فاثنهِ عنىّ فقدْ ملكَ الشمول عنانى

وقول أبى الفتح البستى [من السريع] :

أشفقْ على الدرهمِ وَالعينِ تسلمْ من الغيبةِ وَالدّينِ

فقوّةُ العَـينِ بانسانها وقوّةُ الانسانِ بالعَـينِ

---

(١) كذا

وقول أبي جعفر البحاث، وقد حلم بخيال حبيب له ، فنبهه ذلك الحبيب [من البسيط] :

يامن ينبهني عن رقدة جمعت ... بيني وبين خيال منه مأنوس
دعني فانك محروس ومرتقب ... وخلني وخيالا غير محروس

وقول الغزى [من الوافر] :

فلو سمح الزمان بها لضنت ... ولو سمحت لضن بها الزمان

ولابن جابر فيه [من الخفيف] :

بين تلك الخيام أكرم قوم ... ضربت للندى عليهم خيام
قد أقاموا بين العقيق وسلع ... فحياة النفوس حيث أقاموا

وله أيضا [من الخفيف] :

خجلت عند ما نظرت إليها ... وانثنت وهي بين تيه ومنع
إنما ورد خدها زرع طرفي ... حين يرنو فكيف أحرم زرعي

ترجمة الصمة القشيري

والصمة [1] هو : ابن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة القشيري ، شاعر إسلامي ، بدوي ، مقل من شعراء الدولة الأموية ، ولجده قرة بن هبيرة صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم . وهو : أحد وفد العرب عليه . وكان الصمة يهوى ابنة عم له [دنية] ، يقال لها : العامرية[2]، أوثر عليه في تزويجها غيره ، لأن

---

(١) تجد للصمة القشيري ترجمة في الأغاني (٥ - ٣١ بلاق) .

(٢) في الأصل « ابنة عم له يقال لها ذئبة » وهو من عجائب التحريف وقد أثبتنا ما في الأغاني ، والذي يظهر أن كلمة « دنية » التي زدناها عن الأغاني ، ومعناها القرابة القريبة، يعني أن أباها أخو أبيه لا ابن عمه ، قد انحرفت عن موضعها . فظنها الناسخ اسم ابنة العم وحرفها .

عمه لؤم فى السماح بالمهر ، وكان قد اشتط فيه ، والؤم أبوه فى إكماله ، فأنف الصمة من فعلهما وخرج إلى طبرستان فأقام بها إلى أن مات .

وحكى ابن دأب أن الصمة هوى امرأة من بنى عمه يقال لها : العامرية بنت عطيف ، فخطبها إلى أبيها ، فأبى أن يزوجه بها ، وخطبها عامر بن بشر الجعفرى ، فزوجه إياها ، فلما بنى بها زوجها وجد بها وجداً شديدا ، فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها : جبرة ، فأقام معها يسيراً ، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه ، وقال [من الطويل] :

لعمرى لئنْ كنتم على النأى والقلى ... بكمْ مِثلُ مَابى إنكمْ لصَديقُ
إذا زَفرَاتُ الحبِّ صَعدنَ فى الحشَى ... رُدِدْنَ ولم ينهجْ لهنَّ طريقُ

وقال أيضا [من الطويل] :

إذا ما أتتْنا الريحُ منْ نحو أرضكمْ ... أتتناَ بِرَيّاَ كمْ فطابَ هبوبهَا
أتتنا بريحِ المسْكِ خالَط عنبَرًا ... وريحِ الخُزَامىَ باكرَتْها جنُوبُها

قال : وخرج الصمة فى غزو إلى الديلم ، فمات بطبرستان .

وحكى عن رجل من أهل طبرستان ، قال : بينا أنا أمشى فى ضيعة لى ، فيها ألوان من الفاكهة والزعفران ، إذا بانسان مطروح عليه أثواب خُلْقَان ، فدنوت منه ، فاذا هو يتحرك ، ويتكلم ، فأصغيت اليه ، فاذا هو يقول بِصوت خفىّ ، [من الطويل] :

تعز بصبرٍ لاَ وَرَبكَ لا ترَى ... سنامَ الحمى أخرَى الليالى الغوَابرِ
كأنّ فؤادى من تذكره الحمىَ ... وأهلِ الحمَى يهفو بهِ ريشُ طائرِ

فما زال يردد هذينِ البيتين حتى فاضت نفسه ، فسألت عنه ، فقيل لى : هذا الصمة بن عبد الله القشيرى .

***

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٦٧ — وَمَنْ كانَ بالبِيضِ الكَوَاعِبِ مُغرَماً
فما زلتَ بالبيضِ القَوَاضِبِ مُغرَمَا

البيت لأبى تمام، من قصيدة (١) من الطويل، يمدح بها محمد بن يوسف الطائى، أولها:

عَسَى وطنٌ يَدْنو بهم ولعلمّا | وأَنْ تعتبَ الأيام فيهمْ فرُبمَا
لهمْ منزل قد كان بالبيض كالدمى | فصيحَ المعانى ثم أصبحَ أعجمَا
وَرَدَّ عيونَ الناظرينَ مهانةً | وقد كانَ مما يرجعُ الطرفَ مكرمَا
تَبدّلَ غاشيهِ بريم مُسلمٍ | تَردّى رداءَ الحسنِ كَطيفاً مسلمَا
ومنْ وَشْيِ خزٍ لمْ ينمنم فرنده | معالم يذكرْن الكتاب المنمنما(٢)
وَبالحلى إنْ قامتْ ترنم فوقها | حمامٌ إذا لاقى حماما ترنَّمَا
وَبالخدلةِ الساقِ المخدّمةِ الشوى | قلائص يتلونَ القسى المخدّمَا(٣)
لقدْ أصبحَ الثغران سَدّين بعدما | رأوْا سَرَعَانَ الذّلّ فذًّا وتوأمَا
وكنتَ لناشيهمْ أباً ولكهلهمْ | أخاولذى التقويس والكبرة أبْنمَا

و بعده البيت، و بعده:

ومنْ تيمتْ سمرُ الحسانِ وأُدمها | فما زلْتَ بالسمر العوالى متيما(٤)

وهى طويلة بديعة.

والكواعِبُ: جمع كاعب، وهى: الناهدة الثدى. والبيض القواضب: السيوف القواطع.

---

(١) انظرها فى الديوان (٢٩٤)
(٢) فى الديوان « ومن وشى خد »
(٣) فى الديوان *قلائص يتبعن القسى المخدما* وفيه بين هذا البيت والذى بعده ستة أبيات
(٤) فى الديوان *وما تيمت سمر الغوانى وأدمها*

والشاهد فى البيت : مجىء اللفظ الآخر فى آخر المصراع الأول . ومنه قول أبى الأسود الدؤلى [من الطويل] :

وما كلُّ ذى لبٍّ بمؤتيكَ نُصْحَهُ   وما كلُّ مُؤتٍ نصحهُ بلبيبِ

وقول أبى تمام [من الطويل] :

وجُوهٌ لوانَّ الأرضَ فيها كواكبٌ   توَقّدُ للسارِى لـكانتْ كواكبا

وقول ابن الرومىّ [من الكامل] :

رَيْحَانُهمْ ذهبٌ على دُرَرٍ   وشَرَابهمْ دُرَرٌ على ذهبِ

وقول ابن جابر [من الخفيف] :

لكَ نفسى إذا بَدَتْ لكَ نجدٌ   فلقدْ سرَّنى الزَّمانُ بنجدِ

فلتلكَ الخيامِ عندىَ عهدٌ   وأبى اللهُ أن أُضيّعَ عهدِى

وما أبدع قول البديع الهَمَذانى فى معنى بيت أبى تمام المستشهد به هنا، وهو من شواهد البيت قبله [من مجزوء الكامل] :

وَهوَاى للبيضِ الصّبا   حِ هوَاكَ للبيضِ الصفَاحِ

* * *

من شواهد رد العجز على الصدر أيضاً

١٦٨ — وإنْ لم يكن إلاَّ مُعرّجُ ساعةٍ
قليــلاً فإنى نافعٌ لى قليلُهَا

البيت لذى الرمة، من قصيدة من الطويل، قالها فى صاحبته مية ، أولها :

خليليَّ عُدّا حاجتى منْ هوا كما   ومَنْ ذا يُواتى النفسَ إلا خَليلُها

ألمـَّا علَى الدار التى لوْ وجدتُما   بها أهلَها ما كان وَحْشاً مَقيلُهَا

و بعده البيت ، و بعده :

لقدْ أشربَتْ قلبى لمىٌّ مودّةً   تقَضَّى الليالى وَهْوَ باقٍ وسيلها

مُهَفْهَفَةُ الـكشحين رُؤْدٌ شَبابُها   مُبَتَّلَةٌ خَوْدٌ نَبيـلٌ حجولُها

وَقدْ تَيَّمَتْ قلبي فليسَ بنازعٍ   وَقدْ شَفَّهُ هِجرانُها وَمطولُها

روى عن سليمان بن عبـاس ، قال : أخبرنى أبى ، قال : مررت فى أرض بنى عقيل، فرأيت جارية بيضاء ، تَدَافَعُ فى مشيها تدافع الفرس المختال ، تنظر عن عينين نجلاوين بأهداب كقوادم النسور، لم أر أكمل جمالا منها ، فوقفتُ لأكلمها ، فقالَت لى عجوز بفناء منزلها : مالك ولهذا الغزال النجدى ، الذى لاحظ لك فيه سوى قول القائل [من الطويل] :

ومالكَ منها غيرُ أنك نائلٌ   بعينيكَ عينيهـا وأيركَ خائبُ

فقالت لها الفتاة : دعيه ياأماه يكن كما قال ذو الرمة :

و إنلم يكنْ إلا معرّجُ ساعةٍ   قليـلا فانى نافعٌ لى قليلها

ومنه قول يزيد بن الطثْرية [من الطويل] :

أَلَيسَ قليلاً نظْرَةٌ إنْ نظرْتها   إليكِ، ولـكنْ ليس منكِ قليلُ

وقول أبى إسحاق الموصلى [من الخفيف] :

إنَّ ماقلَّ منكَ يكثرُ عندى   وكـثيرٌ ممن تحبُّ قليلُ

وقول الخوارزمى [من مخلع البسيط] :

إذا ملـكتم فلا تَتِيهُوا   و إن حكمتم فلا تجورُوا

تعطَّفوا وارحمـوا محبًّا   قليلـكم عنـده كثيرُ

وقول المتنبي [من الوافر] :

وجُودُك بالمقامِ وَلوْ قليلاً   فماَ فيماَ تجودُ بهِ قليلُ

وقول أبى نصر أحمد الميكالي [من الوافر] :

قَليلٌ مِنكَ يكفينيولـكنْ   قليلكَ لا يقالُ لهُ قليلُ

وقد ألمَّ بهذا المعنى شرف السادة : محمد بن عبيد الله الحسينى البلخى بقوله من قصيدة طويلة [من الكامل] :

ولرُبما سمحَ البَكِيُّ بدَرِّهِ وَشفَى الغليلَ تعللٌ بقليلِ

والتعريج : الاقامة على الشىء وحَبْس المطى على المنزل .

والمعنى : إن لم يكن إلمامُكما - أى نزولُكما القليل بالدار - إلا تعريج ساعة فان قليلها ينفعنى ويشفى غليل وجدى .

والشاهد فيه : مجىء اللفظ الآخر فى صدر المصراع الثانى ، وما أحسن قول ابن جابر [من الخفيف] :

صَفحوا عَنْ محبهمْ وأقالوا مِنْ عِثارِ النوى ومَنُّوا بوصلِ

لستُ أستوجبُ الوِصالَ ولكنْ أهلُ تلكَ الدِّيارِ أكرَمُ أهْلِ

ترجمة ذى الرمة

وذو الرمة(١) هو : أبو الحارث غَيْلانَ بن عُقْبة ، ينتهى نسبه لِنزار ، الشاعر المشهور ، أحد فحول الشعراء .

يقال : إنه كان ينشد شعره فى سوق الابل ، فجاء الفرزدق فوقف عليه ، فقال له ذو الرمة : كيف ترى ماتسمع يا أبا فراس ؟ قال : ماأحسن ماتقول ! قال : فما لى لا أذكر مع الفحول ؟ قال : قَصَّر بك عن غايتهم بكاؤك فى الدِّمَنِ ، ووصفكَ الأبعار والعطَن .

قال أبو عمرو بن العلاء : ختم الشعر بذى الرمة ؟ والرجز برؤبة بن العجاج ،

---

(١) لذى الرمة ترجمة فى الأغانى (١٦ - ١١٠ بلاق) وتزيين الأسواق (١ - ٩٣) وخزانة الأدب للبغدادى (١ - ٥٠) وابن خلكان (٢ - ١٣٧) والشعر والشعراء لابن قتيبة (٣٣٣) .

فقيل له : إن رُؤْبَة حيٌّ ، فقال : نعم ، ولكنه ذهب شعره كما ذهب مطعمُهُ وملبسهُ ومنكحهُ . فقيل له : فهؤلاء الآخرون . فقال : مرقعونَ مهدّمون ، إنما هم كَلٌّ على غيرهم

وذو الرمّة : أحد عشاق العرب المشهورين بذلك ، وصاحبتُهُ ميّة ابنة مقاتل (١) ابن طَلَبة بن قيس بن عاصم المنقرى . وقيس بن عاصم : هو الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم ، فأكرمه وقال له : أنت سيد أهل الوبر . وكان ذو الرمة كثير التشبيب بها فى شعرِه . وإياها عَنَى أبوتمام الطائى فى قصيدته البائية بقوله [من البسيط] :

مَا رَبْعُ ميةَ معموراً يُطيفُ بِهِ ... غيلانُ أبْهى رُبًا من رَبْعها الخرِبِ

وقال ابن قتيبة : قال أبو ضرار الغنوى (٢) : رأيت ميّة وإذا معها بَنون لها ، فقلت : صفها لى ، فقال : مسنونة الوجه ، طويلة الخدّ ، شماء الأنف ، عليها وسمُ جمال . قلت : أ كانت تنشدك شيئا مما قال فيها ذو الرمة ؟ قال : نعم .

ومكثت مية زماناً تسمع شعرَ ذى الرمة ولا تراه . فجعلت لله عليها أن تنحرَ بدنةً إذا رأته ، فلما رأته رأت رجُلا دميما أسود ، وكانت من أهل الجمال ، فقالت : واسوءتاه ! وابؤساه ! فقال ذو الرمة [من الطويل] :

على وَجْهِ مَىٍّ مسحة مِنْ ملاحةٍ ... وتحتَ الثياب العار لو كان باديا (٣)

ألمْ تَرَ أنّ الماء يخبثُ طعمُهُ ... وإن كان لون الماء أبيضَ صافيًا

---

(١) هكذا سمى ابن خلكان أباها ، وقال ابن قتيبة « مية بنت فلان ابن طلبة »

(٢) هكذا فى ابن خلكان عن ابن قتيبة . وهو إحدى نسخ الشعر والشعراء ، وفى أخرى « ابن سوار الغنوى » ومثله فى الأغانى .

(٣) فى الشعراء « وتحت الثياب الشين »

فيا ضَيْمَةَ الشعر الذى لَجَّ فانقضى ... بمىٍّ فلم أُملك ضَلالَ فؤاديا (١)

ومن شعره السائر فيها [من الطويل] :

إذا هبَّتِ الأرواحُ من نحو جانبٍ ... به أهلُ مىّ هاجَ قلبى هُبُوبُها

هوًى تذرف العينانِ منهُ ، وإنما ... هوَى كلُّ نفس أين حلَّ حبيبُها

وكان ذو الرمة يُشَبِّب بخرقاء أيضاً ، وهى من بنى البكاء بن عامر بن صعصعة . وسبب تشبيبه بها أنه مر فى سفر ببعض البوادى فاذا خرقاء خارجة من خباء ، فنظر إليها فوقعت فى قلبه ، فخرق إداوته ودنا منها يستطعم كلامها ، فقال : إنى رجل على ظهر سفر وقد تخرقت إداوتى فأصلحيها لى ، فقالت : والله ما أحسن العمل وإنى لخرقاء — والخرقاء : التى لا تعمل شيئا لكرامتها على أهلها — فشبب بها ذو الرمة ، وسماها خرقاء ، وإياها عنى بقوله [من الطويل] :

وما شَنَّتا خرقاء واهية الكُلَى ... سقَى بهما ساقٍ فلم يتَبَلَّلاَ

بأضيعَ من عينَيْكَ للدمع كلما ... تذكَّرْتَ ربعا أو توهمت منزِلا

وقال المفضل الضبي : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لى : هل لك فى أن أريك خرقاء صاحبة ذى الرمة ؟ فقلت : إن فعلت فقد بررتنى ، فتوجهنا جميعا نريدها ، فعدل بنا عن الطريق بقدر ميل ، ثم أتينا أبيات شعَر ، فاستفتح بيتا ففتح له ، وخرجت علينا امرأة طويلة حُسَّانة بهافوه (٢). والحُسَّانة أشد حسنا من الحسناء ، فسلمت وجلست ، فتحدثنا ساعة ثم قالت : هل حججت قط ؟ قلت : غير مرة ، قالت : فما منعك من زيارتى ؟ أما علمت أنى مَنْسَكٌ من

---

(١) فى الشعراء « ولم أملك ضلال فؤاديا »

(٢) فى الأصل « بها قوة » وقد أثبتنا ما فى الشعراء لأنه أصل هذه الترجمة وعنه أخذ المؤلف

مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : أما سمعت قول عمك ذي الرمة حيث يقول [من الوافر] :

تمامُ الحجِّ أن تقفَ المطَايا على خَرْقَاء واضعةَ اللثـامِ

وكان ذو الرمة كثير المدح لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعرى ، رضى الله عنه ! وفيه يقول مخاطباً ناقته صَيْدَحَ ، وكان هذا الاسم علماً عليها، بقوله [من الوافر] :

رأيْتُ الناس يَنْتَجِعُونَ غيثاً فقلت لِصَيْدَحَ انتجعى بلالا(١)

و بقوله [من الطويل] :

إذا ابْنَ أبى موسى بلالاً بلغتِهِ فقامَ بفأس بين عَيْنَيْكِ جازرُ (٢)

وقد أخذه من قول الشماخ فى عرَابة الأوسي يخاطب ناقته [من الوافر] :

إذا بلَّغتِنِى وحملتِ رحلى عرَابةَ فاشْرَقى بدمِ الوتـينِ

وجاء بعدهما أبو نواس فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الأمين محمد بن الرشيد [من الكامل] :

و إذا المطىُّ بنا بَلَغْنَ محمداً فظُهُورهُنَّ على الرجالِ حرَامُ

والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية المأسورة بمكة — وقد كانت نجَتْ على ناقة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — فلما وصلت إليه قالت له : يارسول الله ، إنى نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بئس ما جزيتيها(٣) .

---

(١) يرويه النحاة « سمعت النـاس ينتجعون غيثا » ويحكون النصب والرفع فى كلمة « الناس » على روايتهم

(٢) يروى « فقام بفأس بين وصليك جازر »

(٣) كذا ، وتخرج على أن زيادة الياء لاشباع كسرة التاء ، ولها نظائر .

ومعنى الأبيات الثلاثة أنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيتنى ، وأغنيتنى ، إلا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضاً عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود، لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى الممدوح.

وقد نظم أبو نواس هذا المعنى أيضا عائبا على الشماخ قوله [من الوافر] :

أقولُ لناقتى إذ بلّغتنى ... لقد أصبحتِ منى باليمينِ

فلم أجعلك للغربان نحلاً ... ولا قلتُ اشرَقى بدم الوتينِ

وكان لذى الرمة إخوة : هشام ، وأوفى ، ومسعود ، فماتَ أوفى ثم مات ذو الرمة بعده ، فقال مسعود يرثيهما ، هكذا قال ابن قتيبة ، وقال فى الحماسة فى المراثى خلاف ذلك ، والأبيات التى قالها مسعود هى [من الطويل] :

تعَزيت عن أوْفى بغيلانَ بعدَهُ ... عزاء وجفْنُ العين ملآنُ مُتْرَعُ

ولم يُنْسنى أوفى المصيبات بعدهُ ... ولكن رأيت القرْحَ بالقرح أوجعُ

فى جملة أبيات قالها .

وأخبار ذى الرمة كثيرة والاختصار أولى .

والرمة — بالضم — قطعة من حبل ، وتكسر ، ولقب بذلك لقوله فى الوتد [من الرجز] :

* أشعثَ باقى رُمَّةِ التقليدِ *

ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم ، أنا ابن أربعين سنة، وأنشد [من البسيط] :

يا قابض الروح عن نفسى إذا احتُضِرَتْ ... وغافِرَ الذنبِ زحزحنى عن النارِ

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة ، رحمه الله تعالى ! .

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٦٩ — دعاني من مَلامِكما سفاها فداعي الشوقِ قبلكما دعاني

البيت للأرَّجاني، من قصيدة(١) من الوافر، يمدح بها الوزير سعد الملك أولها:

إذا لم تقدرا أن تُسعِدَاني على شَجَنِي فَسِيرَا واتركاني

وبعده البيت، وبعده:

وأينَ من المَلامِ لقىً همومٍ يبيتُ ونِضْوُهُ مُلقَى الجِرانِ
أميلُ عن السُّلوِّ وفيه برء وأعلَقُ بالغرام وقد بَلَاني(٢)
وأعجبُ من حنيني في التنائي وأعجب من صُدُودك في التَداني(٣)
ألا لله ما صنَعَتْ بعقلي عقائلُ ذلك الحيِّ اليماني
نواعم ينتقبن على شقيقٍ برفٍ ويبتسمن بأقحوانِ
دنَوْنَ عشيةَ التوديع مني ولي عينانِ بالدم تجريانِ
فلم يمسَحْنَ إكراماً جفوني ولكن رمْنَ تخضيبَ البنانِ

وهي طويلة.

والسفاه والسفه والسفاهة: خفة الحلم، وتثلث سينه، وقيل: هو نقيضه، أو الجهل.

والشاهد فيه: وقوع أحد اللفظين المتجانسين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول، وهما دعاني الأولى بمعنى اتركاني ودعاني الثانية من الدعاء، ولمؤلفه فيه [من الخفيف]:

ناظراهُ إذا تنكَّرَ تيهاً في الذي أورث الحشى ناظراهُ

* * *

(١) اقرأها في الديوان (٤٠٣)
(٢) في الديوان «وقد براني».
(٣) في الديوان «وتعجب من حنيني»

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٠ - وإذا البلابلُ أفصحتْ بلغاتها فانفِ البلابلَ باحتساء بلابلِ

البيت للثعالبى ، من الكامل ، والبلابل الأولى : جمع بلبل ، وهو الطائر المعروف ، والثانية : جمع بلبال ، وهو الهم ووسواسه فى الصدر ، والثالثة : جمع بلبلة ، وهى قناة الكوز التى يصب منها الماء ، والاحتساء : الشرب .

والشاهد فيه : مجىء المتجانس الآخر فى حشو المصراع الأول .

ترجمة أبى منصور الثعالبى

والثعالبى [1] هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى ، والثعالبى : نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها ، قيل له ذلك لأنه كان فراء

قال ابن بسام فى حقه : كان فى وقته راعى تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلفين فى زمانه ، والمصنفين بحكم قرانه [2] ، سار ذكره سير المثل وضربت إليه آباط الابل ، وطلعت دواوينه فى المشارق والمغارب ، طلوع النجم فى الغياهب . وتآليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر [راو لها وجامع [3]] من أن يستوفيها حد أو وصف ، أو يوفى حقوقها نظم أو رصف .

وقال فى حقه الباخرزىُّ صاحب دمية القصر : هو جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكل لسان ، أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكل مكان ، وكنت وأنا فرخ أزغب ، فى الاستضاءة بنوره أرغب ، وكان هو ووالدى [بنيسابور [4]] لصيقى دار ، وقريبى جوار [5] فكم حملتُ كتباً تدور بينهما فى الاخوانيات ،

(١) للثعالبى ترجمة فى ابن خلكان (١-٥٢١) .
(٢) فى الأصل « بحكم أقرانه » وأثبتنا ما فى ابن خلكان نقلا عن ابن بسام
(٣) الزيادة عن ابن خلكان نقلا عن ابن بسام .
(٤) زيادة عن دمية القصر
(٥) فى الدمية « وقريبى جوار »

وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات ، وما زال بي رؤوفاً وعلى حانياً ، حتى طالعته أيامنا البيا ، رحمة الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره ، ومساء تتلاطم أمواج تياره ! ! »(١) .

ومن شعره ما كتبه إلى الأمير أبي الفضل الميكالي يعاتبه [من السريع] :

يا سيِّداً بالمكرمات ارتدى　　وانتعل العيُّوقَ والفرقدا

مالكَ لا تجرى على مقتضى　　مودة طال عليها المدَى

إن غبتُ لم أُطلَبْ وهذا سليمانُ بن داودَ نبىُّ الهدَى

تفقَّدَ الطيرَ على شغلهِ　　فقال: مالى لا أرى الهدهُدَا

ومنه [من السريع] :

وسائلٍ عن دمعيَ السائلِ　　وحال لونى الكاسفِ الحائلِ

قلت له والأرضُ فى ناظرى　　أوسَعُ منها كفةُ الحابلِ

بليتُ والله بمملوكة　　فى مقلتيها ملكا بابلِ

فان لحانى عاذلى فى الهوَى　　يوماً فما العاذلُ بالعادلِ

ومنه [من الكامل] :

لا كانَ فى عينى مجالٌ للسِّنَهْ　　وجعلتُ عِرْضى عرْضةً للألسنَهْ

إن ذقتُ طعمَ العيش بعدكَ ساعةً　　ورأيت يومَ البين إلاَّ كالسَّنَهْ

ومنه [من الخفيف] :

---

(١) فى الدمية بعد هذا الكلام وقبل ذكر المختار من شعره ، ما نصه : « ووقعت إلى بعد وفاته مجلدة من أشعاره وفيها ثمار بيانه ، وعليها آثار بنانه فالتقطت منها ما يصلح الكتابى هذا من أوساط عقودها ، وأثاسى عيونها ، فمن ذلك ما كتب به إلى الأمير أبى الفضل الميكالى - إلخ .

هذه ليلةٌ لها بهجةُ الطا ووسِ حُسناً واللونُ لونُ الغُداف
رقد الدهرُ فانتبهنا وسارقـــناهُ حظاً من السرور الوافى
بمُدامٍ صافٍ وخلٍ مُصافٍ وحبيبٍ وافٍ وسعدٍ موافى

ومنه [من السريع] :

طالعُ سعدى غيرُ منحُوس فأسقنى يا طاردَ البُوسِ (١)
كأساً كعين الديك فى روضةٍ كأنها حلّةُ طاوسِ

ومنه [من السريع] :

وَيوم سعْدٍ حسَنِ البشْرِ عَذْب السجايا طيب النَّشْرِ
لم تَقْذَ عينى بأذاهُ ولم يطر فؤادى بيَدِ الذُّعْرِ
ولم يرعنى لا ولا ساءنى كعادة الأيامِ فى الشَّرِّ
شبهتهُ منتزعا من يد الأحداثِ ذات الشرِّ والضُّرِّ
باللبن السائغِ ذاك الذى من بين فَرْثٍ ودمٍ يجرى

وكتب إلى أبى نصر سهل بن مَرْزُبان وقد لسعته عقرب على قدمه ، فلما وجدت وقتلت زال الوجع ، وحصل الشفاء المرتجع [من الكامل] :

يا عمدة الأمراء والوُزراء يا عُدَّة الأدباء والشُّعراء
يا غرَّةَ الزمن البهيم وناظرَ الـــكرم الصَّميم وواحدَ الفضلاء
أرأيت همة عقرب دبَّتْ إلى قدمٍ بها تخطو إلى العلْيـاء
لما ارتقتْ للسعِ أعظمَ مرتقى أخنت عليها رتبةُ العظماءِ (٢)

---

(١) فى الدمية « طالع يومى » وفيها « فسقنى ياطارد البوس »
(٢) فى الدمية « لما ارتقت باللسع »

إن ذقت ضرّاء العقارب فامتعن بعقاربِ الأصداغ فى السّراء (١)
يا طيب لسعةِ عقربٍ درياقُها ريق الحبيب بقهوةٍ عذراء (٢)

وقال الثعالبى : قال لى سهل بن مرزُبان: إن من الشعراء من شلشل، ومنهم من سلسل، ومنهم من قلقل، ومنهم من بلبل، فقال الثعالبى: إنى أخاف أن أكون رابع الشعراء، أراد قول الشاعر [من الرجز] :

الشعراء فاعلمنّ أربعهْ فشاعرٌ يجرى ولا يُجرى معهْ
وشاعرٌ من حقّهِ أن ترفعهْ وشاعرٌ من حقه أن تسمعهْ
* وشاعرٌ من حقهِ أن تصفعهْ *

وأراد بقوله « منهم من شلشل » قول الأعشى [من البسيط] :

وقد أروحُ إلى الحاناتِ يتبعنى شاوٍ مشَلٌّ شلولٌ شلشلٌ شَوِلُ

وأراد بقوله « منهم من سلسل » قول مسلم بن الوليد [من الكامل] :

سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

وأراد بقوله « منهم من قلقل » قول المتنبى [من الطويل] :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى قلاقل هم كلهن قلاقل

قال الثعالبى : ثم إنى قلت بعد ذلك بحين [من الكامل] :

فاذا البلابل أفصحت بلغاتها فانفِ البلابلَ باحتساء بلابل (٣)

---

(١) فى الدمية « إن ذقت ضراء العقارب فابقين » وأحسبه محرفا عما هنا

(٢) فى الدمية « ترياقها »

(٣) البلابل الأول : جمع بلبل وهو طائر غرد ، والبلابل الثانى جمع بلبال وأراد أذهب عنك الهواجس والخواطر ، والبلابل الثالث جمع بلبلة وهى فى الأصل قناة الكوز التى يصب منها الماء وأراد منها الخمر من باب إطلاق اسم المحل على الحال .

وللثعالبى ، يصف فرساً ، أهداه له ممدوحه [من الكامل] :

يا وَاهبَ الطِّرْفِ الجوادِ كأنما قدْ أنعْلوهُ بالرِّياحِ الأرْبعِ

كالجاحمِ المشبوب أو كالهاطل الـــمصبوبِ أو كالباشق المتسرِّعِ (١)

لاشيءَ أسرَعَ منهُ إلاخاطرِى فى شكرِ نائلكَ اللطيفِ الموقعِ

ولوَ اننى أنصفتُ فى إكرَامهِ لجلالِ مُهديه الكريم الألمعى (٢)

أقضمتهُ حبَّ الفُؤاد لحبه وجعلتُ مربطهُ سوادَ الأدْمُعِ (٣)

وخلعتُ ثمّ قطعتُ غيرَ مُضيقٍ بُرْدَ الشباب لجله والبرْقعِ

وله [من المجتث] :

سقياً لدَهر سُرُورِى والعيشِ بين السرَارِى

إذ طير سعدى جوَارٍ مع امتلاك الجوارِى

وغيمٌ لهوى مَطيرٌ وَزَندُ أنسىَ وَارِى

أيام عيشى كعودى وقدْ ملكتُ اختيارى (٤)

أجرى بغير عذارٍ أجنى بغير اعتذار

وله فى الشكوى [من الوافر] :

---

(١) فى الدمية « أو كالباسق المتفرع » وما هنا أجود ، وقدسقطالبيت من الوفيات .

(٢) فى الدمية « الكريم الأورع » وفى ابن خلكان مثل ما هنا .

(٣) فى الدمية « سواد المدمع » وهذا البيت متأخر فى الدمية عما ذكر هنا بعده ، وفى ابن خلكان مثل ما هنا لفظا وترتيبا .

(٤) فى الدمية « أيام عيشى كفودى » وهو تحريف صوابه ماهنا ، لأن فود الشباب أسود ، وأراد أن عيشه مستقيم له على ما يحب .

ثلاثٌ قدْ رُميت بهنَّ أضحتْ لنار القلب منى كالأثافى(١)
دُيونٌ أنقضتْ ظهرى وَجورٌ من الأيام شَابَ لهُ غُدافى
وفقدانُ الكَفَاف وَأىُّ عَيشٍ لمنُ يمنى بفقدان الكفافِ

وللثعالبى تآليف كثيرة ، منها : فقه اللغة . [وسحر البلاغة](٢) وسر البراعة ، ومن غاب عنه المطرب ، ومؤنس الوحيد . وأجلها وأحسنها « يتيمة الدهر ، فى محاسن أهل العصر » ، وفيها يقول ابن قلاقس :

أبيات أشعار اليتيمهْ أبكار أفكار قديمهْ
ماتوا وَعاشتْ بعدهمْ فلذاك سميت اليتيمهْ

وشعره مدون ، وكانت ولادته : سنة خمسين وثلثمائة . ووفاته : سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ! !

* * *

١٧١ فمشغوفٌ بآيات المثانِى ومفتونٌ برنات المثانى

هو من الوافر ، وقائله : أبو عبد الله [وأبو] محمد القاسم الحريرى(٣) ، من أبيات ، أولها :

بها ما شئت من دِينٍ ودُنيًا وجيرَانٍ تنَافوْا فى المعانى(٤)

---

(١) فى الدمية « ثلاث قد منيت بهن »

(٢) الزيادة عن ابن خلكان ، والجملتان اسم لكتاب واحد ، وهو معروف مطبوع فى دمشق .

(٣) اقرأها فى أثناء المقامة الثامنة والأربعين من مقاماته (ص٣٨٩ بولاق سنة ١٢٧٢ هـ)

(٤) تنافوا : اختلفوا ، وبين فى بيت الشاهد والذى بعده وجوه اختلافهم ، وأنهم ضروب فى البراعة والفضل .

و بعده البيت ، و بعده :

وَمضطلعٌ بتلخيص المعانى ومطلعٌ إلى تخليص عانى
وكم من قارىء فيها وقارٍ أضرّا بالجفون و بالجفان(١)
وكم من مَعْلَمٍ للعلم فيها وَنادٍ للندى حلو الجانى
وَمَغْنًى ما تزال تَغِنُّ فيهِ أغاريدُ الغوانى والأغانى(٢)
فَصِلْ إن شئت فيها من يصلّى و إما شئت فادنُ من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها أو الكاسات منطلق العنان

والمثانى الأول : القرآن أو مائُنِّى منه مرة بعد مرة أو الحمد لله أو من البقرة إلى براءة أو كل سورة دون الطوال ودون المائتين وفوق المفصل ، والمثانى الثانية من أوتار العود التى بعد الأول واحدها مثنى .

والشاهد فيه : مجىء المتجانس الآخر فى آخر المصراع الأول، ومثله قول ابن جابر [من الكامل] :

زرت الديار عن الأحبة سائلاً ورجعت ذا أسف ودمع سائل
ونزلتُ فى ظل الأراكة قائلاً وَالرّبعُ أخرسُ عن جواب القائل

ترجمة الحريرى

والحريرى(٣) هو أبو عبد الله [وأبو(٤)] محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان

---

(١) القارىء : اسم فاعل من القراءة ، والقارى : اسم فاعل من قرى الضيف . والجفون : جمع جفن العين وهو راجع إلى القارىء ، والجفان : جمع جفنة وهى القصعة التى يقدم فيها الطعام للضيف وهذا راجع إلى القارى .

(٢) تغن : تسمع ، وأصله من الغنة وهي صوت من الخيشوم .

(٣) للحريرى ترجمة فى ابن خلكان (٢-١٦٥ النيل) وفى معجم الأدباء لياقوت الرومى (١٦-٢٦١-٢٩٣) وفى مطلع مقاماته المطبوعة ببولاق (عام ١٢٧٢ من الهجرة) .

(٤) زيادة لا بد منها ، وقد كناه ابن خلكان وياقوت بأبى محمد، وسيذكر المؤلف ولديه وليس فيهما من اسمه محمد .

البصرى الحَرَامِىّ ، صاحب المقامات . كان أحد أئمة عصره ، ورُزق الحُظْوة التامة فى عمل المقامات . وفضلُها أكثر من أن يحصر ، وأشهر من أن يذكر . ومن عرفها حق معرفتها ، استدل بها على فضل هذا الرجل ، وغزارة مادته ، وكثرة اطلاعه . وكانَ سبب وضعها ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله ، قال : كان أبى جالسا بمسجد بنى حَرَام ، فدخل شيخ ذو طِمرَين ، عليه أهبة السفر رثّ الحال ، فصيح الكلام ، حسن العبارة ، فسأله الحاضرون : من أين الشيخ؟ فقال : من سَروج ، فاستخبروه عن كنيته ، فقال : أبو زيد ، فعمل أبى المقامةَ المعروفة « بالحرامية » ، وهى الثامنة والأربعون ، وعزاها إلى أبى زيد المذكور واشتهرت ، فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أنو شروان بن خالد بن محمد القاشانى ، وزير الامام المسترشد بالله ، فلما وقف عليها أعجبته ، وأشار على والدى أن يضمّ إليها غيرها ، فأتمها خمسين مقامة . وقد وجدت نسخ كثيرة من المقامات بخط مصنفها ، وفيها بخطه أيضا أنه صنفها للوزير جلال الدين بن عميد الدولة أبى على الحسن بن أبى العز على بن صدقة ، وزير المسترشد أيضا . قال ابن خلكان : ولا شك أن هذا أصح من الرواية الأولى ، لكونه بخط المصنف وأما تسميته الراوى لها بالحارث بن همام فانما عنى به نفسه ، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم « كلكمْ حَارث ، وكلكم همام » . فالحارث : الكاسب والهمام : الكثير الاهتمام . وقد بَسطت الكلام على مايتعلق بذلك فى شرحى على المقامات .

ويقال : إن الحريرى كان عملها أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وادعاها ، فلم يصدقه فى ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هى لرجل مغربى من أهل البلاغة مات بالبصرة ، ووقعت أوراقه إليه ، فادعاها ، فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال :

أنا رجل منشىء ، فاقترح عليه إنشاء رسالة فى واقعة عينها ، فانفرد فى ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زماناً كثيراً ، فلم يفتح الله سبحانه وتعالى عليه بشىء من ذلك ، فقام خجلا . وكان فى جملة من أنكر دعواه أبو القاسم على بن أفلح ، الشاعر المشهور ، فلما لم يعمل الرسالة المقترحة عليه أنشد فيه بيتين ، وقيل : هما لابن جكينا البغدادى ، وهما [من المنسرح] :

شيخٌ لنا من ربيعةِ الفرسِ ... ينتفُ عثنونهُ من الهوَسِ

أنطقهُ اللهُ بالمشانِ كما ... رمَاهُ وَسْطَ الديوانِ بالخرَسِ

وكان الحريرى يزعم أنه من رَبيعة الفرس . وكانَ مُولَعا بنَتْف لحيتهِ عندَ الفكرة . وكان يسكن فى مشان البصرة . وهو بفتح الميم[1] وفتح الشين المعجمة وبعدها ألف ونون : بلدة فوق البصْرَة ، كثيرة النخيل ، موصوفة بشدة الوخم وكان أصله منها ، ويقال : إنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة ، وإنه كان من ذوى اليسار ، ولما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات وسيرهن ، واعتذرَ منْ عيهِ وحصَرهِ بالديوان بما لحقه من المهابة .

ويقال : إنه كان قذراً فى نفسه وشكله ولبْسه ، قَصيرا دميما بَخيلا ، مولعاً بنتف لحيته ، فنهاه أمير البصرة وتوعدهُ على ذلك ، وكان كثير المجالسة له ، فبقى كالمقيد ، لا يتجاسر أن يعبث بلحيته ، فتكلم فى بعض الأيام بكلام أعجَبَ الأمير ، فقال له : سلنى شَيْئا حتى أعطيك ، فقال : تقطعنى لحيتى . قال قد فعلت .

(١) وقع فى أصل هذا الكتاب « بضم الميم » لكن الذى فى وفيات الأعيان لابن خلكان أنه بفتح الميم ، ولم أجد الضم منصوصا عليه فى غير أصول هذا الكتاب ، والأغلب أنه تحريف . وقد أثبتنا ما فى ابن خلكان ، إذ كانت هذه الترجمة منقولة عنه .

وجاءه شخص غريب يزوره و يأخذ عنه شيئا ، فلما رآه استزرى شكله ، ففهم ذلك عنه ، فلما التمس منه أن يملى عليه قال له : اكتب [من البسيط] :

ما أنتَ أولُ سارٍ غرَّهُ قمرٌ ... ورائد أعجبتهُ خضرةُ الدِّمَنِ

فاختر لنفسكَ غيرى، إنى رَجلٌ ... مثلُ المعيدىِّ فاسْمَعْ بى ولا ترنى (١)

فخجلَ الرجل وانصرف عنه .

وقالَ القاضى جابر بن هبة الله : قرأت المقامات علىَ الحريرى ، فى سنة أربع عشرة وخمسمائة ، فقرأت قوله [من الرجز] :

يا أهلَ ذا المغنى وُقِيتُمْ شراً ... ولا لقيتمْ ما بَقِيتمْ ضُرّاَ

قدْ دفع الليلُ الذى اكفهرّا ... إلى ذَرَاكُمْ شعثاً مغبرّاً

فقرأته سغباً معتراً ، وكنت أظنه كذاك ، ففكر ، ثم قال : لقد أجدْتَ فى التصحيف ، و إنه لأجود ، فرُبَّ شعث مغبر غير محتاج . والسغب المعتر موضع الحاجة ، ولو لا أنى قد كتبت خطى إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت على لغيرته كما قلت .

وللحريرى تآليف حسان . منها : درة الغواص فى أوهام الخواص . ومنها ملحة الاعراب فى النحو وشَرْحهاَ أيضا . وله ديوان رسائل ، وشعر كثير غير شعره الذى فى المقامات . فمن ذلك قوله [من البسيط] :

قالَ العواذلُ ما هذا الغرَامُ بهِ ... أمَا ترى الشعر فى خدّيه قد نبتا

فقلتُ : والله لو أنّ المفنّدَ لى ... تأملَ الرشدَ فى عينيه ما ثبتا

ومنْ أقامَ بأرض وهى مجدبةٌ ... فكيف يَرحل عنها والربيع أتى

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

كم ظباء بحاجرٍ ... فَتَنَتْ بالمحاجرِ

(١) فى المطبوعتين «مثل المعيدى تسمع بى ولا ترنى» ولا يستقيم عليه الوزن، وهو غير مستقيم عربية إذ ليس في الكلام مايقتضى جزم «تسمع» و «ترى»

ونفوسٍ نفائسٍ حذرتْ بالمحاذرِ
وشجونٍ تظافَرَتْ عند كشف الظفائرِ (١)
وتَثَنٍ لخاطرٍ هاجَ وجداً بخاطرِي
وعِذَارٍ لأجلهِ عاذلى عادَ عاذرِي

وله أيضا [من البسيط] :

لاَ تخطونّ إلى خطء ولاء خطا
مِنْ بعد مَا الشّيبُ فى فوْديك قد وَخَطَا
وأىّ عُذرٍ لمنْ شابتْ ذَوَائبهُ
إذَا سعى فى ميادينِ الصبَا وَخطَا

ومن ألغازه [من الخفيف] :

مِيمُ موسى منْ نونِ نصْرٍ ففتشْ أيهَا ذَا الأميرُ ماذَا عنَيتُ

معنى ميم أصابه الموم ، وهو البرسام ، ويقال : هو أثر الجدرى ، والنون : السمكة ، يعنى أ كل سمكة نصْر فأصابه الموم . ومنها [من الخفيف] :

بَاء بكر بلام ليْلَى فمَا ينـــفكُّ منها إلاّ بعين وهاءِ

البكر : الجمل، وباء أقرّ به . واللام : الزرع، فلازمته ليْلَى فما ينفك منها مما تلطمه فى وجهه إلا بعين واهية من اللطم .

وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً ذكرت منها طرفاً فى شَرْحى عَلَى المقامَات .

---

(١) هكذا ورد فى الأصل، وقد كتب مصحح مطبوعة بولاق بهامش النسخة ما نصه « قوله الظفائر ، المعروف فيه لغة الضاد » اه . أقول : ولو أنه قيل :

وشجون تضافرت عند كشف الضفائر

بالضاد فى « تضافرت » وفى « الضفائر » ـ لتم ما وضع البيت من أجله ، ولسلم من الاعتراض .

وكانت ولادته سنة ست وأربعين وأربعمائة . وتوفى فى سنة عشر — وقيل: خمس عشرة — وخمسمائة بالبصرة فى سكة بنى حَرَام . نسبة إلى طائفة من العرب، سكنوا فى هذه السكة . وخلف ولدين ، هما : نجم الملك عبد الله ، وقاضى قضاة البصرة: ضياء الاسلام عبيد الله، رحمهم الله تعالى .

* * *

١٧٢ — أَمَّلْتُهمْ ثمَّ تأملتهمْ   فَلاَحَ لى أنْ ليسَ فيهمْ فلاَحْ

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

البيت للأَرَّجانى ، من السريع، من قصيدة يمدح بها شمس الملك[1] بن نظام الملك ، أولها :

صوتَ حمام الأيكِ عندَ الصباحْ   جدَّدتَ تَذ كارىَ عهدَ الصباحْ[2]

عَلمتنا الشجوَ فيا منْ رأى   عُجْماً يعلمنَ رجالا فِصاحْ

ألحانُ ذَاتِ الطوْقِ فى غصنهاَ   مُذْ كرتى أيامَ ذَات الوشاحْ

لاَ أشكرُ الطائر إنْ شاقنى   عَلىَ نوًى منْ سَكنى وَانتزاحْ

وَإنماَ أشكرِ لَوْ أنهُ   أعاَرَنى أيضاً إليهِ جناَحْ[3]

إلى أن يقول فى مديحها :

ياَ كعبة للجودِ مأهولةً   إذاغدا الوفدُ إليها وَرَاحْ

يفديك قومٌ حاولوا ضلة   تناولَ المجدِ بأيدٍ شحاحْ

معاَشرٌ أموَالهمْ فى حمىً   وعرضُهُم من لؤمهم مُستباحْ

والقصيدة طويلة .

وفلاح الثانية: الفوز ، والنجاة ، والبقاء فى الخير .

---

(١) أقرها فى الديوان (ص ٨٠) واسم شمس الملك عثمان بن نظام الملك حسن بن على
(٢) فى الديوان « جدد تذكارى »
(٣) فى الأصول « وأنما أشكوه لو أنه » وأثبتنا ما فى الديوان

والشاهد فيه : مجىء المتجانس الآخر ، فى صدر المصراع الثانى ، ومثله قول الأمير أبى الفضل الميكالى [من الخفيف] :

إنّ لى فى الهوَى لساناً كَتوماً ... وفؤاداً يخفى حريقَ هوَاهُ

غيرَ أنى أخافُ دَمعى عليهِ ... ستَرَاهُ يبدى الذى ستَرَاهُ

* * *

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٣ — ضرَائبُ أبْدَعتَهَا فى السماحْ ... فلسنا نرَى لكَ فيها ضَريباً

البيت نسبه للبحترى غالبُ شراح التلخيص؛ وليس الأمر كذلك ، وإنما هو للسرى الرفاء ، وقد سَرق معناه من بيت البحترى ، فلذا سبق الوهم إلى نسبته إليه ، وبيت البحترى لفظه [من المتقارب] :

بَلَوْنا ضرَائبَ مَنْ قد نرَى ... فما إن رَأينا لفتح ضريبَا

وهو من قصيدة (١) من المتقارب يمدح بها الفتح بن خاقان ، أولها :

لوَتْ بالسلام بناناً خضيباً ... ولحظاً يشوقُ الفؤادَ الطرُوبَا

وَزَارتْ على عجلٍ فاكتسى ... لزوْرَتها أبرَقُ الحزْنِ طيبَا (٢)

فكانَ العبيرُ بهَا وَاشياً ... وجرْسُ الحلىِّ عليها رَقيبَا

وهى طويلة .

وبيت السرى الرفاء من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد . أولها :

تعنفنى إن أطلتُ النحيبَا ... وأسبلتُ للعين دمعاً سكوبَا

وَأوْفى المحبين فى نحبهِ ... محبٌّ بكى يومَ بينٍ حبيبَا

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ — ٥١)

(٢) فى الأصل « أبرق الجيد » وما أثبتناه عن الديوان .

دَعَا دَمعهُ ودعتْ دمعها فبَلَّلَ منها ومنهُ الجيوبَا
غداة رمتهُ بسهم الجفونِ ومدّتْ إليهِ بناناً خضيبَا
وعَهْدى بها لا تديم الصدودَ ولا تَتَجَنَّى علىَّ الذنوبَا
ليالىَ لا وصلُنا خلسةٌ نراقب للخوف فيها الرَّقيبَا
ولا برق لذاتنا خُلَّبٌ إذا ما دعونا لوصْلٍ خلوبَا
وكم لى وللبين من موْقفٍ يميت بلحظ العيون القلوبَا
إذا ما انتَضَى اللَّحظُ أسيافَهُ تدرعتُ للصبرِ بُرْداً قشيبَا

ومنها فى المديح :

فكم لك من سُوددٍ كالعبيرِ أصابَ من المدح ريحاً جنوبَا
ورأيٍ يكشِّفُ ليلَ الخطوبِ ضياء إذا الخطْبُ أعيا اللبيبَا
ومُشتملٍ بنِجاد الحسامِ يحل شبَا الحرب بأساً مهيبَا
ملأتَ جوانبَهُ رهبَةً فأطرق والقلب يُبدى وجيبَا
كسَوْتَ المكارم ثوب الشباب وقد كن ألبسْنَ فينا المشيبَا

وبعده البيت ، وبعده :

تخلَّصتنى من يَدِ النائبات وأحللتنى منكَ ربعاً خصيبَا
وملَّكتَ مدحى كما ملكت بنو هاشم بُرْدها والقضيبَا
وإنى لواردُ بحر القريضِ إذا ورد المادحونَ القَليبا
ولستُ كمن يسترد المديح إذا ما كساه الكريمُ المشيبَا
يحلِّى بمدحتهِ غيرَهُ فيمسى محلى ويُضحى سليبَا

وقد استعمل السرى معنى البيت المستشهد به ، فقال يمدح ابن فهد أيضاً [من الوافر] :

سَمَتْ بأبي الفوارس في المعالي ضَرَائبُ مَالَهُ فيها ضريبُ

والضرائب : جمع ضريبة ، وهي الطبيعة التي ضُرب الرجل وطبع عليها ، والضريب : المثيل .

والشاهد فيه : مجيء الملحق بالمتجانس الآخر في صدر المصراع الأول .

ومثله قول عبد الرحيم بن محمد بن يوسف السنهوري الخطيب [من الكامل] :

تُبْدِي ضُرُوب محاسنٍ لسنا نَرَى بين الوَرَى يوماً لهن ضَرِيبا

ومنه قول بعضهم [من السريع] :

ثلبُكَ أهلَ الفضل قد دلني أنك منْقُوصٌ ومثلوبُ

ترجمة السرى الرفاء

والسرى[1] هو [ابن][2] أحمد الكندى المعروف بالرفاء ، قال الثعالبي في حقه: السرى ، وما أدراك ما السرى ، سرى كاسمه ، صاحب سر الشعر ، الجامع بين نظم عقود الدر والنفث في عقد السحر ، ولله دره ما أعذب بحره ، وأصفى قطره ، وأعجب أمره ، وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ، و يعلق في كعبة الظرف[3] ، وكتبت من ذلك محاسن وملحا ، و بدائع وطرفا ، كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحدق الملاح .

---

(١) انظر ترجمة السرى الرفاء في وفيات الأعيان لابن خلكان (١-٣٥٨ النيل) وفي معجم الأدباء لياقوت (١١-١٨٢ - ١٨٩ مصر) ثم انظر ترجمة مطولة له في يتيمة الدهر (٢-١٠٣ مصر) .

(٢) زيادة لا بد منها ، ففي يتيمة الدهر « السرى بن أحمد الكندى » وفي معجم الأدباء لياقوت « السرى بن أحمد بن السرى أبو الحسن الكندى المعروف بالسرى الرفاء » وفي الوفيات « أبو الحسن السرى بن أحمد بن السرى الكندى الرفاء الموصلى الشاعر المشهور » .

(٣) في اليتيمة « ويعلق في كعبة الفكر » وهو أنسب بسجع الثعالبي

بلغنى أنه أسلم صبياً فى الرفائين بالموصل ، فكان يرفو ويطرز إلى أن قضى باكورة الشباب وتكسب بالشعر . ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه وذكر أن صديقاً كتب إليه يسأله عن خبره وهو بالموصل فى [سوق] (١) البزازين يطرز فكتب إليه يقول [من السريع] :

يكفيك من جملة أخبارى ... يُسْرى من الحُبِّ وإعسارى
فى سوقةٍ أفضلهم مرتدٍ ... نقصاً ففضلى بينهم عارى
وكانت الابرةُ فيما مضى ... صائنةً وجهى وأشعارى
فأصبحَ الرزق بها ضيقاً ... كأنه من ثُقْبِها جارى

قال : ولم يزل السرى فى ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب ، واتصل بسيف الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعده بعد الأفول ، وبعد صيته بعد الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بنى حمدان ورؤساء الشام والعراق ولما توفى سيف الدولة ورد السرى بغداد ، ومدح الوزير المهلبى وغيره من الصدور فارتفق بهم ، وارتزق منهم ، وسار شعره فى الآفاق ، ونظم حاشيتى الشام والعراق ومن ملحه قوله من قصيدة(٢) [من الطويل] :

عليلة أنفاس الرياحِ كأنما ... يعل بماء الورد نرجسها الندى
يشق جيوبَ الوردِ فى شجراتها ... نسيمٌ متى ينظر إلى الماء يبردِ
ويادبرها الشرقى لازال رائحٌ ... يحل عقود المزن فيك ويغتدى

وقال [من الكامل] :

تلك المكارمُ لاأرى متأخراً ... أولى بها منهُ ولا متقدّما
عفواً أظلَّ ذوى الجرائم ظلُّهُ ... حتى لقد حَسَدَ المطيعُ المجرما

---

(١) زيادة عن اليتيمة

(٢) وقع ثالث هذه الابيات فى اليتيمة أولها

وهو من قول أبي تمام :

وتكفَّلَ الأيتامَ عن آبائهم حتى وددنا أننا أيتامُ

وقال من قصيدة أيضاً [من الوافر] :

ليالينا بأحناء النعيم سقيتِ ذهاب مذهبة الهموم(١)

مضتْ بك رأفة الأيام فينا وغفلةُ ذلك الزَّمن الحليمِ

وكنا منك فى جنات عيشٍ وَفَتْ حُسْناً بجنات النعيمِ

رياضُ محاسنٍ وسنا شموسٍ وظلُّ دساكرٍ وجنى كرومِ

وأجفانٌ إذا لحظت جسوماً خلعنَ سقامهن على الجسومِ

وإنما أخذ هذا المثال من قول أبي تمام [من الوافر] :

فيا حُسْنَ الرُّسوم وما تَمَشَّى إليها الدَّهرُ فى صور البعادِ

وإذ طيرُ الحوادث فى رُباها سواكنُ وهى غنَّاء المرادِ

مذاكى حلبةٍ وشروب دَجْنٍ وسامر فتيةٍ وقدورُ صادِ

وأعين ربْربٍ كحلت بسحرٍ وأجسادٌ تَضَمَّخُ بالجسادِ

وممن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز [الجرجانى](٢) حيث قال [من الوافر] :

وأجفانٍ تروى كلَّ شيء سوَى قلبٍ إلى الأحباب صادِ

بذاك جُزيتُ إذ فارقت قوماً لبست لبينهم ثوبَىْ حِدادِ

---

(١) فى اليتيمة «ليالينا بأحياء الغميم» وأحسبه محرفا عما هنا، وفيها «سقيت ذهاب مذهبة الغيوم»

(٢) زيادة عن اليتيمة

مَعَادِنُ حكمةٍ وغيوثُ جَدْبٍ   وأنجُمُ حيرةٍ وصُدُورُ نادِ

وقال السرى الرفاء [من البسيط] :

وفتيـةٍ زهَرُ الآداب بينَهُمُ   أبهى وأنضَرُ من زهر الرياحينِ

مَشَوْا إلى الرّاح مشى الرخ وانصرفوا   والراحُ تمشى بهم مشى الفرازينِ (١)

وقال فى معناه أيضاً [من السريع] :

راحُوا عن الرّاحِ وقـد أبدلوا   مشىَ الفرازين بمشى الرِّخاخْ (١)

وقال فى قلب معناه ، ووصف الشطرنج [من الكامل] :

يُبْدِى لعيْنِكَ كلما عاينتـهُ   قِرْنين جالا مُقْدِماً ومُخَـاتلا

فـكأن ذا صاح يسيرُ مقوماً   وكأن ذا نَشْوَان يخطرُ مائلا

ومحاسنه كثيرة ، وقد ضمنت هذا المؤلف منها ما فيه مستمتع ، إن شاء الله تعالى ! ومن شعره [من الطويل] :

رأيتُكَ تبنى للصَّدِيق نوافذاً   عدوُّكَ من أوصابها الدهرَ آمِنُ

وتكْشِفُ أسرار الأخلاء مازحاً   ويارُبَّ مزحٍ عاد وهو ضغَائِنُ

سأحْفَظُ ما بينى و بينَكَ صائناً   عهُودَكَ، إن الحرَّ للعهـد صائِنُ

فألقاكَ بالبشْرِ الجميـل مُدَاهناً   ولى منك خل ما علمتُ مُدَاهِنُ

أنَمُّ بما استودعتـه من زجاجةٍ   ترى الشىء فيها ظاهراً وهو باطِنْ

***

---

(١) الرخ : قطعة من قطع الشطرنج تسير فى اعتدال من الجوانب الأربعة لاتقف عند حد ، والمراد بمشيتها هنا الاعتدال ، والفرازين : جمع فرز ، وهى الوزير فى لعبة الشطرنج ، وتسير فى كل اتجاه من غير حـد ، والمراد هنـا المشى على غير اعتدال .

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٤ — إذا المرء لم يَخزُنْ عليهِ لِسانَهُ   فلَيْسَ على شىء سِوَاهُ بخزَّانِ

البيت لامرىء القيس ، من قصيدة من الطويل(1) أولها :

قفانبكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفان   ورسْمٍ عفَتْ آياتهُ منذ أزمانِ

أتتْ حججٌ بعدى عليها فأصبحتْ   كخط زَبُورٍ فى مَصَاحِفِ رُهبَانِ (٢)

ذكرْت بها الحىَّ الجميع فهيَّجتْ   عقابيلَ سُقْمٍ من ضميرٍ وأشجانِ

فسَحَّتْ دموعى فى الرداءِ كأنَّها   كلى من شَعيبٍ ذات سَحٍّ وتهتانِ (٣)

و بعده البيت ، و بعده :

فاما ترَيْنى فى رحالةِ جابرٍ   على حَرَجٍ كالقرِّ تخفقُ أكفانى

فيارُبَّ مكرُوبٍ كرَرتُ وراءهُ   وعانٍ فككتُ القِدَّ عنه ففَدَّانى (٤)

وفتيانِ صدْقٍ قد بعثْتُ بسُحْرَةٍ   فقاموا جميعاً بين عاثٍ ونَشْوانِ (٥)

وخَرْقٍ بعيدٍ قد قطعْتُ نياطَهُ   على ذات لوثٍ سهوةِ المشىِ مذعانِ

ومعنى البيت : إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه .

والشاهد فيه : مجىء الملحق الآخر فى حشو المصراع الأول .

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٨٤ مصر) وفى شعراء النصرانية (٦٦ بيروت)

(٢) فى شعراء النصرانية : « أتت حجج بعدى عليه » والضمير للرسم ، وفى الديوان مثل ما هنا ، ومن رواه « عليها » فانما أعاد الضمير على الآيات

(٣) فى الأصل« فسحت دموعى فى الردى فكأنها» وما أثبتناه موافق لما فى الديوان وشعراء النصرانية

(٤) فى شعراء النصرانية « فككت الكبل » وفى الديوان « فككت الغل » ومعنى الجميع واحد .

(٥) يروى « عاث وسكران »

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٨٥ — لو اختَصَرْتُمْ مِنَ الاحسانِ زرتكُمُ
والعَذْبُ يهجَرُ للافراطِ فى الخصَرِ

البيت لأبى العلاء المعرى ، من قصيدة[١] من البسيط ، يمدح بها أبا الرضاء المصيصى أولها:

يا ساهرَ البرقِ أيقظراقدَالسَّمُرِ — لعل بالجزع أعواناً على السهرِ[٢]
و إن بَخِلتَ على الأحياء كلهم — فاسقِ المواطِرَ حيًّا من بنى مَطَرِ[٣]
و يا أسيرة حجلَيها أرى سفهاً — حمل الحلىّ لمن أعيا عن النّظَرِ
ماسِرْتُ إلاوطيفٌ منك يَصْحَبُنى — سُرًى أمامى وتأويباً على أثرى
لوْحطَّ رحلىَ فوق النجم رافِعُهُ — ألفيت ثَمَّ خيالاً منك منتظرى[٤]
يوَدّ أن ظلامَ الليل دامَ لهُ — وزيدَ فيه سوَادُ القلب والبَصَرِ[٥]

و بعده البيت ، و بعده :

---

(١) اقرأها فى سقط الزند (التنوير ٣٠/١ بولاق) و (ص١١٤ من القسم الأول من طبعة دار الكتب المصرية) .

(٢) فى الأصل « أيقظ ساهر السمر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط والسمر : ضرب من الشجر يعظم ويطول ، والجزع : منعطف الوادى، والمعنى أن صاحبه نام فى ظل السمر وترك مساعدته لقلة رعايته فطلب إلى البرق أن يكثر من دويه ليوقظه

(٣) فى السقط « وإن بخلت عن الأحياء » وفى الأصل « فاسق المواطن » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط وهو الجارى على طريقة أبى العلاء من جناس الاشتقاق .

(٤) فى الأصل « لوحط قدرى » وأثبتنا ما فى السقط .

(٥) قال التبريزى : إنما يود الخيـال أن يدوم له الظلام ويزاد فيه سواد القلب والبصر ليكون سببا لئلا يفارقه .

أبَعْدَ حَوْلٍ تناجي الشوقَ ناجيةٌ هلاَّ ونحنُ على عَشْرٍ من العُشَرِ (١)
كم بات حولك من ريمٍ وجؤذرةٍ يستَنجِدِ يانك حُسْنَ الدَّلِّ والحور (٢)
فما وهبت الذى يَعرفن من خِلَقٍ لكن سمحت بما ينكرنَ من دُرَرِ
وما تركت بذات الضَّال عاطلةً من الظباء وَلا عارٍ من البقَرَ
قلَّدتِ كلَّ مهَاة عقْدَ غانيةٍ وفزت بالشكر فى الآرام والعُفُرِ
وربَّ ساحبِ وشْيٍ من جآذرها وكان يرفل فى ثوب منَ الوَبر
حسَّنْتِ نظم كلامٍ توصفين به ومنزلا بكِ معموراً من الخَفَرِ
فالحسن يظهر فى شيئين رونقه بيتٍ من الشِّعْرِ أو بيتٍ من الشَّعَرِ

وهى طويلة ، ومنها :

ماجَتْ نُمير فَهاجتْ منكَ ذا لبَدٍ والليثُ أفتكُ أفعالا من النَّمِرِ
همُّوا فأمُّوا فلما شارفُوا وقَفُوا كوَقفة العَير بينَ الوِردِ والصَّدَرِ
وأضعفَ الرعبُ أيديهم فَطعنُهُمُ بالسمهَرِيَّة دُونَ الوخْز بالإِبَرِ
تُلقِى الغوَانى حفيظ الدرِّ من جزَعٍ فيها وتُلقى الرِّجالُ السَّردَ من خوَرِ (٣)
فكم دِلاصٍ على البطحاء ساقِطَةٍ وكم جُمَان مَعَ الحصباءِ مُنتثرِ

الخصر ــ محركة ــ البرد، والمعنى أن بعدى عنكم إنما هو لكثرة إنعامكم على

---

(١) فى الأصل « أبعد حى تناجى الشوق » وهو محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط .

(٢) فى السقط « من ريم وجازية » والجازية : البقرة الوحشية .

(٣) فى السقط « من جزع عنها » وحفيظ الدر : الذى يحتفظ به منه ويصان وينفس ، والسرد : الدروع ، والخور ــ بفتح الخاء والواو ــ الضعف

والشاهد فيه : مجيء أحد الملحقين فى آخر البيت والآخر فى حشو المصراع الأول .

ومعنى البيت مأخوذ من قول البحترى السابق فى ترجمته ، وهو هذا [من الكامل] :

أخجلتنى بندَى يديكَ فَسوّدت ... ما بيننا تلكَ اليدُ البيضاء

وقطعتنى بالوصل حتى إننى ... متخوفٌ أن لا يكون لقاء

وفى معناه قول دعبل الخزاعى [من الكامل] :

أصلحتنى بالبرّ بل أفسدتنى ... وتركتنى أتسخّط الاحسانا

وقول عبدالجليل بن وهبون المرسى [من البسيط] :

قل للرشيدِ وقد هبّتْ عوارفهُ ... أسرفتَ يا ديمةَ المعروف فاقتصدِ

أشكو إليكَ الندَى من حيث أشكرُهُ ... لو فاضَ فيضاً على البحرَيْن لم يزدِ

وهو معنى مطروق تداوله الشعراء وأكثروا من استعماله ، فمنهم من يستوفيه ومنهم من يقتصر فيه .

وقد ضمن السراج الوراق عجز بيت أبى العلاء المعرى هذا فقال [من البسيط] :

لكم أيادٍ عذابٌ لى مواردُها ... والوفدُ منهنّ بين الوردِ والصدر

والبردُ يمنعنى منها على ظمئى ... والعذبُ يهجرُ للافراطِ فى الخصَرِ

ورأيت فى بعض كتب الأدب أن ابن عمار اجتاز على أكرم أهل زمانه ، وأعلم وقته وأوانه ، الوزير أبى محمد بن القاسم الفهرى ، فما عرّج عليه ، فعتب عليه بسبب ذلك ، فكتب إليه [من البسيط] :

لم يثْنِ عنكَ عنانى سلوة خطرت ... على فؤادى ولا سمعى ولا بصرى

وقصْرُكَ البيتُ لو أنى قضيتُ به ... حجّى ،وكفُّكَ منه موضعُ الحجرِ

لكنْ عدتنى عنكم خجلة سلفتْ ... كفانىَ القولُ فيها قول معتذرِ

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم والعذب يهجر للافراط فى الخصر

***

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٦ — فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى أطنين أجنحة الذباب يضير

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله ، ونسبه صاحب الدر الفريد لعبدالله ابن محمدبن عيينة المهلبى ، قال : وكان على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دعاعبدالله هذا إلى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه ، فتوعده على ، فقال عبد الله:

أعلى إنك جاهل مغرور لا ظلمة لك لا ولالك نور

أبعثت توعدنى أن استبطأتنى إنى بحربك ماحييت جدير

و بعده البيت ، و بعده :

و إذاارتحلت فإن نصرى للأولى أبواهم المهدى والمنصور

بنيت عليه لحومنا ودماؤنا وعليه قدر سعينا المشكور

والضير : الضرر

والشاهد فيه : مجىء الملحق الآخر فى آخر المصراع الأول

وفى معنى البيت قول أبى فراس الحمدانى [من الطويل]:

ورب كلام مر فوق مسامعى كما طن فى لوح الهجير ذباب

ولبعض الأعراب [من الكامل] :

أو كلما طن الذباب زجرته إن الذباب إذن على كريم

ولبعضهم أيضا [من الطويل] :

فما كل كلب نابح يستفزنى ولا كلما طن الذباب أراع

١٧٧ — وقَدْ كانَتِ البيضُ القَواضبُ في الوغَى بوَاتِرَ فهِيَ الآنَ من بَعْدِهِ بُتْرُ

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

البيت لأبى تمام من قصيدة(١) من الطويل يرثى بها محمد بن حميد ، وتقدم ذكر مطلعها فى شواهد التدبيج(٢) ومنها قبل البيت(٣)

فَتًى سلبَتْهُ الخيلُ وهو حِمَاها وبزته نارُ الحرْب وهوَ لها جَمْر

قضى طاهرَ الأثواب لم تَبْقَ بقعةٌ غداة ثوى إلا اشتهَتْ أنها قبرُ(٤)

والبواتر : السيوف القواطع، والبتر : جمع أبتر ، وهو المقطوع

والمعنى : لم يبق بعده من يستعملها استعماله

والشاهد فيه : مجىء الملحق الآخر فى صدر المصراع الثانى ، والله أعلم

* * *

١٧٨ — تَجَلَّى بهِ رُشْدِى، وأثْرَتْ به يدِى وفاضَ بهِ ثَمْدِى، وأوْرَى به زَنْدِى

شاهد التسجيع

البيت لأبى تمام أيضاً من قصيدة من الطويل (٥) يمدح بها نصر بن منصور ابن بسام الكاتب، وأولها :

أأطلالَ هندٍ طالمَا اعتضْتِ من هندِ أقايضتِ حُورَ العين بالعُور والرُّمد(٦)

---

(١) انظرها فى الديوان (٣٦٨ بيروت) وفيه أن القصيدة فى رثاء بنى حميد : محمد وقحطبة وأبى نصر .

(٢) ارجع إلى (ج ٢ ص ١٧٨ من هذا الكتاب)

(٣) البيتان ليسا متصلين فى الديوان، والذى فيه أولهما و بعده بيت الشاهد ثم بعد ثمانية أبيات ثانى هذين البيتين .

(٤) فى الديوان « مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة »

(٥) انظرها فى الديوان (١١٤ بيروت)

(٦) فى الديوان « ساء ما اعتضت من هند» وهو الصواب وفيه «بالعور والربد » وانظر هذا المطلع فى الموازنة (٤٢٥ بتحقيقنا)

إذا شِئْنَ بالألوان كُنَّ عِصابةً ... من الهِندِ والآذان كُنّ من الصُّغْد[١]

أعِجْنَا عليكَ العيسَ بعدَ مَعاجها ... على البيضِ أتراباً على النُّؤى والوتْدِ[٢]

فلاَ دمعَ أو يقفُو على إثره دمٌ ... ولا وجدَ مالم تَعْيَ عن صفَة الوجد[٣]

ومنها فى وصف الممدوح :

فتى جُوده طَبعٌ ولَيْسَ بحافلٍ ... أفى الجور كان الجُودمنهُ أو القَصْدِ[٤]

إذا طَرَقتهُ الحَادثات بنــكبةٍ ... تَخضْنَ سقاءً منهُ ليس بذِي زُبد[٥]

ونبهْنَ مِثلَ السَّيف لو لم تَسلَّه ... يَدان لسلَّتْه ظُباه من الغِمْدِ

سأحمَدُ نَصراً ماحييتُ وإنَّنِي ... لأعلم أن قَدْ جلّ نصْرٌ عن الحمد[٦]

و بعده البيت ، و بعده :

فإنْ يَكُ أربى عَفْوُ شكرى على ندَى ... أُناسٍ فقَدْ أربى نَداهُ على جَهْدِى

والرشد: الهداية، والثروة : كثرة العدد من الناس والمال، والثمد ـ بسكون الميم وتحرك ـ الماء القليل لامادة له، أو مايبقى فى الجلد ، أو مايظهر فى الشتاء و يذهب فى الصيف ، والرواية فى ديوانه بلفظ « بحرى » بدل ثمدى[٧] ومعنى « أورى به زندى » صارذا وَرْيٍ ، وهو عبارة عن الظفر بالمطلوب .

---

(١) فى الأصل « والآذان كن من العقـد » وما أثبتناه عن الديوان . والصغد ـ بضم فسكون ـ موضع بسمر قند

(٢) فى الديوان « لعجنا » بلام الجواب ، وفيه « من النؤى والود » بفتح الواو وتشديد الدال ، وهى لغة فى الوتد قلبت فيها التاء دالا ثم أدغمت .

(٣) فى الديوان « فلا دمع ما لم يجر فى إثره دم »

(٤) فى الديوان « فليس بحافل » وهى أدق معنى .

(٥) فى الديوان « إذا مخضته الحادثات »

(٦) انظر نقد هذا البيت فى الموازنة (١٨٣ بتحقيقنا)

(٧) فى نسخ الديوان التى بين يدى كما فى البيت المستشهد به « وفاض به ثمدى » .

والشاهد فيه : مجىء السجع فى النظم

ومن الشواهد عليه قول أبى الطيب المتنبى [من البسيط] :

فنحنُ فى جَذَلٍ، والرُّوم فى وَجَلٍ، والبرُّ فى شُغُلٍ، والبحرُ فى خَجل

* * *

١٧٩ — تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ، بالله مُنْتَقِمٍ، للهِ مُرْتَقِبٍ، فى الله مُرْتَغِبِ

شاهد التشطير

البيت لأبى تمام أيضاً، من قصيدة من البسيط(١) يمدح بها المعتصم بالله حين فتح عمورية . أولها :

السَّيفُ أصدَقُ أنباءً من الكتُبِ ... فى حدِّه الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ

بيضُ الصفائحِ لا سُودُ الصَّحائفِ فى ... متونهن جلاءُ الشك والرِّيبِ

والعِلْمُ فى شُهُبِ الأرماح لامعةً ... بينَ الخميسين لا فى السبعة الشُّهُبِ(٢)

أينَ الرِّوايةُ أو أينَ النجومُ وما ... صاغوه من زُخْرُفٍ فيها ومن كذبِ(٣)

تخرُّصاً وأحاديثاً مُلفَّقَةً ... ليست بِنَبْعٍ إذ عُدَّت ولا غَرَبِ

عجائباً زعموا الأيام مُجفلَةً ... عنهُنَّ فى صفَرِ الأصفار أو رجبِ

وخوَّفوا الناس من دهياءَ داهيةٍ ... إذا بدا الكوكبُ الغربىُّ ذو الذنب

وصيَّرُوا الأبرُجَ العُليا مُرَتَّبةً ... ما كان مُنقلباً أو غير مُنقلبِ

يقضُونَ بالأمر عنها وهْىَ غافلةٌ ... ما دار فى فَلَكٍ منها وفى قُطُبِ

لو بَيَّنَت قط أمراً قَبل موقِعِهِ ... لم يَخْفَ ماحلَّ بالأوثان والصُّلُبِ

---

(١) انظرها في الديوان (٧ بيروت) .

(٢) فى الأصل « والعلم فى شهب الأرماح » وما أثبتناه عن الديوان .

(٣) فى الديوان « بل أين النجوم » .

فَتْحُ الفُتُوحِ تعالى أن يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ من الشِّعْرِ أو نثرٌ من الخطبِ
فتح تَفَتَّحُ أبوابُ السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القُشُبِ

وهي طويلة بديعة ، وأشار بمطلعها إلى كذب المنجمين ، فانهم كانوا أجمعوا على أنها لا تفتح في تلك الغزاة ، فيسر الله تعالى ذلك وأكذبهم .

والمرتغب في الله : الراغب فيما يقربه من رضوانه ، والمرتقب : المنتظر للثواب الخائف للعقاب .

والشاهد فيه : التشطير ، وهو : جعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها ، وهو ظاهر فيه .

ومنه قول مسلم بن الوليد في قصيدته السابقة في تجاهل العارف [من البسيط] :

مُوفٍ على مُهَجٍ ، في يومِ ذي رهجٍ ، كأنه أجلٌ ، يسعى إلى أملِ

وقول ذي الرمة [من البسيط] :

كحلاء في بَرَجٍ ، صفراء في نعج كأنها فضةٌ قد مَسَّهَا ذَهَبُ

وقول كشاجم[1] [من الوافر] :

هلالٌ في إضاءته حياء شهابٌ في سماحته اتقادُ

وقول ديك الجن [من الكامل] :

حرّ الإهابِ وسيمه ، برُّ الإيا بِ كريمه ، محضُ النِّصابِ صميمهُ

وقول الصفي الحلي [من البسيط] :

بكلّ مُنتصرٍ ، لِلفتح مُنتظرٍ ، وكلّ مُعتزمٍ ، بالحقِّ مُلتزمِ[2]

(١) لعله قد سقط قرين لهذا البيت ، فانه لا يظهر فيه التشطير بالهيئة التي تراها في كل ما ذكر من الشواهد ، وإن كان في قوله «هلال في إضاءته ، شهاب في سماحته» سجع على هيئة أخرى

(٢) في الأصل «وكل مغترم» محرفا عما أثبتناه موافقا لما في خزانة الحموي (٢١٥ بلاق)

وقول ابن جابر [من البسيط] :

يا أهلَ طيبةَ في مغناكمُ قمرٌ يهدِى إلى كلِّ محمودٍ منَ الطرُقِ
كالغيثِ في كرمٍ ، والليثِ في حرمٍ، والبدرِ في أفقٍ ، والزهرِ في خُلقِ

***

شاهد المائة

١٨٠ — مَها الوَحشِ إلاَّ أنَّ هاتا أوَانسٌ
قنا الخطِّ إلاَّ أنَّ تِلكَ ذَوابِلُ

البيت لأبي تمام ، من قصيدة من الطويل [١] يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات أولها :

متى أنتَ عنْ ذُهليةِ الحىِّ ذاهلُ وقلبكَ منها مدَّةَ الدَّهرِ آهِلُ
تُطِلُّ الطلولُ الدَّمعَ في كلِّ موْقفٍ وتمثـلُ بالصبرِ الدِّيارُ المـواثلُ
دوارسُ لم يجفُ الرَّبيعُ رُبوعها ولا مرَّ في أغفالها وَهْوَ غافلُ
فقدْ سحبتْ فيها السحائبُ ذَيلها وقدْ أخملتْ بالنوْرِ منها الخمائلُ
تعفينَ منْ زادِ العُفاةِ إذا انتحى على الحىِّ صَرْفُ الأزمةِ المتحاملُ
لهمْ سلفٌ سُمرُ العوالى وسامرٌ وفيهمْ جَمالٌ لا يغيضُ وجامِلُ
ليالىَ أضلَلْتَ العزاء وخَذَّلت بِعقلك آرامُ الظبـاء الخوازلُ [٢]
منَ الهيفِ لوْ أنَّ الخلاخلَ صُيرَتْ لها وُشُحاً جالتْ عليها الخلاخِلُ [٣]

و بعده البيت ، و بعده :

---

(١) انظرها في الديوان (٢٥٥ بيروت)
(٢) في الديوان : « وخزلت * بعقلك أرآم الخدور العقائل »
(٣) في الموازنة (١٣٠ بتحقيقنا) نقد طويل لهذا البيت

هَوًى كان خَلساً، إنّ من أحسن الهوى هوًى جُلتُ في أفنائه وَهْوَ خاملُ[1]

وهى طويلة .

ومها الوحش ـ بفتح الميم ـ بقره ، والخط هنا بفتح الخاء المعجمة وتكسر: مرفأ للسفن بالبحرين ، وإليه تنسب الرماح الخطية لأنها تباع به لالأنه منبتها .

والشاهد فيه : المماثلة ، وهى : أن يكون ما فى أحد الفقرتين أو شطرى البيت مثل ما يقابله من الآخر فى الوزن دون التقفية ، وقد تأتى ألفاظ المماثلة من غير قصد كقول امرىء القيس السابق فى التشبيه [من المتقارب] :

كأنّ المدامَ وصوبَ الغمام وريح الخُزامى ونشرَ القطر

ومن شواهد المماثلة على أصل الباب فى التزام الوزن دون التقفية قول الشاعر [من المتقارب] :

صفوح كريمٌ رَصينٌ إذا رأيتَ العقولَ بدا طيشُها

نداه سحوحٌ على أنفسٍ بهِ اخضرّ لما سقى عيشُها

والبيت الأول أردت، ومن أمثلة المماثلة قول البحترى [من الطويل] :

فأحجمَ لما لم يجدْ فيكَ مطمعا وأقدَمَ لما لم يجدْ عنكَ مهربَا

وقول ابن هانىء الأندلسى [من الكامل] :

فإذا عفا لم يُلفَ غيرَ مُملكٍ وإذا سطا لم يلق غيرَ مُعفَّر

وقول أحمد بن المغلس [من الخفيف]:

إنْ يواجهْ فطودُ حلمٍ ركينٌ أوْ يُفاوضْ فبحرُ علمٍ غزيرُ

أو يَجُدْ واهباً فغيث مطيرٌ أوْ يصلْ واثباً فليث هصورُ

وقول العمانى أيضاً [من الكامل]:

---

(١) فى الديوان « هوى حلت فى أفيائه وهو خامل »

سلسلْ خُطوطكَ ماغدا مُتسلسلاً ... شاطى الجمامِ الزُّرْق بالأغصانِ
واسجعْ بِشعركَ ماغدا مُتصلصلاً ... شادِى الحمامِ الوُرْق بالألحانِ

وقول الباخرزى من قصيدة نظامية [من الكامل] :

وافرحْ فما يلقى لسدِّكَ هادمٌ ... وامرحْ فما يلقى لحدِّك ثالمُ
فإذا سخوْتَ فإنَّ سَيْبَكَ عارضٌ ... وإذا سطوْتَ فإن سيفكَ عارمُ
فلذاكَ تخشى منْ قناكَ مطاعنٌ ... ولذاكَ تُغشى منْ قِراكَ مطاعمُ

وقول الوزير محمد بن على بن حسول فى شكاية الأيام [من المجتث] :

أأسلمتْنِي وذنبى ... للشيبِ فيهِ افتراقِ
منَ الظِّباء العوَاطى ... إلى الضباعِ العوَاقِى

وقول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

جاءتْ تجرّ فرُوعاً خلفَ ذِى هيَفٍ ... وبلّغتْ صبَّهَا منْ لثمها الأملا
فأرسلتْ غسقاً وأطلعتْ قمرا ... وأنمتْ برَداً وأرْشفَتْ عسلاً

وقوله أيضاً [من البسيط] :

تبسَّمتْ فتباكى الدُّرُّ منْ وجلٍ ... وأقبلتْ فتولَّى الغصنُ ذا عجبِ
تفترّعنْ حَبَبٍ يبدُو على ذَهبٍ ... يُهديكَ منْ شَنَبٍ ضرْباً منَ الضَّرَبِ

***

١٨١ — مودّتهُ تدومُ لكلّ هوْلٍ ... وهلْ كلٌّ مودّتهُ تدومُ

شاهد النقلب

البيت للأرجانى، من قصيدة من الوافر(١)، يمدح بها نجم الدين أبا عبد الله الفضل بن محمد بن الفضل بن محمود، أولها :

لأىّ وميض بارقةٍ أشيمُ ... ومَرْعَى الفضل فى زَمنى هَشيمُ

---

(١) اقرأها فى الديوان (ص ٣٧٠ بيروت)

أَسِيتُ وخدُّ ليل الشَّعْر مني ... بكفِّ الصبح من شيبي لطيمُ(١)
وضمَّ إليَّ أفكاري جناحي ... فلي في عُشِّ مُطرَحي جُثومُ(٢)
فعذراً إنْ تغيرَ عهدُ شعري ... وقدْ يُغضى على الزللِ الحليمُ
وما قصرْتُ عنْ شأوٍ ولكنْ ... سقيمٌ كلُّ ما نظم السقيمُ

إلى أن قال :

أُحبُّ المرْءَ ظاهرُهُ جميلٌ ... لصاحبهِ وباطنـهُ سليمُ
يؤول دعوتى ويجيبُ طوْعاً ... إذا ما عنَّ لي شرَفٌ مرُومُ
وفي الفتيانِ كل ربيطِ جأشٍ ... يرَى حرْبَ الزمانِ ولا يَخيمِ

وبعده البيت .

والشاهد فيه : القلب ، ويسمى المقلوب ، والمستوى ، وسماه الحريري بمالا يستحيل بالانعكاس ، وهو : أن يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده ، وغايته: أن يكون رقيق الألفاظ، سهل التركيب، منسجما في حالتي النظم والنثر .

وقد انعقد الاجماع على أن أبلغ الشواهد عليه هذا البيت لما حوى من رقة الألفاظ وانسجام المعاني .

قال أبو جعفر الأندلسي : وأسهل منه قول بعض المتأخرين [من الخفيف]:

نالَ سرٌّ العلا بما قدْ حواهُ ... أوْحدٌ قامَ بالعلا رسلانُ

وفيه نظر لا يخفى .

ومن الشواهد المقبولة عليه قول الشاعر أيضاً [من الرمل] :

عُجْ تنم قُرْبكَ دعدٌ آمناً ... إنما دَعْدٌ كبرْقٍ مُنتجعْ

وقول بعضهم أيضاً [من المتقارب] :

---

(١) أسيت : حزنت ، ووقع في الأصول « أشب » محرفا ، وأثبتنا ما في الديوان

(٢) هذا البيت لا يوجد في الديوان المطبوع في بيروت .

أراهُنَّ نادَمْنَهُ ليلَ لهوٍ وهلْ ليلهُنَّ مُدَانٍ نهارَا

وقول الحريرى من أبيات المقامات [من مجزوء الرجز] :

أُسْ أرْملاً إذا عرَا وارْعَ إذا المرء أسا

أسنِدْ أخا نباهةٍ أبن إخاء دنسا

أسل جناب غاشم مشاغب إن جلسا

أسر إذا هب مرا وارم به إذا رسا

أسكن تقو فعسى يُسعِفُ وقت نكسا

ومن القلب(١) قول سيف الدين المشد [من مجزوء الكامل] :

ليل أضاء هلالهُ أنى يُضىء بكوكب

وقول الآخر [من المتقارب] :

أرَانا الإلهُ هلالاً أنارَا

وقول الصيرفى المغربى [من مجزوء الخفيف] :

قلِقَتْ فيكَ هذهِ هذهِ كيْفَ تقلقُ

قرفت يمن ميـة هى من مى تفرق

فترَى لَحْنَ مُقتَفٍ فتَقَ منْ حلَّ يرْتُقُ

وقول الصفى الحلى أيضاً [من المجتث] :

يَلذُّ ذُلى بنِضوٍ لَوْ ضَنَّ بى لذَّ ذُلى

---

(١) القلب فى هذا البيت فى كل كلمة منه على حدتها : فليـل ، وأضاء ، وهلاله ، وأنى ، ويضىء ، وبـكوكب ، كل كلمة من هـذه الـكلمة تنقلب كطردها .

يلمُّ شملى بحسْنٍ إن سحّ لى لمّ شملى

وقول الحسن (١) النظيرى النحوى الملقب بذى للسانين [من الوافر] :

لسيدنا الامام أبى المطهّرْ فضائلُ أربعٌ كالزّهرِ تُزْهِرْ
ضياء فائض ، رأى عيار ، عطاء ساطع . رهط مُطهَّرْ

وقول ابن خروف(٢) النحوى [من الرمل] :

واشربوا كلَّ صباحٍ لبناً واشربوا كلَّ أصيلٍ عسلاَ
واعكسوا ذاكَ إلى أعدائِكمْ منْ قسىّ النبعِ أوْ رُقْشِ الفلا

وقول بعض المغاربة [من السريع] :

قدْ أقبل الشهرُ وإقبالُهُ يأتى بما أُجرى ترْتيبه
فوجه البر فمقلوبه يجزيك عن برك مقلوبه

وقول سيف الدين بن المشد ملغزافى هاروت [من الرجز] :

ما اسمٌ إذا صحفْتَهُ فهو نبىٌّ مرْسلُ
وهو إذا عكسته كتابهُ المنزّلُ

ومن القلب نوع آخر يقال له قلب الكلمات كقول الشاعر [من الكامل] :

عدلوا فما ظلمتْ لهمْ دُولٌ سعدُوا فما زالتْ لهمْ نِعَمُ
بذلوا فما شحّتْ لهمْ شيمٌ رفعوا فما زلّتْ لهمْ قَدَمُ

---

(١) القلب فى ثانى هذين البيتين فى كل واحد من الأربعة ، فضياء فائض وحده ينعكس كطرده ، ورأى عيار وحده ينعكس كطرده ، وهكذا عطاء ساطع ، ورهط مطهر

(٢) العكس فى هذين البيتين فى كلمة «لبن» وكلمة «عسل» فمقلوب الأول «نبل» ومقلوب الثانى «لسع» ومن هنا تفهم معنى ثانى البيتين

فهو دعاء لهم ومدح ، فاذا انقلبت كلماته صار دعاء عليهم وهجواً بأن يقال :

نعم لهم زالت فما سعدوا   دول لهم ظلمت فما عدلوا

قدم لهم زلت فما رفعوا   شيم لهم شحت فما بذلوا

* * *

١٨٢ — يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيةَ إنها   شركُ الرَّدى وقرارةُ الأكدار

شاهد التشريع

البيت للحريرى من الكامل ، وبعده :

دار متى ما أضحكت   فى يومها   أبكت غداً   تبًّا لها من دار

وإذا أظلَّ سَحابُها   لم ينتفع   منهُ صدى   كجهامه الغرَّار

غاراتها ما تنقضى   وأسيرُها   لا يفتدَى   بجلائل الأخطار

كم مُزْدَهٍ بِغرورها   حتى بدا   متمردا   متجاوز المِقْدار

قلبت له ظَهر المجن   وأولَغَتْ   فيه المُدَى   ونزت لأخذ الثار

فاربأ بعمرك أن يمر   مُضيعاً   فيها سُدًا   من غير ما استظهار

واقطعْ علائق حبُّها   وطلابها   تلق الهدى   ورفاهة الأسرار

وارقب إذا ما سالمت   من كيدها   حَرْبَ العدا   وتوثُّبَ الغدار

واعلم بأن خطوبها   تفجَؤُ   طال المدى   ودنَتْ سرى الأقدار

والدنية : الخسيسة ، وشرك الردى : حبالة الهلاك ، وقرارة الأكدار : مقر الهموم والأوصاب المكدرة للعيش

والشاهد فيه : التشريع ، وسماه ابن أبى الأصبع « التوأم » وهو : بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما ، فهذا البيت وما بعده إذا أنشد على هيئته كان من ثانى الكامل ، وإذا أسقطت الجزءين الأخيرين منه كان من ثامنه فتبقى صورته

يا خاطب الدُّنيا الدنية إنها شرك الرَّدى

ومن الواقع من كلام العرب فى هذا النوع قول بعضهم [من الكامل] :

وإذا الرِّياح معَ العشى تناوحتْ هوجَ الرئال نكبنهنَّ شمالاً
ألفيتنا نقرى العبيطَ لضيفنا قبلَ القتال ونقتلُ الأبطالا

فهذان البيتان إذا أنشدا تامين كانا من الضرب التام المقطوع من الكامل، وإذا اقتصرت على الرئال والقتال كانا من الضرب المجزوّ المرفل منه ، ولا شك أن هذا النوع لا يتأتى إلا بتكلف زائد وتعسف ، فانه راجع إلى الصناعة لا إلى البلاغة والبراعة، وأوسع البحور فى هذا النوع الرجز ، فانه قد استعمل تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا ومن أمثلته قول الأرجانى [من الرجز] :

صبٌّ مقيمٌ سائرٌ فؤادُهُ طوعُ الهوَى مَعَ الخليط المنجدِ
غائبُ قلبٍ حاضرٌ ودادُهُ لمن نأى فى عهدِهم والمعْهَدِ
لهُ جوًى مخامرٌ يعتادهُ إذا اشتكى طيفَ الكرى فى العوَّد
لصبرهِ مكابرٌ إيقادُهُ حشوُ الهوَى بعدَ الحسان الخرَّدِ
ودَمعُهُ مُكاثرٌ اشتداده خوفَ النوَى يقولُ للهمِّ ابعدِ

وقول الحريرى أيضاً [من الكامل] :

جُودِي علىَ المتحسرِ الصبِّ الجوِى وتعطفى بوصالهِ وترَحَّمِي
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكتفى عنْ حالهِ لا تظلمِي

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرجز] :

يرنو بطرفٍ فاترٍ مهما رَنا فهو المنىَ لا أنتهى عن حبه
يهفو كغصنٍ ناضرٍ حلو الجنى يشفى الضنى لاصبر لى عن قربه
لو كان يوما زائرى زال العنا يحلو لنا فى الحبِّ أن نسمى به

أنزلته في ناظري لما دنا قد سرنا إذ لم يحل عن صبه

وقوله أيضاً [من الكامل] :

من لي بآنسة تنا م لحاظها من غير نوم بل تتيه وتفتن
قالت ألست تخاف حين تزورني سطوات قومي كم تبوح وتعلن
فأجبتها في نيل وصلك لم أكن لأخاف لومي فهو عندي هين

وقول أبي جعفر الغرناطي [من الكامل] :

يا راحلا يبغي زيارة طيبة نلت المنى بزيارة الأخيار
حي العقيق إذا وصلت وصف لنا وادي منى يا طيب الأخبار
وإذا وقفت لدى المعرف داعياً زال العنا وظفرت بالأوطار

وقول الرشيد النابلسي [من الرجز] :

لم الحشى معذب موجع على المدى صب الفؤاد مغرم
بناره ملتهب مـلذع ما خمدا أواره والضرم
حكم فيه أشنب ممنع من الفدا فهو الأسير المسلم
مبتعد مجتنب مودع تعمدا وهو الغريب الأثم
زمانه تعتب وولع قد أكدا من عز فهو يحكم
ما الحب إلا لهب ومدمع تجددا ولوعة وسقم
يا هل إليه سبب ممتع يولي يداً من لبه مخترم
ما أنا إلا أشعب أو أطمع فيما عدا فما إليه سلم

وقول ابن نقادة [من الرجز] :

جمر غرامي واقد يحكي لظى شراره في القلب ليس ينطفي

ودمع عيني شاهد على الهوى مِدْرَارُهُ والوجدُ مالا يختفي
والنوم عنى شاردُ لا يُرتجَى مزارُه فيا لصبٍّ مُدْنَفِ
هل في الهوى مساعد لما عَنَى إعذارُه في حب ظبي أهيفِ
مائلٌ قدٌّ مائدُ إذا انثنى خَطَّارُهُ كالغُصنِ المهفهَفِ
فلحظه لي صائد إذ ينتضى بَتَّارُهُ هل في الجنون مشرفي
قلبي عليه واجد لما نأى مزاره بين الأسى والأسَفِ
أرغب وَهوَ زاهد وَهو المنى أختاره من لى به فأشتفي
أسهرُ وهو راقدُ لما جفا نِفَارُهُ عرَّضني للتلف
وَجدِي عليه زائد مِنَ الجوى إسعاره بين الدموع الذُّرَّف

وقول صلاح الدين القواص ، ويقال : إن هذه القصيدة تقرأ على ثلثمائة وستين وجهاً [من البسيط] :

داء ثوَى بفؤادٍ شفَّهُ سقم لمحنتى من دواعى الهم والكمدِ
يا أضلعى لهب تذكو شرارتُه من الضنى فى محل الروح والجسد
يوم النوى طال فى قلبى به ألم وحرقتى و بلائى فيه بالرصد
نوجعى من جوًى شبَّتْ حرارتُه مع العنا قدرنى لى فيه ذو الحسدِ
أصل الهوى مُلْبِسِى وجداً به عدم لمهجتى من رشا بالحسن منفردِ
تتبعى وَجْهَ من تزهو نضارته لما جنى مورثى وَجْدًا إلى الأبَد

وهذا القدر من هذا النوع كاف .

*
* *

شاهد لزوم ما يلزم

سأشكر عمراً إن تراخت منيتى	أيادىَ لم تُمنَن و إن هى جلَّتِ
١٨٣ - فتًى غيرُ محجوبِ الغنى عن صديقه	ولا مظهِرَ الشكوى إذا النعل زلَّت
رأى خلَّتى من حيث يَخْفَى مكانها	فكانت قذَى عينيه حتى تجلَّت

الأبيات (١) من الطويل ، وقائلها عبدالله بن الزَّبير الأسدى فى عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، وكان سببها ماحكاه أبو غسانة قال : بلغنى أن أول من أخذ نسيئةً فى الاسلام عمرو بن عثمان بن عفان ، أتى عبدُالله بن الزَّبير الأسدى فرأى عمرو تحت ثيابه ثوبا رثًّا ، فدعا وكيله وقال له :اقترض مالا ،فقال: هيهات ما يعطينا التجار شيئاً ، قال : فأربحهم ماشاءوا ، فاقترض له ثمانية آلاف درهم باثنى عشر ألفاً ، فوجهُ بها إليه مع تخت ثيابٍ ، فقال عبدالله بن الزَّبير الأبيات .

ويحكى أن رسول سيف الدولة بن حمدان ورد على أبى الطيب المتنبى برقعة فيها البيت الأخير من هذه الأبيات وسأله إجازته ، فأثبت فى الرقعة تحته [من الطويل] :

لنا ملكٌ ما يطعَمُ النَّومَ همُّهُ	ممَاتٌ لِحَىٍّ أو حيـاةٌ لِميّتِ
و يكبر أن تقذَى بشىء جفُونُهُ	إذا ما رأتهُ خَلَّةٌ بكَ قرَّتِ
جزَى اللهُ عنِّى سيفَ دولة هاشمٍ	فانَّ نداهُ الغَمْرَ سيْفِى ودَوْلَتِى

ومعنى «لم تمنن»لم تقطع ولم تخلط بمنٍّ و إن عظمت ، وقوله «إذا النعل زلت» كناية عن نزول الشر وامتحان المرء ، يقال: زلت القدم ، وزلت النعل به، والخلة -بالفتح- الحاجة والفقر والخَصَاصة، وفى المثل «الخَلَّةُ تدعو إلى السَّلَّةِ »أى السرقة، والقذى : ما يقع فى الشراب

(١) اقرأ ثلاثتها فى مهذب الأغانى (٥-٢٢٦) وفى ديوان الحماسة(٤-١٤٣) وأولها وثانيها فى دلائل الاعجاز (١١٤)ووقع فى الأصول فى ثانى هذه الأبيات « فتى غير محجور الغنى » وأثبتنا ما فى الأمهات التى عندنا

والشاهد فيها : لزوم مالا يلزم ، وهو هنا مجىء اللام المفتوحة المشددة قبل حرف الروى، وهو التاء ، وذاك ليس بلازم فى مذهب السجع لتحققه بدونه ، وفيها نوعان من لزوم مالا يلزم : أحدهما التزام الحرف ، والثانى فتحه ، وقد يكون الأول بدون الثانى ، و بالعكس

ومن شواهده قول امرىء القيس [من الطويل] :

فمثلكِ حُبلى قد طرَقْتُ ومُرْضع ... فألهيتُها عَنْ ذى تمائم مُحْولِ

إذا ما بكى مِنْ خلفها انحرفت لهُ ... بِشِق وتحتى شِقُّهـا لم يُحَوَّلِ (١)

وما يقع من هذا الباب لمتقدم فهو غير مقصود منه ، وأما المتأخرون فقصدوا عمله ، وأكثروا منه ، حتى إن أباالعلاء المعرى عمل من ذلك ديواناً كاملامنفرداً عن ديوان شعره المعروف بسقط الزند ، ومنه قوله [من الطويل] :

لكَ الحَمْدُ أمواهُ البلادِ بأسرها ... عِذابٌ وخُصَّتْ بالملوحةِ زَمزمُ

هوَ الحَظُّ عَيْرُ الوَحش يَستافُ أنفهُ ... خزَامى وأنفُ العَوْد بالعُود يُخْزَمُ

ومن هذا المعنى قول أبى تمام الطائى [من المنسرح] :

والحظ يُعطاه غيرُ طالبِهِ ... ويُحرِزُ الدُّرَّ غيرُ مُجتلِبِهْ

تلكَ بناتُ المخاض راتِعةٌ ... والعَوْدُ فى كُورِهِ وفى قَتَبِهْ

وقول الآخر [من المتقارب] :

أيا دَهرُ ويحكَ ماذا الغَلَطْ ... لئيمٌ علاَ وكريمٌ هَبَطْ

حِمَار يُسيَّب فى رَوْضةٍ ... وطِرْفٌ بِلاَ علفٍ يُرْتَبَطْ

وقول الآخر [من الخفيف] :

رُبَّ عَيْرٍ يَرْعَى ويُعلف فى المِصر وليثٍ يجُوعُ فى صَحْرَاءِ

وحشيش يَرْوى على ضِفَّةِ النهر ونَبْعٍ يظْما على غير ماءِ

وقول الهيثم النخعى [من البسيط] :

(١) الذى فى ديوان امرىء القيس وشروح المعلقات « انصرفت له »

قدْ يُرْزَقُ الأحمقُ المأفونُ فى دعةٍ   وَيُحرمُ الأحوَذىّ الأرحبُ الباعِ
كذا السوام تصيبُ الأرض ممرعة   وَالأسدُ مَرْتَعُهَا فى غيرِ إمراعِ

ولطيفٌ قولُ الشيخ بدر الدين بن الصاحب [من مجزوء الكامل] :

رزقُ الضعيف بعجزهِ   فاقَ القوىَّ الأغلبَا
فالنسرُ يأكلُ جيفةً   والنحلُ يأكلُ طيبَا

رجع إلى شعر أبى العلاء المعرّى ، فى لزوم مالا يلزم.

من شواهد لزوم ما لا يلزم

ومنه قوله [من الكامل] :

أنا صائمٌ طولَ الحياة ، وإنما   فِطرى المماتُ فعندَ ذاكَ أعيِّدُ
لونانِ منْ صُبحٍ وليلٍ شَيَّبَا   رَأسى وأضعفنى الزمانُ الأيّدُ
قالوُا فلانٌ جيدٌ لصديقهِ   لاتكذِبُوا مافى البريةِ جيدُ
فأميرُنَا نالَ الإمارةَ بالخنَا   وفقيهُنَا بصلاتهِ مُتصيِّدُ
كنْ كيفَ شئتَ مُهجَّناً أوخالصاً   فاذا رُزقتَ غِنًى فأنتَ السيدُ
واصمتْ فما كثرَ الكلامُ منِ امرئٍ
إلاَّ وَقالوُا : إنهُ مُتزيِّدُ

وقوله [من السريع] :

كلْ واشرب الناس على خبْرَةٍ   فَهُمْ يمرُّونَ وَلا يَعْذُبُونْ
وَلا تُصَدِّقْهُمْ إذا حدَّثوا   فانى أعهدُهُمْ يَكذبونْ
فإن أرَوْكَ الودّ عنْ حاجةٍ   ففى حبالٍ لَهُمُ يحذبونْ

ومن مليح ما جاء فيه قول أبى نواس [من الكامل] :

أما وَزند أبى علىّ إنهُ   زندإذا استوْريتَ سهلَ قدحكَا
إنّى لبأبى الصنعَ عالى همتى   منْ غيركم ويعافُ إلا مدْحكَا

ولأبى الطاهر محمد بن يوسف التميمى السرقسطى فيه وهو مصنف المقامات اللزومية ، وهى خمسون مقامة بناها على لزوم مالا يلزم [من المنسرح] :

يا هائماً بالدلال والخفرِ أصفقتَ خدُّ العزيز بالعَفَرِ
إياك ذنب الهوَى وزلتَهُ فليس ذنبُ الهوَى بمغتفرِ
ماعزَّ فى الحبِّ مَنْ يُساجلهُ لوكان ذا معشرٍ وذا نفرِ
ومنْ غدا والأجينُ شافعهُ أخاق بهِ أنْ يفوز بالظفرِ

وله أيضا فيه [من مخلع البسيط] :

كلُّ حبيبٍ لهُ دلالُ وربمـا شابهُ ملالُ
وأنت أنتَ الحبيبُ لـكنْ منْ دون إسعافك الملالُ

ولأبى الفضل الميكالى فيه مع التعمية باسم [من الوافر] :

غزالٌ ينثنى ويريك غصناً ويرنو تارة ويريكَ ريمَا
كريمٌ كلهُ ظَرْفٌ ولـكنْ إذا سميتهُ فاقلبْ كريما

وله أيضا فيه [من المتقارب] :

تعز عن الحرص تعزز بهِ فنى الطمع الذلُّ والمنقصهْ
ولا تُنْزِلَنْ أبداً حاجـةً بمن كابدَ البؤسَ والمخمَصهْ
ولو نالَ نجم الدُّجى نزْوة وأوطأ شمس الضحى أخمُصَهْ

ولابن جابر الأندلسى فيه [من الطويل] :

ولمـا وقفنا كى نودعَ منْ نأى ولم يبق إلا أن تُحَثَّ الركائبُ
بكينا وحقٌّ للمحبِّ إذا بكى عشية سارت عن حماهُ الحبائبُ

ولأبى جعفر الغرناطى فيه [من البسيط] :

ناولتهُ وَرْدةً فاحمرَّ من خجلٍ وقالَ وجهىَ يغنيكَ عن الزَّهَرِ

الخد وَرْدٌ، وعيني نرجس،وعلى خَدِّى عِذَار كريحانٍ على نَهَرِ

ومما يلحق بهذا النوع : ما يختبر به الأدباء أفكارهم ، ويشحذون به قرائحهم ، من التزام حروف جميعها مهملة ، أو جميعها معجمة ، أو لا تنطبق معها الشفتان ، إلى غير ذلك من التفننات ، كقول الخطيرى الوراق وجميع الحروف مهملة [من الطويل] :

صدودُ سعادٍ أحدرَ الدمعَ مُرْسلا وأسأر حرًّا لم أحاولهُ أوَّلا

مُحلِّلة صدًّا أراهُ محرماً محرمة وَصلا أراهُ محللاَ

أواصل لا أسلو هواها ملالةً وكم آملٍ للوصل هامَ وماسلاَ

لهَا طولُ صدٍّ للمسهد مؤلم وَوصلٌ له طعمٌ أراهُ معَسلاَ

وقول أحمد بن الورد [من الكامل] :

علم العدو ملالة اللوّام ودوام صدك وهو صدٌّ حمام

لولاك ما حدَرَ السهادُ دموعَهُ ولما أطار كراهُ حرُّ أوام

ردَّ السلام وما عداك مسلما وأراك أهل هواه سر كلام

كم حاسد لك أو مصدّ ودادهُ ومملل أهداهُ طولَ ملامِ

وقول ابن سلام [من المنسرح] :

وصالُ دعْدٍ أرَاه حالَ وما أحالَ عهداً لها مَدَى العُمُر

وطالما راحَ وَرْدُهَا حرَماً مُصارماً للورودِ والصدر

وأبيات الحريرى العاطلة حلية هذا النوع ، وهى [من السريع] :

أعدد لحسادكَ حدَّ السلاحِ وأورد الآمالَ وِرد السماحْ

وَصارم اللهوَ ووصل المها وأعمل الكومَ وسُمْرَ الرِّماحْ

واسع لإدراك محلٍّ سَمَا عمادهُ ، لا لادِّرَاع المراحْ

[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]

[illegible]

[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]

[illegible]

[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]

[illegible]

[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

[illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible]

[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

---

(١) [illegible]
(٢) [illegible]

وعبد الله [١] بن الزبير - بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة — وهو ابن الأشيم ابن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ. ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة، وهو شاعر كوفى المنشأ والمنزل، من شعراء الدولة الأموية، وكان من شيعة بنى أُمية، وذوى الهوى فيهم، والعصبية لهم، والنصرة على عدوهم، فلما غلب مُصْعَب ابن الزُّبَير رضى الله عنهما على الكوفة أُتى به أسيراً فمنّ عليه ووَصَله، فمدحه وأكثر، وانقطع إليه، فلم يزل معه حتى قتل مصعب بن الزُّبير رضى الله عنه. ثم عمى عبد الله بن الزَّبير بعد ذلك، ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان. وكان عبد الله هذا يكنى أبا كثير، وهو أحد الهَجَّائين للناس المرهوب شرهم.

وكان ناس من بنى علقمة بن قيس قتلوا رجلا من بنى الأشيم، من رهط عبد الله بن الزَّبير دِنْيَةً، فخرج عبد الرحمن ابن أم الحكم وافداً إلى معاوية رضى الله عنه ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بنى أسد، فقال عبد الرحمن لابن الزبير: خذ من بنى عمك ديتين لقتيلك، فأبى ابن الزبير - وكان عبد الرحمن يميل إلى أهل القاتل - فغضب عليه عبد الرحمن، وردّه عن الوفد من منزل يقال له: فياض، فخالفه ابن الزبير الطريقَ إلى يزيد بن معاوية، فعاذ به، فأعاذه وقام، وأمره بأن يهجو ابن أم الحكم، وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويعيبه، فقال فيه ابن الزبير، من قصيدة طويلة [من الطويل]:

وأنتم بنو حام بن نوح أرى لكمْ ... شفاهاً كأذنابِ المشاجرِ وُرَّمَا [٢]

---

(١) لابن الزبير الأسدى ترجمة فى تاريخ دمشق لابن عساكر (المختصر ٧ - ٤٢٣) وفى الأغانى (١٣ - ٣٣) وفى مهذب الأغانى (٥ - ٢٢)

(٢) فى المطبوعتين « كآذان المساحر ورما » وأثبتنا ما فى الأغانى ومهذب الأغانى

فإن قلتَ خالى من قُرَيْش فلم أجد من الناس شرًّا من أبيك وأَلأما

ولما بلغ عبدالرحمن بن أم الحكم أن عبدالله بن الزبير هجاه غضب عليه وهدم داره وأحرقها ، فأتى معاوية رضى الله عنه فشكا إليه ، وتظلم لديه منه ، وقال: قد أحرق لى دارا قد قامت على مائة ألف درهم ، فقال معاوية : ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر ، فمن يعرف صحة ما ادعيت ؟ فقال : هذا المنذر بن الجارود حاضر و يعلم ذلك ، فقال معاوية رضى الله عنه للمنذر : ماعندك فى هذا ؟ قال : إنى لم آبه لنفقته على داره ومبلغها ، ولكنى لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها أعطانى عشرين ألف درهم وسألنى أن أبتاع له بها ساجا من البصرة ففعلت ، فقال معاوية : إن دارا اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم ، وأمر له بها ، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه ثم قال لهم : أى الشيخين عندكم أكذب ؟ والله إنى لأعرف داره ، وماهى إلا خصاص قصب ، ولكنهم يقولون فنسمع ، ويخادعونا(١) فنخدع ، فجعلوا يعجبون منه .

وكان عبد الرحمن ابن أم الحكم لما ولى الكوفة أساء بها السيرة ، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة المنورة ، فسألته امرأة عبدالرحمن عنه ، فقال لها : تركته يسأل إلحافا ، و ينفق إسرافاً . وكان محمقاً ، ولاه معاوية خالُه عدةَ أعمال ، فنمه أهلها وتظلموا منه ، فعزله واطرحه ، وقال له : يابنىّ ، قد جهدت أن أنفُقَكَ وأنت تزداد كسادا ، وقالت له أخته أم الحكم بنت صخر : يا أخى ، زَوِّجِ ابنى بعض بناتك فقال : ليس لهن بكفء ، فقالت له : قد زوجنى أبوسفيان أباه ، وأبوسفيان خير منك ، وأنا خير من بناتك ، فقال : يا أخية ، إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهى الربيب ، وقد كثر الآن الربيب عندنا فلانزوج إلا الأكفاء

(١) فى الأصول « ويخادعونا فنخدع » بحذف نون الرفع

وكان عبدالله بن الزبير قد مدح أسماء بن خارجة الفزارى بقصيدة طويلة منها [من الطويل] :

تراه إذا ما جئته متهللا … كأنك تُعطيه الذى أنت نائلُه (١)

ولو لم يكن فى كفِّه غيرُ روحه … لجاد بها فليتق الله سائلُه

فأثابه ثوابا لم يرضه فغضب وقال يهجوه [من الطويل] :

بَنَتْ لكم هندٌ بتلذيع بَظْرِها … دكاكين من جص عليها المجالسُ

فوالله لولا رَهْزُ هندٍ ببظرها … لعد أبوها فى اللئام العوابس (٢)

فبلغ ذلك أسماء ، فركب إليه واعتذر من فعله بضيقة شكاها ، وأرضاه ، وجعل له على نفسه فى كل سنة وظيفة ، واقتطعه إلى جانبه ، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله ، وكان أسماء يقول لبنيه : والله ما رأيت قط جصاً فى بناء إلا ذكرت بظر أمكم هند فخجلت

ولما ولى مصعب بن الزُّبير العراق دخل عليه عبدالله بن الزَّبير الأسدى ، فقال له : إيه يا ابن الزَّبير أأنت القائل (٣) [من الطويل] :

---

(١) فى الأغانى * كأنك تعطيه الذى أنت سائله *

(٢) فى الأصول « لو لا رهن هند » وأثبتنا ما فى الأغانى .

(٣) ورد هذان البيتان فى الأغانى وفى مهذب الأغانى هكذا :

فنى رجب أو غرة الشهر بعده … تزوركم حمر المنايا وسودها

ثمانون ألفا دين عثمان دينهم … كتائب فيها جبرئيل يقودها

وهما على هذا الوجه من قصيدة لعبدالله بن الزبير ، يقولها وقد أمر المختار الخارجى بهدم دار أسماء بن خارجة . لما كان له من سوء الأحدوثة عند الشيعة ، ولكن صاحب الأغاني يعود فيرويهما بعد ذلك على مثل ماجاء فى الأصول فى نفس الخبر الذى نقله المؤلف هنا عنه .

إلى رجب السبعين أو ذاك قبله تصبحكم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً نصر مروان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها

فقال : أنا القائل لذلك ، فقال : إن الحقين ليأبى العذرة ، ولو قدرت على جحدته لجحدته ، قال : فاصنع ما أنت صانع ، فقال : أما أنا فلا أصنع بك إلا خيراً ، أحسَنَ إليك قوم فاجتبيتهم وواليتهم ومدحتهم ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ورده إلى منزله مكرماً ، فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره[1] ، فلما قتل مصعب اجتمع عبدالله بن الزُّبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان فى مجلس ، فعرف ابن الزبير خبره ، وكان عبيدالله هو الذى قتل مصعباً ، فاستقبله ابن الزبير بوجهه وقال له [من الطويل] :

أبامطرٍ شَلَّتْ يمينٌ تفرعت بسيفك رأسَ ابن الحَوَارىِّ مُصعَبِ[2]

فقال له ابن ظبيان : فكيف النجاة من ذلك ؟ فقال : لا نجاة ، هيهات ، سَبَقَ السيفُ العذَلَ ، وكان ابن ظبيان بعد قتله مصعبا لا ينتفع بنفسه فى نوم ولا يقظة ، كان يُهَوَّلُ عليه فى منامه فلا ينام، حتى نَحِلَ جسمه ونهك، فلم يزل كذلك حتى مات .

وحدث خالد بن سعيد عن أبيه ، قال : كان عبد الله بن الزبير صديقا لعمرو ابن الزبير بن العوام ، فلما أقامه أخوه عبدالله ليقتص منه بالغ كل ذى حقد عليه فى ذلك وتدسس فيه من يتقرب إلى أخيه ، وكان أخوه لا يسأل من ادعى عليه

---

(١) فى الأصول : « ويشبب بذكره » ، وأثبتنا : ما فى الأغانى ، وهو الصواب .

(٢) فى الأغانى : « تفرعت » محرفا ، والمراد بقوله « تفرعت رأس ابن الحوارى » علت رأسه بالسيف . والحوارى : هو الزبير بن العوام ، رضى الله تعالى عنه ! وامه صفية بنت عبد المطلب ، عمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقال له : حوارى رسول الله .

شيئاً بينة ، ولا يطالبه بحجة ، وإنما يقبل قوله ثم يدخله إلى السجن ليقتص منه ، فكانو يضربونه والقيح ينضح من ظهره وأكتافه على الأرض والحيطان مما يمر به ، ثم أمر بأن ترسل عليه الجُعْلَانُ فكانت تدب عليه فتنقب لحمه وهو مقيد مغلول يستغيث فلا يغاث حتى مات على تلك الحالة ، فدخل الموكل به وهو يبكى على أخيه عبد الله بن الزبير وفى يده قدح لبن يريد أن يتسحر به ، فقال له : مالك ؟ أمات عمرو ؟ قال : نعم ، قال : أبعده الله ! وشرب اللبن ، ثم قال : لا تغسلوه ولا تكفنوه وادفنوه فى مقابر المشركين ، فدفن ، فقال ابن الزبير يرثيه ويؤنب أخاه بفعله ، وكان له صديقاً وخلا ونديماً [من الطويل]:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن كبيرَ بنى العوّام إن قلت مَنْ تعنى (١)

ستعلم إن جالتْ بك الحربُ جَوْلة إذا فَوَّقَ الرامون أسهُم من تُغنى

فأصبحتِ الأرحام حين وليتها بكفيك أكراشاً تجرُّ على دِمْنٍ (٢)

عقدتم لعمرو عُقدةً وغدرتمُ بأبيض كالمصباح فى ليلةِ الدَّجْنِ (٣)

وكانْته حولاً يجودُ بنفسهِ تنوء به فى ساقهِ حلَقُ اللبْنِ (٤)

فما قال عمروٌ إذ يجود بنفسهِ لضاربه حتى قضى نحْبَهُ دعنى

---

(١) رواية الأغانى « إن قيل من تعنى »

(٢) دمن ـ بكسر الدال وسكون الميم ـ حقد ، واحدته دمنة ، ويقال : « فى قلب فلان دمنة » ، أى حقد ثابت ، ويقال « قد دمن قلب فلان على فلان » بوزان فرح .

(٣) الدجن ـ بفتح فسكون ـ إظلام الغيم ، ويقال : هذا يوم دجن ، والداجنة : السحابة ذات الدجن ، وتقول : دجنت السماء ، وأدجنت ، وأدجن المطر : أى دام أياماً .

(٤) فى المطبوعتين « حلق البين » وأثبتنا ما فى الأغانى ومهذب الأغانى

فى أبيات أخر أعرضت عن ذكرها حفظا لمقام عبد الله بن الزبير وصحبته.

وحدث العبسى قال : لما قُتل عبد الله بن الزُّبير صَلَب الحجاجُ جسمه و بعث برأسه إلى عبد الملك فجلس على سريره وأذن للناس ، فدخلوا عليه ، وقام عبد الله ابن الزَّبير فاستأذنه فى الكلام ، فقال له : تكلم ولا تقل إلا خيراً ، وتوخَّ الحق فيما تقوله ، فأنشأ يقول [من الطويل] :

مَشَى ابن الزبير القَهْقَرَى فتقدمت أميةُ حتى أحرزوا القَصَبَاتِ

وجئت المعالى يا ابن مروان سابقاً أمام قريشٍ تبغض الغدرات(١)

فلا زلتَ سباقاً إلى كل غايةٍ من المجد نجاه من الغَمَرَاتِ

فقال له : أحسنت فسَلْ حاجتك ، فقال : أنت أعلى عينا بها وأرحب صدراً يا أمير المؤمنين ، فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة ، ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال له : لا ، ولكن أبياتك فى المحلِّىِّ وفى الحجاج التى قلتها ، فأنشده [من الطويل] :

كأنى بعبد الله يركبُ رَدْعَهَ وفيه سنانٌ زاعبِىٌّ مجرَّبُ(٢)

---

(١) ورد هذا البيت فى مهذب الأغانى هكذا :

وجئت المجلى يا ابن مروان سابقا أمام قريش تنفض العذرات

وظنى أن عجز البيت على ما هنا أحسن

(٢) يقال « رمح زاعبى » بالزاى ، وبعين مهملة — وهى منسوبة إلى رجل من الخزرج ، كان يعمل الأسنة . هكذا قال أبو العباس المبرد . وقال غيره : الرماح الزاعبية ، هى : العسالة التى إذا هزت تدافعت كالسيل الزاعب يزعب بعضه بعضا : أى يدفعه . وياء النسبة — على هذا الوجه إما أن تكون للنسبة إلى السيل الزاعب لمعنى التشبيه به ، وإما أن تكون للنسبة إلى الرمح الزاعب ، من نسبة الشىء إلى نفسه للتأكيد كالأحمرى .

وقد فرَّ عنه الملحدون وحلّقت به وبمَنْ آساه عنقاء مُغْربُ (١)

تولَّوْا بحدِّه فشـال بشلوه طويلٌ من الأجذاع عارٍ مشذَّبُ

بكفَّيْ غلامٍ من ثقيفٍ نمت به قريش وذو المجد التليد مُعقَّبُ

فقال له عبد الملك بن مروان : لا تقل غلام ، ولـكن همام ، وكتب له الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى .

ودخل عبد الله بن الزَّبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه ، وكان بشر قد بلغه عنه شيء يكرهه فجفاه ، فلما وصل إليه ووقف بين يديه وجعل يتأمل مَنْ حواليه من بنى أمية ويجيل نظره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئاتهم ، فقال له بشر : نظرك يا ابن الزبير يدل على أن وراءه قولا ، فقال : نعم ، قال : قل ، فقال [من الوافر] :

كأنَّ بني أميـة حول بشر نجومٌ وَسْطَها قمر منـيرُ

هو الفرعُ المقدَّمُ من قريش إذا أخذَت مآخذها الأمورُ

لقـد عمَّتْ نوافلهُ فأضحى غنياً من نوافله الفقيرُ

جبرت مَهيضَنا وعدَلت فينا فعاش البائِسُ الـكلُّ الـكبيرُ (٢)

فأنتَ الغيث قد علمت قريش لنا والوا كفُ الجَوْنُ الْمَطِيرُ (٣)

فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضى عنه .

---

(١) فى الأغانى ومهذبه « به وبمن أسناه عنقاء مغرب »

(٢) فى الأغانى ومهذبه « فعاش البائس الـكل الفقير » وبقية القوافى مثل ما هنا ، فتكون القافية متكررة فى بيتين متجاورين ، وهذا عيب من عيوب القافية ولو أن العبارة كانت هكذا « فعاش البائس الـكل الـكسير » لـكانت أفضل .

(٣) الجون — بفتح فسكون — الأسود ، والسحاب الأسود أملأ السحائب بالمطر .

وعن عبد الله بن عباس قال: أخبرنى بعض مشيخة بنى أسد أن ابن الزبير لما قفل(١) من قتال الأزارقة بعث بعثاً إلى الرى، قال: فكنت فيه، وخرج الحجاج إلى القنطرة -يعنى قنطرة الكوفة التى بزبارة(٢)- ليعرض الجيش، وجعل يسأل عن رجل رجل مَنْ هو، فمر به ابن الزبير فسأله من هو، فأخبره، فقال له: أنت الذى تقول [من الطويل]:

تخير فأما أن تزور ابن ضابىء ... عُمَيْراً وإما أن تزور المهلبا

فقال: بلى أنا الذى أقول [من الطويل]:

ألم تر أنى قد أخنت جعيلة ... وكنت كمن قاد الحبيب فأسمحا(٣)

فقال له الحجاج: ذلك خير لك، فقال:

وأوقدت للأعداء يامى فاعلمى ... بكل سُرَى ناراً فلم أر مجمحا

فقال له الحجاج: قد كان بعض ذلك، فقال:

ولا يعدم الداعى إلى الخير تابعاً ... ولا يعدم الداعى إلى الشر مجدحاً

فقال له الحجاج: إن ذلك كذلك، فامض إلى بعثك، فمضى إلى بعثه، فمات بالرى.

---

(١) قفل: رجع.
(٢) زبارة: كذا، ولم أعثر على تصويبه
(٣) فى الأغانى «كمن قاد الجنيب»

قد تم - بحمد الله تعالى وعَوْنه وحسن تيسيره - طبع الجزء الثالث من كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص » تصنيف السيد عبد الرحيم ابن عبد الرحمن بن أحمد العباسى ، ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الرابع مفتتحاً بشرح شواهد « السرقات الشعرية » ، وهو آخر أجزاء الكتاب ، نسأل الذى بيده مقاليد الأمور أن يعين على إكماله ، وييسر أمر إتمامه ، إنه ولى ذلك ، ومنه العَوْن .

ثالثا — فى الجزء الثالث

فهرست الموضوعات البلاغية